الجمهـــوريـــة الجـزائـريـة الديـــمقراطيـة الشـعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة الـتـعـلـيـم الـعـالـــي و الـبـحـث الـعـلـمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
جامعة وهران
Université d'Oran
كلية الآداب و اللغات و الفنون
Faculté des lettres, des langues et des arts

قسم اللّغة العربيّة وآدابها

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللّسانيات بعنوان:

البنية اللّغويّة في سورة الكهف
دراسة لسانيّة تطبيقيّة

إعداد الطالبة:
صباح دالي

إشراف الأستاذ الدكتور:
عبد الحليم بن عيسى

أعضاء لجنة المناقشة

-أ.د.محمّد ملياني، جامعة وهران.....رئيسًا

-أ.د.الأستاذ عبد الحليم بن عيسى، جامعة وهران..... مشرفًا ومقررا

-د.نور الدّين زرادي، جامعة وهران.....عضوًا

-د.إبراهيم منّاد، جامعة مستغانم..... عضوًا

-د.هشام خالدي، جامعة تلمسان..... عضوًا

-د.حفيظة عبداوي، جامعة سيدي بلعباس..... عضوًا

السنة الجامعيّة: 2014/2013

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(بسم اللّه الرّحمن الرّحيم)

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

الإسراء: 88.

شكر وتقدير

أنجزت هذه الأطروحة بفضل من الله تعالى، وبركة نبيّه الكريم، سيّدنا محمّد (صلى الله عليه وسلّم) وبمساعدة أهل العلم والفضل، اللّهمّ حمدًا وشكرًا، ومن كمال الفضل شكر ذويه، ولهذا يطيب لي أن أتقدّم بجزيل الشكر وجميل العرفان إلى أستاذي المشرف الدكتور عبد الحليم بن عيسى،

وأوجّه شكري وتقديري لأعضاء اللّجنة الموقّرة على تقويم زلاّت البحث على رأسهم رئيس اللجنة الأستاذ الدكتور "محمد ملياني" لمتابعته هذا البحث بالنصح والإرشاد.

إلى كلّ أخواتي الأستاذات الطيّبات: نجيدة ولهاصي، فضيلة مسعودي، وفضيلة بن عيسى، والسيّدة مولغي،... أشكرهنّ على دعمهنّ لي.

وإلى كلّ عمال المكتبات التي ارْتَدْتُها وأمدّوا لي يد العون وإلى كلّ من أعانني ولو بكلمة طيّبة وهم كثر وكثرتهم تعفي الباحث من ذكر أسمائهم.

صباح.

نزل القرآن الكريم باللّغة العربيّة فأجراها في ظاهرها على بواطن أسرارها، وجاء بها في ماء الجمال أملأ من السّحاب، وفي الخلق أجمل من الشّباب ممّا تناول فيها من المعاني الدّقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز وصوَّرها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز، وما ركّبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب وتحوّل البنى والتّراكيب، فأظهرها بمظهرٍ لا يقضي العَجب منه، وجلاها على التاريخ كلّه، فأحرض جيلا تناهى في الكبرياء بها، وأصبح عليها من كلّ حسنٍ بديعٍ.

وبعد نزول دستور هذه الأمة، تشاغل العرب به، وشغفوا بحبِّه، فشمّر المسلمون الأوائل عن سواعدهم يتعهدونه بتفسير ألفاظه وبيان أحكامه، وآخرون تناولوا نصّه بالضّبط إعرابًا وإعجامًا بسبب اللّحن الذي تكشّفت ملامحه على ألسن المسلمين الجدد، فأثّر ذلك سلبا على قراءة القرآن، وانحرافا عن عربيّته، مما أدى إلى انبثاق النّحو والعلوم اللّغويّة، والتي كانت ميدانا خصبا واسعا تطوّرت مادة ومنهجا.

إن المتأمّل في التعاريف التي خصّت اللّغة، يقف على حقيقة تشعّب مفاهيمها وتفرّعها لكنّه قد يدرك في الآن نفسه، أنّ الاختلافات المتولّدة لا تعدو أن تكون ظاهريّة وشكليّة في حين يبقى الجوهر ثابتا ومتعارفا عليه في كون اللّغة ظاهرة إنسانية فكريّة، وظيفتها التبليغ والتّواصل.

وبدءًا من هذا التّحديد، انطلق الباحثون في استنباط المكنونات والمكوّنات الحقيقيّة لهذه الظاهرة، وما أدَّى إلى التّأسيس الفعلي للدّرس اللّغوي الذي رَسَا على بناء هرمي تشكّله أربعة مستويات تكمّلُ بعضها بعضا. وهي المستوى الصّوتي، فالصّرفي أو الإفرادي، فالتركيبي، فقد حظيت أصوات اللّغة منذ القدم بالدّراسة والتحليل، وكان الاهتمام بالأصوات العربيّة من أبرز الأعمال التي مثّلت باكورة الدرس اللّغوي عند العرب القدامى، وتشهد بذلك الدّراسات التي زخرت بها كتبهم. فجاءت هذه الأخيرة مقدّمات لعلوم أخرى تارةً، ودراسات مقصودة

تارة أخرى، دلّت في كثير منها على مدى فطنتهم و ذكائِهم هي حقيقةٌ أقرّها المنصِفون من علماء الغرب أيضًا.

ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث محاولة لكشف بعض خبايا بُنَى الخطاب القرآني وأصواته وكلماته، وتراكيبه، وما أودع فيها من أسرار الدلائل وعيون المعاني، ذلك أن إشكالية هذا البحث هي من قبيل القديم المتجدّد، وإن خرجت في كل عصر بحسب اصطلاحات أهله، فقد تناولها القدامى في بحثهم لعلاقة المعنى باللفظ والمبنى.

ومن ثمّ انبثقت الإشكالية لتحاول الإحاطة بالتجليات الإعجازية للبنية اللغوية في الخطاب القرآني، فكان أن انبثقت جملة من التساؤلات على النحو الآتي:

ما أثر البنية الصّوتية في التّشكيل الدّلالي بصورة عامة؟ وما يمكن أن يضيفه من معانٍ ؟ والأمر نفسه بالنسبة للمفردة باعتبارها هي الأخرى إحدى أهمّ عناصر البناء اللّغوي من جهة، وباعتبارها مستودعًا تختزن فيه المعاني وعنصرًا جماليًا فاعلاً في الخطاب من جهة ثانية، فهي وإن لم نخرج من أعلى طبقات اللّغة، ولا برزت عن وجوه العادة في تصريفها، غير أنّها أتت من وراء النفس واستغرقت منافذ الحسّ. ومن ثم فقد اكتسبت بعدًا بلاغيًا وإبلاغيًا يجعل منها حقلاً خصبًا للدراسة، والتساؤل عن ذلك السر، فما أثر الوزن الصرفي للمفردة في توضيح الدلالة؟ وما دلالة أصواتها على معانيها؟ وما هي الخصائص العامة للعمل اللّغوي في النّص القرآني؟

في ظل هذا الطرح، حاولنا أن نميط اللثام عمّا يجمع بين علوم الصّوت والصّرف والنّحو من وشائج، فتغدو من خلاله كيانا لغويا موحدا، وقد اتسمت هذه الدراسة بالمباشرة والملاحظة الذاتيّة القائمة على جدارة ومكانة الفكر العربيّ الإسلامي.

إن الوقوف على هذا الموضوع لم يكن من قبيل الصدفة، وإنما ولعنا الشّديد بعلوم اللّغة ومستوياتها ، فقد وقر في ذهنا أنّ أحسن سبيل لإنماء معارفنا اللّسانية وإشباع رغبتنا لن يكون إلاّ باختيار موضوع في هذا المجال، ولعلّ من الأسباب التي حفّزتنا على الإقبال على هذا البحث أيضا طموحُ الباحث العلمي للتّعامل مع نصوص الوحي الكريم، والاستزادة النّافعة من معطيات الدّرس اللّغوي في رحاب القرآن، التوجّه الذي ارتضيناه لأنفسنا منذ المراحل الأولى في الدرس والتحصيل، وممّا تميّز به القرآن الكريم نموذجية لغته، ولقد فكّرنا مليًّا أثناء اختيار الموضوع، في المدوّنة، وتردّدنا ولم نجد نظيرا للغته.

كما أنّ جدوى الدّراسة اللّسانية التطبيقيّة، التي لا تغفل الأصل، وهو الجانب التنظيري للّغويين؛ بل هي تجعله خلفيّة تنطلق منها لتجد مصداقيتها في المتن المختار، وهو عامل يقوّي النظرية أو القاعدة اللّغوية ولا يتجاوزها.

وإذ نلجُ مجال البحث، في ضوء المعطيات السابقة، إنّما تحدونا الرّغبة في الوصول إلى مجموعة من الأهداف يمكن حصرها في ما يلي:

– تحديد ماهية البنى في مختلف مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية، ما أمكن، وذلك بإدراج عناصر البنية اللّغوية.
– محاولة الوقوف على خصوصية البنية القرآنية، بشكل يميل إلى الاختيارية، من منطلق التحليل اللّغوي الحديث، لأجلٍ تحسّس الأسباب الموضوعية لغويًّا، التي كان القرآن في حضورها.

ومن تم فقد وسمنا بحثنا بـ: (البنية اللّغويّة في سورة الكهف، دراسة لسانية– تطبيقيّة) كما أنّ اختياره جاء بعد قراءة طويلة ومستفيضة لمختلف المستويات اللغوية، خاصة من الناحية التشكيليّة والبنية التركيبية للخطاب القرآني، إضافةً إلى نضج الدّرس اللّغوي الموروث وارتقائه إلى مستوى يدعو إلى إعادة البحث، للتقصي الشّديد للجهود اللّغويّة التي بذلها العلماء قديمًا، وما زالت تستقطب اهتمام المحدثين وأنظارهم.

وقد آثرنا سورة من القرآن الكريم ميدانا للتطبيق، بصفته النص الفصيح. كما لا يخفى على الجميع أن الإعجاز اللّغوي الذي يرتقي إليه القرآن الكريم، والمتمثّل في التلاؤم بين الأصوات، سواءً كان على المستوى الصرفي أو التركيبي، كما سبق ذكره. أمّا اختيارنا لسورة الكهف فليس تفاضلاً بين السّور القرآنيّة الجليلة، وإنّما لِمَا اتّسمت به من تعدّدٍ في الأساليب و تفنّنٍ في البنى والتّراكيب، فحينما نبحث فيها نجد ألفاظًا قد سخّرت لمعانيها أكسبتها رونقًا وبهاءً، وإشراقةً وضياءً، فغدت دُرَرًا ناصعةً، فدعانا ذلك للوقوف عندها من خلال البحث في تشكيلها الصّوتي أو بنيتها الصرفيّة أو موقعها التركيبي.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف، اقتضى البحث أن يتوزع على مقدمة، ومدخل، وثلاثة فصول، وتليها خاتمة تتضمن أهم وأبرز النتائج المرصودة وقد جاءت على النحو الآتي:

المقدّمة فكانت مشتملة على الخطوات المنهجية المعلومة أكاديميًا، من حديث عن تعريفٍ بالبحث وأسباب الاختيار، والأهداف المرجوّة منه، وما استدلّ به الباحث من دراسات وعرض للخطّة، والمنهج المعتمد.

والمدخل تم فيه التأسيس للمصطلحات المفتاحية للبحث، كالتركيز على البنية اللغوية، والتعريف بالخطاب القرآني.

والفصل الأوّل فقد عنوناه بـ "البنية الصّوتيّة لسورة الكهف"، تناولنا فيه دراسة الأصوات العربية وتشكيلها وكيفية تآلفها في البناء الصوتي، بالإضافة إلى الحديث عن المقطع اللغوي وإحصاءه، والفاصلة القرآنية وكيفيّة وُرُودها في السّورة.

فقد أدت كثرة الملاحظة والدراسة لأصول الكلمات إلى تنبيه اللّغويين إلى أنّ نسيج الكلمة العربية يقوم على قواعد معينة، ويعتمد على نظرية الجذور معتمدة في ذلك على إحصاءٍ دقيقٍ لأصواتٍ السّورة لمعرفة مدى مطابقة النّص لقواعد التآلف والتّجاور، والتعرّف على الأصوات الأكثر شيوعًا وانتشارًا في العربيّة.

وأمّا **الفصل الثاني** فخصّصته لـ "البنية الصّرفيّة لآيات السّورة"، فدرسنا فيه البنى الفعلية ودلالتها في السورة، والبنى الاسمية ودلالتها والبنى الوصفية (المشتقات ودلالتها في السورة).

في حين جاء **الفصل الثالث** ليحيط بالتجليات التركيبية، حيث تطرقنا فيه إلى مختلف الظواهر التركيبية في السورة الكريمة وإحصاء عددي لبنية الجملة الطلبية، والجمل الاسمية والفعلية.

وأخيرًا ختمنا البحث **بخاتمة** أوردت فيها النتائج المتوصّل إليها، وقد تطلّب موضوع هذا البحث في طرق دراسته، وأساليبه منهجًا خاصًّا يناسبه، يتباين هذا المنهج، ويتغيّر بحسب طبيعة المحور المطروق، فقد اتبعنا المنهج الوصفي الذي أملته الدراسة النظرية، حيث تهدف إلى الكشف عن البنية اللّغوية في القرآن بصفة عامّة، والسّورة بصفة خاصّة، وعليه يقتضي تتبّع منهجٍ دقيقٍ في بناء حلقاته المتجانسة. كما اعتمدنا الإحصاء والتّحليل في إحصاء ما ورد من الظواهر المختلفة التي شاركت في بناء المدوّنة.

وكان عمدتنا في هذا البحث، بعد القرآن الكريم برواية حفص مجموعة من المصادر والمراجع، تنوّعت بين المصادر القديمة من الكتب كمعجم العين للخليل، والكتاب لسيبويه، الذي يعدّ بحقٍ عمدة الدارس للّغة العربيّة، و الخصائص لابن جنيّ، والمقتضب للمبرد، ناهيك عن كتب التفاسير ويأتي على رأسها في ظلال القرآن للسيد قطب وأيضًا كتب القراءات والتجويد كالنشر لابن الجزري، وغيرها. أمّا المراجع الحديثة فتنوّعت بين المراجع المتخصصة، والكتب الجامعة لمختلف مستويات الدرس اللّغوي، مثل مناهج البحث لتمام حسان، وعلم اللّغة للسعران....بالإضافة إلى بعض المراجع الأجنبية والتي أثبتناها في ثنايا البحث، وفهرس المصادر والمراجع.

أمّا عن الصعوبات فإنّ أيّ بحثٍ علميّ لا يمكن أن يكون بمنأى عنها، بل لابدّ أن تواجه صاحبه صعوبات ومشاق تفرض عليه أن يتسلّح بالإيمان والصّبر إن أراد أن يأتي على إتمامه، وقد وفّقنا الله سبحانه وتعالى إلى الاستعانة به

والتوكل عليه، والأخذ بالأسباب في مواجهة الصعاب التي كان من أهمّها سعة الموضوع الذي ارتبط بالمستويات الثلاث والذي جعل عمليّة جمع المادّة شاقّة ومتعبة؛ ويؤكّد ذلك أنّنا عندما شرعنا في العمل كان في نيّتنا أن نحيط بجميع مستويات التحليل اللّساني، لكنّنا ما إن سرنا خطوات في بعض المصّنفات التي انتقيناها حتى تبين لنا ضخامة العمل ومشقّته.

وبعد...فإنّنا لا ندّعي السّبق في هذا المجال، وإنما نزعم أنّه كان عملاً توافقيًّا، وبنيّة تضمّ الجيل الذي ما لبث يتقدّم بالدّراسات اللّسانية عامّة والدّراسات التّطبيقيّة خاصة، كي تواكب غيرها من البحوث الغربية المتطوّرة.

فهذا ما استطعنا الوصول إليه في دراستنا، فإن كنّا قد وفينا حقّه ورفعنا درجته، فذلك ما نهدف إليه، وإن يكن غير ذلك فعزاؤنا أنّنا لم ندّخر جهدًا وطاقة في سبيله، وحسبنا أنّنا نشدنا الكمال، وما الكمال إلا لله سبحانه. والباحث يصل إلى هذه المرحلة من دراسته وهو يعلم يقينًا أنّ عمله معتري بالنقص ويتمنّى على من وجد ما ينفعه أن يدعو لكاتبه، وإن وجد خللاً فعليه بالقول الحريري:

وَإنْ تَجد عَيْبًا فَسُدَّا الخَلَلاَ فَجلَّ مَن لاَ عَيْبَ فيهِ وعَلاَ

وإن يكن بدّ من توجيه كلمة شكر، فلا يفوتنا أن نتقدّم بشكرنا الجزيل للأستاذ المشرف، الذي سهر على إخراج هذا البحث بالتقويم والتصحيح، كما نتقدّم بجزيل الشكر للأستاذ رئيس اللجنة على متابعته البحث بملاحظاته السديدة، وأشكر كلّ أساتذتي الذين كان لي بهم شرف الاعتزاز بانتسابي تلميذة لهم. وإنّي لأرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث، وأجبت عن إشكالاته، ولو بشكل جزئي، وأن يكون فيه شيء من الفائدة لمن يطالعه والحمد لله تعالى.

وهران في: 2014/01/14 الموافق لـ 12 ربيع الأول 1435 هـ

الطالبة: صباح دالي

1- البنية اللغوية في الدرس اللساني:

استطاعت الدراسات والأبحاث اللغوية السابقة أن تكون علما لغويا قائما بذاته، لكن طبيعة اللغة المعقدة تطلب من هذا العلم استخدام منهج علمي دقيق لمعالجتها في ذاتها، فانكب الباحثون على دراستها وسبر أغوارها، الأمر الذي جعلها تتطور بشكل مستمر.

فاللغة أصوات ورموز وكلمات وجمل ونصوص، تترجم ما يقصده الفرد والمجتمع، وهي ترجمان الفكر ولسان الخيال والشعراء والأدباء، ومع ظهور الحضارة الإسلامية بدافع ديني محض-كما يعلم الجميع-، ازدهرت الدراسات اللغوية، وعرفت منحى تصاعديا، وبهذا تشبعت الطرق التي سارت فيها الجهود اللغوية عند العرب القدماء الذين اهتموا بالبحث في أسرار إعجاز القرآن الكريم.

ولذلك عمدنا في هذا المدخل إلى تحديد المفاهيم، ومن ثم تتبع الاستعمالات المفهومية والمصطلحية المختلفة التي يحملها مصطلح **البنية**، ونظرا للتنوع المصطلحي وتعدده، بات من الضروري وضع إطار دلالي له.

1- البنية: مفهومها، نشأتها وتطورها:

أ- لغة:

وجدت كلمة "البنية Structure" في مختلف الحقول المعرفية منذ الربع الثاني من القرن العشرين، وذلك باعتبارها كلمة أساسية في الفكر اللغوي الحديث، ولعل التدقيق في إعطاء تعريف للمصطلح الذي نعالجه من المهام الصعبة التي يتكلفها الباحث، لكن تتفق جل المعاجم العربية على ربط مفهوم البنية بالبناء والتشييد الذي هو نقيض الهدم، مع وجود تفاوت طفيف في التفصيل، إذ ورد في "لسان العرب": « البِنية والبُنية، ما بنيته وهو المبني والبني، ويقال بنية مثل رشوة

ورشا، كأن البنية الهيئة التي بني عليها مثل المشية والركبة»[1]، ومن ثم فإن مادة (بنو) تشير في اللسان إلى الدلالة على أن (بنى البناء بنيا وبناء، وبُني بنيانا وبنية وبناية)، والبناء هو المبنى، والجمع أبنية.

يقول "**ابن فارس**": «الباء والنون والياء أصل واحد، وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض، تقول: بنيت البناء أبنيه»[2]. أما "**الفيروز الأبادي**" في القاموس المحيط، فيذكر أن « البنية بالضم والكسر، ما بنيته: البِنى بالكسر، والبُنى بالضم»[3]، وفي التهذيب للأزهري «كأن البنية: الهيئة التي تبنى عليها مثل المشية والركبة»[4]، ويقول "**الجوهري**": «يقال بنية وبنى، والبنية وبنى بكسر الباء مقصور، مثل جزية وجزى، وفلان صحيح البنية، أي الفطرة»[5].

وهكذا نميز الفرق بين البنية والبناء، حيث تبدو (البنية) نعت دال على الهيئة التي تنتظم بها العناصر داخل البناء، وتجمع على بنًى وبنى وبنيات، أما البناء فهو الشيء المبني.

فالبنية تنطوي في المعنى اللغوي الدال على البناء والتشييد والضم، فهي تدل على الشيء المبني، كما تدل على هيئته وشكله، والملاحظ أن هذه الهيئة كما

---

1 – لسان العرب، ابن منظور، تحقيق يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، مادة (بنو).

2– معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر بيروت، ط05، 1979، مادة (بني).

3–القاموس المحيط، الفيروز أبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيرون، لبنان، 2005، مادة (بني).

4–تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط01، 2001، (مادة بني).

5–الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط04، 1987، مادة بنى.

تكون شكلية محسوسة، فإنها قد تكون معنوية. ومن ثم فالبنية كما عرفناها في التعريفات اللغوية والمعجمية هي الطريقة التي يتكون منها إنشاء من الإنشاءات.

ويتميز الاستخدام القديم لكلمة بنية في اللغات الأوروبية بالوضوح، فقد كانت تدل على الشكل الذي يشيد به مبنى ما، ثم لم تلبث أن اتسعت لتشمل الطريقة التي تتكيف بها الأجزاء، لتكون كلاما، سواء أكان جسما حيا أم معدنيا أم قولا لغويا، وتضيف بعض المعاجم الأوروبية فكرة التضامن بين الأجزاء[1].

ولأن مفهوم البنية ذو طابع تجديديّ، فهو أكثر علمية وأشد قابلية للالتقاط على مستويات عديدة، تتدرج من الأبنية الصغرى إلى الأبنية الكبرى، حتى تصل إلى النص كله.

ومن الطريف أننا قد نجد كلمة "**بنية**" مستخدمة في النقد القديم، لكن بالمفهوم المادي الحسي العناصر التي يتكون منها العمل الأدبي، وتدخل في بنائه، كما نجد ذلك عند "**قدامة بن جعفر**"، حيث يستعمل : (بنية الشعر) في قوله: « إن بنية الشعر، إنما هو في التسجيع والتقفية، فكلما كان الشعر أكثر اشتمالا عليها، كان أدخل له في باب الشعر تنحصر في الجانب الإيقاعي الموسيقي المباشر المرتبط بالوزن والتقفيات الداخلية والخارجية»[2]، والذي يبدو من خلال هذا النص أن معنى بنية الشعر هو البناء والتركيب، ويشير أيضا في قوله: « فبنية هذا الشعر على أن ألفاظه مع قصرها قد أشير بها إلى معان طوال»[3]. وما يعنينا الآن هو

1- ينظر، نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط03، 1985، ص175-176.

2- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب، قسنطينة، الجزائر، ط01، 1302هـ، ص17.

3- المرجع نفسه، ص16.

التفاتة إلى كلمة "بنية" التي سيقدر لها أن تكون مرتكزا اصطلاحيا بعد قرون عديدة لفهم العمليات النقدية والشعرية البلاغية[1].

ولا يبعد هذا كثيرا عن أصل الكلمة في الاستخدام العربي القديم للدلالة على التشييد والبناء والتركيب، وتجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم « قد استخدم هذا الأصل حوالي نيفا وعشرين مرة على صورة الفعل بني أو أسماء بناء، وبنيان ومبني لكن لم ترد فيه ولا في النصوص القديمة كلمة بنية[2]، كما في قوله تعالى: ﴿**ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا** ﴾[3]، وفي قوله أيضا: ﴿ **وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا** ﴾[4].

وقد تكون كلمة (بنية) ضمن عائلتها اللغوية أقل الصيغ استعمالا في النصوص العربية القديمة، كما استخدم النحويون والبلاغيون الفعل (بنى) وسائر اشتقاقاته (بناء، بنيان...) مثل تلك الصيغ الاسمية والمصدرية وسائر الاشتقاقات من مصدر ميمي (مبنى)، واسنن فعول (مبني) في سياقات اصطلاحية، وفي النحو العربية تتأسس ثنائية المعنى والمبنى على الطريقة التي تبنى بها وحدات اللغة والزيادة في المبنى زيادة في المعنى، فكل تحول في البنية يؤدي إلى تحول في الدلالة.

ويعبر"ابن سنان الخفاجي" بـ(بنية الكلمة) في قوله: « وكان أبو الحسن يسمي بنية الكلمة الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف»[5]؛ أي

1- ينظر، بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، لونجمان للنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1996، ص169-170.

2- نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط03، 1985، ص136. وينظر، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط04، 1997، ص173.

3 - الكهف: 20.

4 - النبأ: 12.

5- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1982، ص211.

بناء وتركيب الكلام، فهو يقصد إلى عملية التركيب في الكلام وتشكيله على هيئة معينة.

ولا يكاد يختلف هذا الكلام في شيء عن الكرة التي أقرّها "**عبد القاهر الجرجاني**"، وهو يصطنع هذا المصطلح "**بنية الكلمة**" للدلالة على التركيب اللغوي في قوله: « فإن غمض مكان الكاف وكأن، بأن يوصف الاسم الذي فيه التشبيه بصفة لا تكون في ذلك الجنس، وأمر خاص غريب، فقيل: هو بحر من البلاغة، وهو بدر يسكن الأرض، وهو شمس لا تغيب..... فهو أقرب إلى أن نسميه استعارة، لأنه قد غمض تقدير حرف التشبيه فيه، إذ لا تصل إلى الكاف حتى تبطل بنية الكلام، وتبدل صورته فتقول: هو كالشمس المتألقة، إلا أن فراقها هو الغروب، كالبدر إلا أن صدوده الكسوف»[1]. ويبدو أن مفهوم مصطلح "بنية الكلام" يقترب من مفهوم مصطلح "التركيب".

وأرجع كل ذلك إلى السياق المعنوي التركيبي التي ينتظمها، ذلك أن «الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلالها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو بما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك، وتوحشك في موضع آخر»[2].

1- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د.ط)، (د.ت)، ص329.

2- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق محمد النجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط03، 1999، ص54.

وقد استشهد "**الجرجاني**" لذلك بكلمات محددة في أبيات مختلفة، منتهيا إلى أن اللفظة الواحدة تبدو مقبولة حسنة في موضع، وضعيفة مستكرهة في موضع مغاير.

ويصطنع الباحثون عادة مصطلح البنية مقابلا للمصطلح الغربي (Structure)، على أن ترجمات هذا المصطلح إلى اللغة العربية قد كثرت وتنوعت.

وأن هذا الحد المصطلحي نفسه قد انتقل إلى الكتابات العربية بكيفيات لغوية مختلفة، تقترب حينا من مفهومه الغربي، وتنأى عنه حينا آخر، لكن المفاهيم نختلط أكثر باستحضار بعض المرادفات الاصطلاحية التي تقع على محيط المفهوم المركزي[1]. ولعل مصطلح "البنية" هو الأكثر استعمالا وانتشارا في الدرس اللساني العربي الحديث.

وهي عند الغربيين مشتقة من الفعل اللاتيني (Strucre) والذي يعني بنى وشيّد، أو يعني البناء أو الطريقة التي يقام بها مبنى ما، وتدل هذه الكلمة في اللغة الفرنسية على معان مختلفة ومتعددة إلا أنها متقاربة[2]، مصطلح بنية هي كلمة أساسية في الفكر الحديث، وهي معقدة بشكل خاص في كثير من تطوراتها الحديثة، ترجع إلى كلمة (Structure) الفرنسية، والتي كانت « بشكل رئيسي اسم عملية: فعل البناء في معناها تطورت الكلمة بشكل ملحوظ في القرن 17م في اتجاهين رئيسيين:

1-ينظر: البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية، مقال نشر على موقع جامعة قسنطينة، للباحث يوسف وغليسي، رصد من خلاله جميع الترجمات وناقشها وأورد مراجعها ومصادرها، ص14 وما بعدها.

2-ينظر: الكلمات المفاتيح، ريمون وليمز، ترجمة نعيمان عثمان، المركز الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2007، ص300.

(1) نحو الناتج الكامل للتشييد، كما لا يزال في " Wooden structure" بناء خشبي؛

(2) ونحو طريقة البناء ليس فقط في المباني، ولكن كذلك في استعمالات أوسع ومجازية»[1]. ويشير الباحث إلى أن معظم التطورات الحديثة لهذه الكلمة، قد انحدرت من المعنى الثاني.

ب-اصطلاحا:

ظهر المفهوم الحديث للبنية مع المنهج البنوي، الذي رسمت خطوطه الأولى المدرسة السويسرية بزعامة العالم اللغوي "فرديناند دي سوسير F.De Saussure"(1857-1913) مؤسس اللسانيات الحديثة وأبوها كما يسمى كناية، عبر محاضراته الشهيرة بجامعة جنيف خلال الفترة الممتدة بين (1906-1911)، ثم انتشرت بعد وفاته بثلاثة سنوات برعاية تلميذيه: "**شارل بالي**" و"**سيشهاي**"، وقد ابتعد "**فرديناند دي سوسير**" الدراسات اللغوية التاريخية ، وراح ينظر للمنهج البنيوي.

إذ يعد كتاب العالم أول مصدر للبنيوية في الثقافة الغربية، فقد كانت البنية بالنسبة له ترابط داخلي بين الوحدات التي تشكل نسقا لغويا، لا تتصف بصفات باطنية، بل باختلافها عن وحدات أخرى، يمكن مقارنتها بها والوصول إلى الوحدة الصوتية. وبذلك كان له الفضل في كل الأعمال البنيوية الحديثة[2]، « لكن سوسير لم يحظ في البلاد الأنجلوسكسونية بمثل ما حضي به في فرنسا من التقدير والتأثير، إذ يعتبر هناك من آباء العقل المعاصر الكبار»[3]. ويعتقد كثير من الباحثين أن

1- الكلمات المفاتيح، ريمون وليمز، ص300.

2- ينظر، البنوية وما بعدها من ليفي ستراوس إلى دريدا، جون ستروك، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، 1996، ص10.

3- المرجع نفسه، ص10.

سوسير استعمل كلمة البنية التي تنهض عليها البنيوية، لكنه لم يستعمله بمفهومه البنيوي، ولكن تحدث عن مضمونه وأرسى معالمه تحت مسمى كلمة النظام (Système)، ليتأجل الظهور الفعلي للمصطلح بمفهومه الحديث إلى سنة 1929، غداة انعقاد المؤتمر الأول للغويين السلاف في براغ (Prague)، حيث أصدروا بيانا استخدموا فيه كلمة بنية[1].

وهكذا ظهر المصطلح ليعلن عن ثورة علمية كبيرة بعد أن ترعرع في أحضان الفكر الشكلاني، حيث تقر أكثر الدراسات تخصصا في هذا الشأن أنها "النتيجة النهائية للتنظير الشكلاني"مع العلم أن الشكلانية الروسية، قد تأثرت بالنظرية السويسرية عن طريق "جاكبسون"[2] وبعدها اجتاحت هذه الكلمة كل الفلسفات والمناهج، وأزاحت مفاهيمها عن الريادة، فأخذ ينتشر ويمتد لتتلقفه حقول معرفية كثيرة، وتمت الكتابة فيها من قبل العلماء في مختلف حلقات البحث العلمية، بدءا بحقل الأدب وانتهاء بالنقد الأدبي، والأنتروبولوجيا، ومضت تقوى وتسعى إلى أن تكون علما، فتعددت المجالات التي تتبناها، خاصة مع أعمال أقطاب البنيوية، وهم: "**ليفي ستراوس** C.Lévi-Strauss" في أعماله الأنتروبولوجية، و"**لوي ألتوسير** L.Althusser"، و"**ميشال فوكو** M.Foucault"، و"**جاك لاكان** J.Lacan"، و"**رولان بارث** R.Barthes".

ولنحاول الآن أن نتوقف عند بعض التعريفات العلمية المختلفة لكلمة "بنية" لدى جماعة من أهل البنيوية والشكلية، حتى نقف على دلالتها، التي طالما اختلف الباحثون في تعريفها، وقد تعددت وتنوعت مفاهيمها، مما يجعل تحديد مفهوم واحد للبنية، أمرا شبه مستحيل، ولذا نجد الفرنسي "**جان بياجيه Jean**

1- ينظر مشكلة البنية، إبراهيم زكريا، دار مصر للطباعة، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص44.

2- ينظر البنية والبنيوية، يوسف وغليسي، ص06.

Piaget" يرى بأن البنية لهي نسق من التحولات له قوانينه الخاصة، باعتباره نسقا (في مقابل الخصائص المميزة للعناصر)، علما بأن من شأن هذا النسق أن يظل قائما ويزداد ثراء بفضل الدور الذي تقوم به تلك التحولات نفسها، دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق، أو تهيب بأية عناصر أخرى تكون خارجة عنه[1].

فبياجيه عرّف البنية باعتبارها نسقا من التحولات، وهذا النسق يتسم بالكلية، وذلك حصر خصائصها في ثلاثة عناصر:

- **الكلية** (La totalité): والتي تحيل على التماسك الداخلي للعناصر التي ينتظمها النسق.
- **التحولات**(Les transformation): التي تفيد أنه نظام من التحولات لا يعرف الثبات، فهي دائمة التحول والتغير، وليست شكلا جامدا، وهي أن البنية لا يمكن أن تظل في حالة سكون مطلق.
- **الضبط الذاتي** (L'autoréglage): الذي يتكفل بوقاية البنية وحفظها حفظا ذاتيا، ينطلق من داخل البنية ذاتها، لا من خارج حدودها.

والمقصود بالسمة الأولى من هذه السمات –الكلية– أن البنية لا تتألف من عناصر خارجية تراكمية مستقلة عن الكل، بل تتكون من عناصر داخلية خاضعة للقوانين المميزة للنسق، من جهة هو نسق، وهذا النسق يتسم بالكلية؛ أي استقلالية من جهة أنه لا يتكون إلا من عناصر داخلية، وشمولية من جهة خضوع هذه العناصر التي تحكم العلاقات القائمة بينها، والتي تميز هذا النسق باعتباره كلا[2].

1- ينظر البنيوية، جان بياجيه، ترجمة عارف منينة، وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط01، 1985، ص08.

2- ينظر المرجع السابق، ص09-13.

والمقصود بالسمة الثانية التغيرات (التحولات)، فهو أن المجاميع الكلية تنطوي على ديناميكية ذاتية، تتألف من سلسلة من التغيرات الباطنية التي تحدث داخل النسق أو المنظومة، خاضعة في الوقت نفسه لقوانين البنية الداخلية دون التوقف على أية عوامل خارجية. وهنا تتدخل السمة الثالثة (الضبط الذاتي أو التنظيم الذاتي)، والتي تمكن البنية من تنظيم نفسها، كي تحافظ على وحدتها؛ أي أن التحولات تلك، لا تعدو حدود البنية، كما تمكنها من الاستمرارية، بأن تولد دائما عناصر تنتمي إلى البنية نفسها[1].

أما "كلود ليفي ستراوس C.Lévi-Strauss " فيعد زعيم البنائية الفرنسية، ومؤسس البنائية الأنتروبولوجية، حيث عمّ مفهومه عن البنية على جميع فروع المعرفة البشرية، وتوسع في نظرته للبنائية لتشمل الكون بأسره، فقد درس هذا الأنتروبولوجي المجتمعات الفطرية والهندية في البرازيل، وخاصة بعد أن حاول تطبيق بنيوية "فرديناند دي سوسير" في دراسته للمجتمعات البدائية، وفي تحليله للأساطير، حيث رأى بأن الأسطورة كأي كيان لغوي تشكل من وحدات داخلة في تكوينها. ومن ثم عرض حديثا مستفيضا عن البنية، موضحا مفهومها، حيث يرى أنها عبارة عن نظام أو نسقا يمكن الكشف من خلاله عن ظواهر الأشياء واقعيا، أي أنها لا تدرك من تجارب الواقع إدراكا تجريبيا، وإنما تدرك انطلاقا من النماذج المبنية من خلال ذلك الواقع[2].

لقد اشتمل كتابه "الأنتروبولوجيا البنيوية" على أهم أسس وقواعد البنائية الأنتروبولوجية، وهو في هذا ينطلق من تعريف البنيوية بأنها محاولة علمية منهجية في مجال الأنتروبولوجيا، ونجد عنده تعريفا أقرب إلى تعريف "**بياجيه**" يؤكد فيه على الطابع النسقي للبنية، حيث يقول: « تتسم البنية بطابع المنظومة، فهي تتألف من

1- ينظر مشكلة البنية، إبراهيم زكريا، ص30، 31.

2- ينظر الأنثروبولوجيا البنيوية، لكلود ليفي ستراوس، ترجمة مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، د.ط، 1979، ص328، وينظر: مشكلة البنية، إبراهيم زكريا، ص30، 31.

عناصر يستتبع تغير احدها تغير العناصر الأخرى كلها. ثانيا: كل نموذج ينتمي إلى مجموعة من التحولات التي يتطابق كل منها نموذجا من أصل واحد»[1]. كما يؤكد على الطابع التجريدي للبنية باعتبارها نظاما آليا لا شعوريا، يكمن من خلق العلاقات المدركة المحسوسة، ويلح على أن الفرق بين الشكلية والبنيوية، هو أن الأولى تفصل تماما بين جانبي الشكل والمضمون، لأن الشكل هو القابل للفهم، أما المضمون فلا يتعدى أن يكون بقايا خالية من القيمة الدالة، أما البنيوية فهي ترفض هذه الثنائية[2].

وقد اتخذ المفكر الفرنسي "ميشيل فوكو M.Foucaut" من المنهج البنيوي أساسا للربط بين دراسة التاريخ ونظرية المعرفة، وانطلق في رؤيته للتاريخ من تعريفه للبنيوية بأنها مجموعة من العلاقات الثابتة بين عناصر متغيرة، وأن هذه العلاقات يمكن أن ينشأ على منوالها عدد لا حصر له من النماذج، لذلك رأيناه يرفض أداء العديد من البنيويين حول استقلالية الخطاب وانغلاقه، وتحديد الخطاب بالمستوى الإبستمولوجي الثقافي الضيق، ويرى أن الخطاب بنية إدراكية لا شعورية[3].

ويرى "لوسيان جولدمان **L.Gauldman**" أن مفهوم البنية في أوسع معانيه يشير إلى « نظام من علاقات داخلية ثابتة، يحدد السمات الجوهرية لأي كيان، ويشكل كلا متكاملا لا يمكن اختزاله إلى مجرد حاصل مجموع عناصره، وبكلمات أخرى يشير إلى نظام بحكم هذه العناصر فيما يتعلق بكيفية وجودها وقوانين تطورها»[4].

1- الأنثروبولوجيا البنيوية، كلود ليفي ستراوس، ص328.

2- ينظر مشكلة البنية، إبراهيم زكريا، ص33.

3- ينظر البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، جول ستروك، ص100.

4- علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط01، 2007، ص542.

أما عن النفساني "جاك لاكان Jacques Lacan" فإنه زاوج بين المنهج البنيوي والتحليل النفسي، حيث اهتم بدراسة اللاشعور باعتباره لغة ذات بنية، وعن هذا يقول: « إن بنية اللاوعي شبيهة ببينة اللغة»[1].

وكذلك لجأ "**جاك دريدا J.Derida** " إلى تفسير مصدر البنية، حيث أكد على عدم وجود البنية المركزية مستنتجا ذاك انطلاقا من المقارنة بين بناء الفكر الإنساني وبين البناء الإنشائي[2].

ونستخلص من جملة هذه التعريفات أن "**البنية**" حققت من التراكم في البحوث والدراسات ما يجعل منها مادة للبحث والمراجعة، وأنها لا تختلف في الغالب عن تعريف "**بياجيه**" في كتابه "**البنيوية**" و"**شتراوس**" في كتابه "**الأنتروبولوجيا البنيوية**"، إلا أن اختلافات بسيطة نتجت عن تعدد واختلاف الخلفيات المعرفية، والمجالات العلمية التي ينتمي إليها بعضهم، والتي تأطرت ضمنها هذه التعريفات من ألسنية "**دي سوسير**" وأنتروبولوجية "**ستراوس**"، ونفسانية "**بياجيه وجاك لاكان**"، وحفريات "**ميشال فوكو**" التاريخية ....وكلها تؤكد على السمات الثلاث: الكية والتحولات والتنظيم الذاتي، إضافة إلى أن البنية عبارة عن نسق من التحولات له قوانينه الخاصة (العلاقات)، زيادة على الطابع التجريدي (مقولة مجاميع الكلية).

وأبرز ملاحظة يمكن أن نسجلها لهذا المصطلح أنه تصور عقلي أقرب إلى التجريد منه إلى التحديد، نعقله من علاقات بين الأشياء. وبالتالي فهي قانون كلي يفسر التركيب، وهي العناصر التي يتركب منها، والعلاقة التي تربط بينها.

1- البنيوية وما بعدها، جون ستروك، ص147.

2-ينظر البنيوية وما بعدها، جون ستروك، ص200.

2- الخطاب القرآني وخصائصه:

1- الخطاب القرآني:

لقد نزل القرآن الكريم باللغة العربية على نمط يعجز قليله وكثيره معا، تلك اللغة التي حباها الله سبحانه وتعالى، وفضلها على لغات سائر الأمم، لأنها أوتيت من الخصائص ما لم تؤت لغة أخرى، وقد كان ذلك تمهيدا لأن تكون الحجة والدليل على نبوة الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم–.

فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته، وعلى هذا الأساس فتن الناس على تعلم اللغة العربية رغبة في إتقان القرآن قراءة وفهما، فقدموا الدراسات والأبحاث عليه.

ومن منطلق المنهج المتبع في الدراسة، أي المنهج اللغوي الذي يجمع بين الجانب النظري والمعالجة التحليلية التطبيقية، نعرج على مفهوم "الخطاب" لغة، فهو مستمد من الفعل "خطب" التي تعني في أول دلالاتها اللغوية « "الخَطْب"، وهو الأمر العظيم الذي تقع فيه المخاطبة، ومنه قولهم: حل الخطب، أي عظم المر والشأن، وجمعه خطوب..... وخطب الخطيب خطبة بضم الخاء، الكلام المنثور المسجع ونحوه»[1].

الخطاب مصدر ثان للفعل الرباعي "خاطب"، نقول: « خاطبته مخاطبة وخطابا»[2]، وجذره: « الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين»[3]، وفي أساس البلاغة نجد الخطاب: « هو المواجهة بالكلام، واختطب القوم فلانا إذا

1- القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مادة (خطب).

2- جمهرة اللغة، ابن دريد، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، مادة (خطب)، ج02، بيروت، ط01، 1987، ص291.

3- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة خطب، مج01، ج02، ص198.

توجهوا إليه بخطاب»[1]. وهي كلها معان تؤشر على الحدوث، واستدعاء التخاطب، واستنفار الجماعة، وتحيين الخطابة فيهم.

وبناء على هذه الدلالة اللغوية للخطاب التي تحدد إحداثيات الحقل الدلالي، والرؤية اللغوية والبيانية لمفهوم الخطاب، تم تأسيس المفهوم الاصطلاحي للخطاب باعتباره «نسق التكلم (التفاعل) ومنطقه الذي علينا أن نلتزمه في كل موقف تواصلي.... لذلك نجد من خصائص الخطاب، وفق هذا المفهوم: الواقعية والتعالي في آن معا، أو التناهي واللاتناهي في الآن نفسه»[2].

فكلمة (خطاب) ورد استعمالها في اللغة العربية بوضوح جلي، ووردت أيضا في القرآن الكريم، مما أهلها لأن تكون مصطلحا علميا ذا قيمة كبيرة، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** ﴾[3].

وأعرّف الخطاب القرآني أنه الزيادة البيانية ذات اللاحقة النسبية (القرآن+ي) تشير إلى أنه خطاب مفارق لكل أنواع الخطابات، فهو خطاب القرآن للمتلقي أيا كانت مرتبته، فعلى الرغم من كونه نزل بلغة العرب التي يعهدون، ولم يخرج في كليته عن مألوف الكلام، ولا خاطبهم بما يجهلون، وإلا صارت حجة لهم، وما أكثر ما حاولوه، لكنه خرج عن مرتبة ما تباروا فيه، فلا هو بالشعر،مع ما فيه من إيقاع يشد الأذن، ويأسر الحس، ولا بالنثر على ما فيه من تفصيله، فالخطاب القرآن يختلف عن الخطاب التراثي في القراءة، كما سبق التنبيه لذلك، فهو حي من الله تعالى حمله جبريل عليه السلام إلى محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهو موجه إلى الناس (المتلقين) بمقتضى معهودهم اللغوي وسياقهم الثقافي، لكن بطابع متعال وإعجازي، كما يقول سبحانه وتعالى:

1- أساس البلاغة، الزمخشري، دار صادر، بيروت، لبنان، ط01، 1992، ص176.

2- الخطاب والنص: المفهوم-العلاقة-السلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 2008، ص36.

3- الفرقان: 63.

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1].

ولأنه جاء في كل الأحوال موجها إلى الناس من أجل إقناعهم في أمور دينهم ودنياهم، وحملهم على الانضباط لها والعمل بها، كان لابد أن يتأسس المنزول على هذا المعهود من الخطاب، وذلك ما ذهب إليه الطبري في مقدمة تفسيره، مشيرا إلى خضوع الخطاب القرآن لحركية الفهم المنبثقة من مجال اللغة، وأحوال الخطاب والمخاطب قائلا: « إنه غير جائز أن يخاطب جل ذكره أحدا من خلقه، إلا بما يفهمه المخاطب، ولا يرسل إلى احد منهم رسولا برسالة إلا بلسان وبيان يفهمه المرسل إليه، لأن المخاطب والمرسل إليه إن لم يفهم ما خوطب به، وأرسل به إليه فحالة قبل الخطاب، وقبل مجيء الرسالة إليه وبعد سواء، إذ لم يفد الخطاب والرسالة شيئا، كان به جاهلا، والله جل ذكره يتعالى عن أن يخاطب خطابا أو يرسل رسالة لا توجب فائدة، لمن خوطب أو أرسلت إليه»[2]، ولو لم يتحد القرآن مع كلام العرب، ولم يرسل ببيان يفهمونه لما كان إعجازه وهذا معتبر في النظر إلى الخطاب القرآني، وداخل في صميم منهجية التعامل معه، فليس الدّارس أيًّا كان: يهدف إلى البحث عن الإعجاز، وخصوصيّة الأدبيّة أو الشعريّة، موجودة هي أم مفقودة؛ بل ينبغي أن ينطلق من أنها حقيقة مقرّرة، لكن عمله هو البحث عن مظاهرها، ووضع اليد على بعض مكامنها، خلاف ما يجري مع الخطابات البشريّة، ومن ثمّ «فلا مجال لسبر كنه القول القرآني من حيث هو أدبية بمسبر الإبداعية البشريّة»[3].

إنّ نظم الخطاب القرآني في درجة واحدة من الرّفعة، عكس ما يحدث بشكل متكرّر في الإنشاء البشري، بحيث لا يجري كلام الآدمي شاعرًا كان أو ناثرًا

1- الإسراء: 88.

2- ينظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص190.

3- الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998م، ص5.

على نمط واحد، ولا هو يغدو بالوثيرة نفسها من الجودة، إلاّ قليلا، في النص الواحد أحيانًا، وإن استقام له ذلك في موضعٍ من الإنشاء، تعذّر عليه في سائر إنتاجه؛ والناظر منا يجد حتمًا «في كلام غيره موضع فترة من الطبع أو غفلة من النّفس، أو أثرًا من الاستكراه يبعث عليه باعث من أمور كثيرة تعتري البلغاء في صنعتهم، فيضطرب لها بعض كلامهم، ويضعف بعض معانيهم ويقع التفاوت في الأسلوب الواحد ضعفا وقوّة»[1].

ومع أن القرآن في تماسك وحداته البنيويّة، وتلاحم بناه الدلاليّة، يشكّل وحدة لا يمكن بحال أن ينفصل جزء منها عن نظيره غير أنّه يمكن أن نتحدّث عن تقسيمات فرعية داخل الوحدة الكليّة، فالآيات والسّور، وهي كلّها توقيفيّة، ولا اجتهاد فيها، كما يمكن الحديث عما يسمى بالقرآن المكي، والقرآني المدني، لا على إمكانية الانفصال.

2- أهمية الخطاب القرآني في الدرس اللساني:

لقد نزل القرآن الكريم وهو فريد في نظم ألفاظه، وتأليف عباراته وارتباطها ببعضها البعض، ودقة مدلولاته، وقد كثرت حوله الشروح وتعددت القراءات والتفاسير والرؤى بتعدد وجهات الناظرين، انطلاقا من ميولاتهم العلمية والفكرية، ولذلك فإنَّ أولى ما عني باغي العلم بمراعاته، وأحقّ ما صرف العناية إلى معاناته ما كان من العلوم أصلا لغيره منها، وحاكمًا عليها ولها فيما ينشأ من الاختلاف عنها، وذلك هو القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»[2]. وهذه الغيرة على القرآن هي التي جعلت الجيل الأول من الصحابة يسابق الزمن، ويعجل بوضع الأسس الأولى لعلم النحو، وما « وجد في القرن الأوّل من تأملات

1-إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مصطفى الصادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط02، 1999، ص190.

2- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، تح: محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط3، 1987، ص1.

نحوية أو محاولات لدراسة بعض المشاكل اللّغويّة كان الحافز إليه إسلاميًّا ولم يقصد لذاته، وإنّما لاعتباره خادما للنص القرآني، ومن ذلك محاولة ابن عباس (رضي الله عنهما) جمع الكلمات الغريبة من القرآن وشرحها إن صحت نسبة (غريب القرآن) إليه، فقد كان من الصحابة الذين اهتموا بلغة العرب، وتسخيرها لتفسير القرآن، وقد تصدر علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– علم التفسير، وكذلك محاولة أبو الأسود الدؤلي ضبط المصحف بالشكل حين استحضر كاتبا وأمره أن يتناول المصحف، وأن يأخذ صبغت يخالف لون المداد ليضع نقطة فوق الحرف إذا رآه يفتح شفتيه، وتحت الحرف إذا رآه يخفض شفتيه، وبين يدي الحرف إذا رآه يضم شفتيه، أما إذا أتبع الحرف الأخير غنة، فينقط نقطتين فوق بعضهما، أمّا الحرف الساكن فقد تركه»[1].

وشاع اللّحن في العصر الأموي حتّى تطرق من البلغاء من الخلفاء والأمراء كعبد الملك والحجاج والنّاس يومئذ تتعاير به، وكان مما يسقط الرجل في المجتمع أن يلحن، وخاصة في قراءة القرآن، ولعل قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع العرابي اكبر دليل على ذلك، فقد روي أي أعرابيا قدم في زمانه –رضي الله عنه– فقال: «من يقرئني مما انزل على محمد –صلى الله عليه وسلم– فأقرأه رجل سورة "براءة"، فقال: ﴿**أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾[2]. كسر اللاّم في (رسوله)، فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله؟ فإن يكن الله بريء من الرسول فانا أبرأ منه، فبلغ عمر مقالة العرابي: فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني فأقرأني هذا سورة "براءة"فقال: ﴿**أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾ بكسر اللاّم في (رسوله)، فقلت أو قد برئ الله من رسوله، عن يكن الله بريء من رسوله، فأنا أبرأ منه، فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي،

1– الفهرست، لابن النديم، تح: مصطفى الشويمي، الدار التونسيّة للنشر، تونس، 1985، ص191.

2– التوبة: 03.

قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ قال: ﴿**أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾، فقال الأعرابي: وأنا أبرأ مما برئ الله ورسوله منه، فأمر عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– ألا يقرأ الناس إلا عالم باللغة[1].

ولأن اللحن كان مرفوضا حتى في عامة كلام الناس لدرجة أن أحدا مثل عمر بن عبد العزيز كان يقول: «إنّ الرّجل ليكلّمني في الحاجة يستوجبها فيلحن فأردّه عنها وكأني أقضم حَبَّ الرُّمان الحامض لبغضي استماع اللّحن، ويكلّمني آخر في حاجة لا يستوجبها فيعرب فأجيبه إليها التذاذا لما أسمع من كلامه»[2].

وبعد أبي الأسود نشط التأليف اللّغوي، إلى أن اكتملت معالمه مع ظهور كتاب سيبويه والذي أصبح يسمى فيما بعد بقرآن النحو، وبقي القرآن في كل ذلك النص الوحيد الموثوق بصحته والمقطوع بسلامته البعيد عن التحريف والتبديل»[3]المعتمد في الاحتجاج على القواعد النّحوية إذ هو «أعرب وأقوى في الحجة من الشعر»[4]، ولهذا اتفق البصريون والكوفيون على جعله أصلاً كبيرًا، من أصول الاستشهاد في وضع القواعد النحويّة والأخذ بها لأنّه نزل بلغة قريش التي

1-ينظر: تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله الأنصاري القرطبي، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج01، ط02، (د.ت)، ص21.

2- الأضداد، محمد الأنباري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1987، ص244، 245.

3- المركب الاسمي الإسنادي و أنماطه من خلال القرآن الكريم، د.أبو السعود حسنين الشاذلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1990، ص5.

4- معاني القرآن للقراء، تح: أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار، مطبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة، ج1، 1955، ص14.

انتصرت لهجتها على جميع لهجات العرب لعوامل متعددة منها الجغرافية والدّينية والاقتصاديّة والسياسيّة[1].

كما عكف العلماء على القراءات القرآنيّة وخاضوا في التّأليف فيها والاعتناء بها في مجال العربيّة «فإلى جانب القيمة الدينية للقراءات نجد لها قيمة لغويّة خاصة لأنّها تحوي ثروة لغويّة ضخمة لا يستغني عنها دارس العربيّة، ولأنّها تسجل كثيرا من الظواهر اللّهجية مما أهملته كتب اللغة والنحو، هذه الأهميّة جعلت بعض النحاة يوجه عنايته نحوها، يكشف أوجه القراءة للآية ويستجلي خصائصها»[2].

ويأتي القرن الرّابع الهجري ليحمل إلينا العالم الجليل (ابن جنيّ – ت392هـ) وهو أوّل من أفرد المباحث الصّوتيّة في كتابه سرّ صناعة الإعراب «ونظر إليها على أنَّها علمٌ قائمٌ بذاته»[3]، واستعمل في كتابه هذا ولأوّل مرّة مصطلح "علم الأصوات" إذ يقول: «ولكنّ هذا القبيل من هذا العلم أعني علم الأصوات والحروف، له تعلّق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنّغم»"[4]" وبسط فيه الكلام عن حروف العربيّة مخارجها وصفاتها، وأحوالها، وما يعرض لها من تغيير يؤدّي إلى الإعلال والإبدال أو الإدغام، والفرق بين الحركة والحرف، ومزج الحروف وتنافرها[5].

1- ينظر المدرسة النحوية في مصر و الشام، عبد العال سالم مكرم، دار الشرق، ط1، 1980، ص223-229.

2- البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رابح دوب، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 1997، ص47.

3- ينظر البحث اللّغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، دار الكتب، القاهرة، ط4، 1982.

4- سرّ صناعة الإعراب، ابن جنيّ، تح: حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق، ج1، ط1، 1985، ص9.

5- ينظر، المصدر نفسه، ج1، ص4- 8- 9.

3- التّعريف بالسورة الكريمة:

وقف المفسّرون والبلاغيون واللّغويون في دراستهم لكتاب الله تعالى عند نظرات جزئيّة، أدركوا فيها بعض مواطن الجمال في الآيات المتفرّقة، وبالرّغم من كثرة الدراسات – على امتداد التّاريخ- حول بيان القرآن وإعجازه، إلاّ أنّ هذه الأبحاث – على ما أسهمت به في إثراء الدراسات القرآنية – لم تغط بشكل شامل الخصائص العامّة للبحث اللّغوي في القرآن الكريم، بل إنّها اقتصرت على إدراك مواضع الجمال المتفرّقة فيه دون الوقوف على عامل موحد يجمعها.

ومن هذا المنطلق نبدأ بتعريف السّورة التي ستكون نموذجًا للتّحليل اللّساني. فسورة الكهف من السور المكيّة، وهي إحدى السور التي بدأت "بالحمد" وهذه السّور هي: (الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر) وكلّها تبتدئ بتحميد الله جلّ وعلا تقديسه، والاعتراف له بالعظمة والكبرياء والجلال والكمال، والسورة نزلت بعد سورة الغاشية، وقبل سورة الشورى. قال القرطبي: «سورة الكهف مكيّة في قول جميع المفسرين، وروي عن فرقة أنّ أوّل السورة نزلت بالمدينة إلى قوله جزرا»[1].

وعدد آياتها مائة وعشرة آية، ولو تتبّعنا السّورة لوجدناها تقع في الجزء الخامس عشر من أجزاء القرآن بعد سورة الإسراء، ولهذا تحظى بكرامة قرآنيّة خاصّة، إذ لوضعها على التّرتيب الذي وردت فيه مناسبة حسنة ألهم الله إليها أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) لما رتّبوا المصحف، فإنّها تقارب نصفه، إذ كان في أوائلها موضع قيل: هو نصف حروف القرآن، وهو التاء في قوله تعالى: وليتلطّف، وقيل نصف حروف القرآن هو: "النون" من قوله تعالى: ﴿**لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا**﴾[2] في أثنائها، وهي مفتتحة بالمدّ لله حتّى يكون افتتاح النصف الثاني

1- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق الشيخ عرفات لعشا وآخرين، دار الفكر، بيروت، 1995/1415، ج10/ص: 311.

2- الكهف: 74.

من القرآن بـ: "الحمد لله" كما كان افتتاح النصف الأوّل «بالحمد لله»[1] وسمّيت بهذا الاسم بما فيها من المعجزة الربّانيّة في تلك القصة العجيبة، قصة أصحاب الكهف الذي أوى إليه الفتية فكان فيه نجاتهم وعصمتهم وهي تدور حول محور من المحاور الأساسية والركائز الجوهرية لهذا الدين، إنه الهدف الأساسي الذي نزل من أجله القرآن الكريم.

1- ينظر التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، دت، ج15/ص244، 245.

أ- **محتويات السورة:**

القصص هو العنصر الغالب في هذه السّورة ففي أوّلها تجيء قصّة أصحاب الكهف، وبعدها قصة الجنّتين، ثمّ إشارة إلى قصّة آدم وإبليس، وفي وسط السورة تجيء قصة موسى (عليه السّلام) مع العبد الصالح (الخضر عليه السّلام) وفي نهايتها قصة ذي القرنين. ويستغرق القصص معظم آيات السورة، فهو وارد في إحدى وسبعين آية من عشرة ومائة آية[1] وقد استعملت السورة ثلاث أمثلة واقعيّة لبيان إنّ الحقّ لا يرتبط بكثرة المال والسلطات، وإنّما هو يتعلق "بالعقيدة" فالأوّل للغني المزهو بماله، والفقير المعتز بعقيدته وإيمانه، وذلك في قصة الجنتين في الآيات (32-44) والثاني: للحياة الدنيا وما يلحقها من فناء وزوال في الآية (45) والثالث: للتكبير والغرور في حادثة امتناع إبليس عن السجود في الآية (50) وكلّ هذه القصص تقصّ العظة والاعتبار[2].

ب- **سبب نزول السورة:**

ذكر محمّد بن إسحاق عن ابن عبّاس (رضي الله عنهما) قال: بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم من محمّد؟ وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنّهم أهل الكتاب الأوّل، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتّى أتيا المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنّكم أهل توراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا، فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث مسائل فإنْ أخبركم بهنّ فهو نبيّ مُرسل، وإلاّ فرجل متقوّل، فروا فيه رأيكم، اسألوه عن فتية ذهبوا في الدّهر الأوّل ما كان من أمرهم فإنّهم قد كان لهم حديث عجيب؟ وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان خبره؟ وسلوه

1- ينظر في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط7، ج17، 1971، ص170.

2- ينظر صفوة التفاسير، محمّد علي الصابوني، دار الفكر، بيروت، ج2، ص408.

عن الرّوح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبيّ فاتّبعوه، وإن لم يخبركم، فإنّه متقوّل فاصنعوا في أمره ما بدا لكم، فأقبل النضر وعقبة حتّى قدما على قريش، فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمّد، أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها، فجاؤوا رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) فقالوا يا محمّد! أخبرنا، فسألوه عمّا أمروهم به، فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) أخبركم غدا عمّا سألتم عنه، ولم يقل إن شاء الله، فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) خمسة عشرة ليلة لا يحدّث الله له في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبريل حتّى أرجف أهل مكّة، وقالوا: وعدنا محمّد غدا، واليوم خمس عشرة، وقد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عمّا سألناه عنه، وحتّى أحزن رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) مكث الوحي عنه، وشقّ عليه ما يتكلّم به أهل مكّة، ثمّ جاءه جبريل من الله عزّ وجلّ، بسورة الكهف، فيها معاتبته إيّاه على حزنه عليه، وخبر ما سألوه من خبر الفتية والرجل الطوّاف[1].

إن المتأمّل لهذه الرواية يمكن أن يستخلص ما يلي:

1- هناك باحث أو سائل (المشركون) عن سبب الدعوة ليتأكدوا من حقيقتها.
2- مقترح الأسئلة (اليهود) مع سبب معرفتهم لما يسأل عنه.
3- اقتراح أسئلة دون غيرها يوحى بأن الموجه له السؤال بعجز عن الإجابة.
4- السؤال موجه للنبي (صلى الله عليه وسلّم).

5 – هناك ثلاثة أسئلة طرحت عن النبي(صلى الله عليه وسلّم)

5- وعد النبي(صلّى الله عليه وسلّم) بالإجابة عنها.

1- ينظر صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج2، ص408، والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص242، 243.

6- تأخر الوحي (خمسة عشرة يوما).

7- المقام مقام اختبار.

توطئة:

اللّغة مجموعة من الأصوات، تتألّف في نسق منتظم لتعبر عن الأفكار الإنسانيّة، وترمز إلى محسوسات الوجود ومجرداته الذي يعيش الفرد في وسطه. وتعدّ اللّغة العربيّة من أثرى اللّغات الساميّة في مستوياتها اللغوية المختلفة، وأوفرها حظا من حيث العناية بها. ولعل المستوى الصوتي هو الأشد بروزا، والأكثر اهتماما به لاتصاله بتلاوة القرآن الكريم وترتيله، ولهذا حظي بعناية خاصة من الباحثين قديما وحديثا، أفضت إلى الإلمام بدراسة أصوات العربية في نواحها الصوتية والتشكيلية، وأماطت عن اختلافات وفروق بين هذه الأصوات من حيث النطق، والزمن الذي يستغرقه إحداث كل صوت من أصواتها، وكشفت أيضا عن اشتراك بعض أصواتها في صفات معيّنة وإنفراد بعض منها بصفات خاصة.[1]

والباحث في الصوت ينهج سبيل الدراسة الصوتيّة، التي تقوم بتناول الصّوت بوصفه وحدة منتزعة من التركيب، كأن ندرس أصوات السورة الكريمة، من زاوية المخارج والصفات، وكيفية تشكيلها وتألفها في البناء.

إنّ الصّوت اللغوي: هو العنصر الذي يدخل في تركيب الكلمة وبنائها (Structure) وباختلاف تركيب الأصوات، تختلف الكلمات وتتنوع معانيها. وقد أجمع اللّغويون على أنّ الأصوات تنقسم إلى قسمين رئيسيين: الصوامت (Consonne)

والصوائت (voyelles)[2] ، وسنستعمل مصطلح الصائت والصامت لسهولتهما.

---

1 – ينظر التنوّعات اللّغوية، عبد القادر عبد الجليل دار الصفاء، الأردن، ط1، 1997، ص147.

2 – اختلف العلماء والعرب في تحديد المصطلحين وتسميتهما، فهما عند إبراهيم أنيس (أصوات ساكنة وأصوات علة) وعند محمود السعران (صوامت وصوائت) وعند تمام حسان (أصوات صحيحة وأصوات علة) أما القدامى فقد أخذوا على استعمال المصطلحين (صائت ومصوت).

والصوت كما قال ابن جني «مصدر صات الشيء يصوت صوتا، فهو صائت، وصوت تصويتا فهو مصوت»[1]، وقد ذكر في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَنْكَرَ اَلْأَصْواتِ لَصَوْتُ اَلْحَمِيرِ**﴾[2] ويقال: "صات يصوت صوتا فهو صائت، معناه صائح"[3].

أمّا اصطلاحا فالصوت هو أثر سماعي يصدر طواعية أو اختيارا عن أعضاء النطق، له مخرج وصفات حامل لها، والمخرج هو النقطة التي يتشكّل عندها الصوت، أو بعبارة أدق فالصوت «هو ذلك الذي نسمعه ونحسه، وهو بذلك عملية نطقية تدخل في تجارب الحواس، وعلى الأخص السمع والبصر، يؤديه الجهاز النطقي حركة وتسمعه الأذن وترى العين بعض حركة الجهاز النطقي حين أدائه»[4].

وفي كلام الجاحظ ما يشير إلى أن العرب قد وفقوا في بيان الفرق بينهما، إذ يقول: «الصوت آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ولا تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت...»[5].

أمّا ابن جني فيعرف الصوت قائلا: «اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا ، حتّى يعرض له الحلق والفم والشفتين ...»[6]. ففهم ابن جني للصوت، أنه ذبذبة الأوتار الصوتية، وإن لم يذكر ذلك صراحة[7].

---

1 – سرّ صناعة الإعراب، ابن جنيّ ، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ج1، ط1، 1985، ص9.

2 – لقمان: 19.

3 – لسان العرب، ابن منظور، مادة (صوت).

4 – المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1982، ص83.

5 – البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ج1، ط5، 1985ص79.

6 – سرّ الصناعة الأعراب، ابن جنيّ، ج1، ص6.

7 – مناهج البحث، تمام حسّان،دار الثقافة، المغرب، 1974، ص86.

ومثل هذا الفهم للصوت نجده عند ابن سينا حين قال: «الحرف هيئة للصوت عرضة له يتميز بها عن صوت أخر مثله في الحدة والثقل تمييزا في المسموع»[1]. وبالإضافة إلى هذا نجده يستهل رسالته بالحديث عن مخارج الحروف والمقصود مخارج الأصوات ، وفي هذا دلالة على أن الحرف يرادف عنده الصوت. ونجد من المحدثين، على غرار ما ذهب إليه السلف، من جعل مصطلح الحرف هو ما "نسمعه ونحسه" أما الحرف فهو ذاك "الرمز الكتابي الذي يتخذ وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معين أو مجموعة من الأصوات لا يؤدي تبدّلها في الكلمة إلى اختلاف المعنى.[2]

وهناك من يرى أنه «ليس للحروف حياة مستقلة التي هي الكلمة، باختلاف تركيب الحروف تختلف الكلمات»[3]. وقد فرق تمام حسان بين الصوت والحرف قائلا: «ليست الحروف إذا تلك الصور الكتابية التي نخطها بالقلم، فهذه رموز كتابية إلى الحروف أقساما وليست الحروف أقساما يشتمل كل منها على عدد من الأصوات ...»[4].

فمصطلح الحرف عندهم ليس بمقدور تحمل أعباء جديدة زيادة على ما ينوء به من كثرة الاستعمال، فهو يراد به الصوت الذي يتركب منه اللفظ[5]. وعلى

---

1 – أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، تحقيق حسان الطيان و يحي مير علم،مراجعة شاكر الفحام و أحمد راتب النفاخ، ط1، 1983، ص60.

2 – اللغة والتواصل، عبد الجليل مرتاض، دار هومة، الجزائر، ص144.

3 – فقه للغة، علي عبد الواحد وافي، ط6، 1968، 1988، ص249

4 – اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، دار الثقافة، دار البيضاء، 1980، ص120.

5 – مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ص107، وينظر علم اللغة العام، توفيق محمد شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة، 1980، ص116، وينظر في علم اللّغة العام، عبد الصابور شاهين، مديرية المطبوعات، حلب، 1982، ص115.

هذا الأساس جاء استعماله شاملا لمظهري اللغة المنطوقة والمكتوبة في الوقت ذاته لما لهذين المظهرين من تلازم واقتران[1].

وتصوّر الفونيم كما قدمنا تصور حديث جدا في المباحث اللغوية الصوتية، على أن للنحاة القدامى نصيبا في هذا حتى وإن كانوا لم يشيروا إليه بصريح العبارة في مباحثهم الصوتية. ونحن لا نشك لحظة واحدة في أنّ التّنظير العلمي لنظرية الفونيم كان من صنع اللسانين العرب، كما لا ننفي وجود تناول لهذا المبحث عند الأمم القديمة كالهنود واليونان والعرب.

ويقول سوسير في هذا الشأن: «فإن الأبجدية الإغريقية جديرة بالإعجاب إذ يتمثل كل صوت بسيط بعلامة خطية واحدة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن كل من علامة تقابل صوتا بسيطا هو دائما نفسه، وهذا اكتشاف عبقري ورثه اللاتينيون»[2].

إنّ دراسة أي لغة من اللّغات تستوقف الدارس عند ملاحظة هامة قوامها وجود مجموعة من الأصوات التي، وإن اختلفت في المخرج أو الصفة، ينظر إليها من ناحية الكتابة والمعنى المعجمي على أنها صوت واحد مثل صوت الجيم العربية.[3] وفي «كل لغة عدد محدود جدا من حروف الأبجدية أن تدل عليها ولكن الواقع أنها أكثر عددا من تلك الحروف». [4]

1 – ينظر دراسة الصوت اللّغوي،احمد مختار عمر، ص235.

2 – محاضرات في الألسنية العامة، فرديناند دي سويسر، ص56.

3 – ينظر في التطوّر اللّغوي، عبد الصابور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص186.

4 – أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما، ص 82.

وقد وضع تروبتسكوي(Trubetekoye*) للفونيم تعريفا مختصرا، يعتبر تلخيصا لعملية تحليلية قدمها بين يدي التعريف فقال: «الفونيم أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس»[1]. حيث رأى أن كل صوت مكون من مجموعة من العناصر هي بمجموعها غير قابلية التجزئة أو تحليل، يقول: «من الناحية الصوتية كل (باء) تتمثل في سلسلة من الحركات النطقية: أولا، تقترب الشفتان، إحداهما من الأخرى ...فالباء كلها إذن تعتبر وحدة فونولوجية غير قابلة للتحليل من حيث الزمن»[2].

ونعرج على الرأي الثاني لتحليل الفونيم وهو رأي أصحاب الملامح التمييزية، وجدناهم يعرفون الفونيم بأنه: «مجموعة من الملامح الصوتية المتزامنة التي بواسطتها يتميز صوت لغوي عن بقيّة الأصوات بالإضافة إلى كونه وسيلة للتمييز بين معاني الكلمات»[3]. فالفونيم عند هؤلاء تجمّع من الملامح التمييزية، التي يسميها العرب الصفات مثل الجهر والانفجار والاحتكاك، ومن تم فتروبتسكوي قد مال إلى المفهوم الوظيفي وترك المفهوم النفسي. وألحّ على الجانبين العضوي والسّمعي في وصف الفونيم وتحديده.[4]

وبناء على ما تقدم يمكننا أن نقول في اطمئنان إن البحث اللغوي العربي قد مس معظم الجوانب التي تطرق إليها البحث الصوتي الحديث لظاهرة الفونيم،

---

*تروبتسكوي : ينقولاس سيرجيفيتش، لغوي مشهور، ولد في 6 أفريل 1890، من أصل روسي، كتب بحوثا لغوية كثيرة توفي في 25 جويلة 1938، ينظر ترجمة وافيه له في: "علم اللغة في القرن العشرين، جورج مونان ترجمة: نجيب غزاوي، سلسلة الكتب العلمية، سوريا، 1982، ص100، 109.

1 - que sais je: phonologie, p:22 ، والتعريف لجاكبسون بداية.

2 - les principes de phonologie, p 37.

3 - que sais je: phonologie, p37. والتعريف لجاكبسون بداية.

4 - ينظر مبادئ اللسانيات، أحمد محمّد قدّور، ص107.

مع الفارق في عمق المعالجة، لأنّ القدامى على الرّغم من جهودهم المعتبرة، إلا أنهم لم ينظروا لهذه النظرية بدقة. فهم قد عرفوا الصوت اللغوي بطريقة غير مباشرة من خلال تعرضهم لمسائل أخرى في ثنايا أبواب عديدة .

1- تأليف الأصوات في الخطاب القرآني:

إنّ اللّغة العربيّة بكلماتها واستعمالاتها المختلفة قائمة على أصول ومبادئ، وكلّ لفظة منها أخذت سمتا معينا حسب قواعد خاصة. وهذه الأبنية اللغوية للكلمات لها فلسفتها الخاصة التي لا تتوافر لأيّ لغة من لغات العالم، فهي تستجيب للاستفهام، وتجيب السائل عنه، فكل أصل لغوي، معلّل بعلّة، ولم يبين اعتباطا أو بدون هدف[1].

وكلام العرب مبني على مبدأ الاستخفاف والاستثقال، فما خف على الحسّ كثر دورانه على الألسنة، وما ثقل أهمل استعماله أو قل[2]. فالإنسان العربي بطبعه يسعى دوما إلى اختزال النطق عن طريق التيسر والتسهيل، وإلى اقتصاد الجهد المبذول، ول ذلك يحقق نوعا من التوافق والانسجام في الكلام.

وقد خاض في هذا الميدان علماء العربية وعلى رأسهم أصحاب المعاجم التي صدّرت بمقدمات حوت قواعد البناء في العربية.[3] وسنوضّح دعائم هذا المبدأ من خلال القواعد التي وضعها العلماء القدامى والمحدثون لما يتألف من الأصوات وما يختلف، وطرق بنائها في العربية (structure) مع إعطاء أمثلة ونماذج من آيات سورة الكهف.

---

1 - ينظر أصوات اللغة العربية، عبد القادر حامد هلال، ص10.

2 - ينظر الخصائص، ابن جني، ج1، ص24، 27، 67.

3 - ينظر مقدمة العين، الخليل، ج1، ص 47، ومقدمة الجمهرة، ابن دريد، ج1، ص6، ومقدمة التهذيب: ج1، ص44، ورسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، دار بيروت للطباعة، بيروت، 1983م-1403هـ، ج1، ص194، 195.

والعلماء الأجلاء ذموا التنافر ومدحوا التلاؤم، الذي هو تعديل الحروف في التأليف،[1] وجعلوا التلاؤم قسمين، فإذا انضاف التنافر يكون تأليف الكلام على ثلاثة أوجه، متنافر ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا، وهو القرآن الكريم[2]. ومن فوائد التلاؤم حسن الكلام في السمع وسهولته في النطق ،وتقبل النفس لمعناه لما يرد عليه من حسن الصورة، فإذا أضيف إلى التلاؤم حسن البيان صار في أعلى الطبقات، وظهر الإعجاز لمن كان جيد الطبع بصيرا بجواهر الكلام.[3]

كما تنقسم الأصوات العربية إلى ثقيل وخفيف، وكل منهما على درجة متفاوتة ثقلا وخفة. والأصوات التي تكون البناء إما أن تتقارب في مخارجها الصوتية أو تتصاعد، وأعضاء النطق التي تؤدي ذلك تقوم بجهد عضلي للإبانة والإفصاح عنه، وتتفاوت بذلك الألفاظ حسنا وقبحا، تبعا لموقعها، واستخدامها الاستخدام الأمثل، من حيث اللفظ والمعنى، أو من حيث المعنى والمبنى.

وقد ذكر القدامى من طرق تألف الأصوات في البناء العربي واستحبوا اجتماع بعضها في كلمة واحدة. واستقبحوا اجتماع البعض الأخر، خوفا من الثقل والتنافر، وهذا الأخير هو ما يعتري الكلمة المفردة، من ثقل يتعسر معه النطق بها،

1 – ينظر المزهر، السيوطي، ج1، ص185، والمعرب، للجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب، ص51.

2 – ينظر النكت في إعجاز القرآن الكريم، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق محمّد خلف الله ومحمّد زغلول، ص95.

3 – ينظر إعجاز القرآن، الباقلاني، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، ط5 (د،ت)، ص270.

مما يقتضي جهدا عضليا زائدا يتعب اللسان.[1] وسنورد بعض الأبنية الصوتية للعربية مع التمثيل من السورة بالشرح والتحليل.

1- لقد ميز الخليل تمييزا بين الأصوات الصامتة والصائتة، وكلّ صوت عنده منسوب إلى مدرجه وحيزه الذي يبدأ منه، فالقاف والكاف مثلا صوتان لهويان لأن مبدأهما من اللهاة، والعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية؛ لأن مبدأها من الحلق[2].

ولذلك تبين أن اتحاد مخارج الأصوات أو تقاربها، قد يؤدي إلى إهمال بعض الكلمات، فذكر في باب العين والحاء أنّه لا تأتلف منهما كلمة واحدة مستعملة لتقارب مخرجيهما[3]. وأشار إلى هذا أيضا ابن دريد حيث نبّه الباحث في الجمهرة إلى أهمية الحروف، لمعرفة الأبنية، وما يتألف منها، وما لا يتألف، وسر كل منهما، وأوضح أن قرب المخارج يمنع من تأليف بعض الكلمات، لثقلها على اللسان، إذ قال: «اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم، ودون حروف الذلاقة كلفته حرسا واحدا وحركات مختلفة، ألا ترى أنك لو ألفت بين الهمزة والهاء والحاء فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاء... نحو قولهم أم والله، هم والله...»[4] ؛ فالقاف والكاف لا تأتلف منهما كلمة واحدة، إذ قال: «فلذلك لم

1 - ينظر التنافر الصوتي والظواهر السياقية، عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة ومطبعة الإشعاع، 1999، ص08.

2 - ينظر التنافر الصوتي والظواهر السياقية، عبد الواحد حسن الشيخ ، ج1، ص58.

3 - ينظر العين، الخليل، ج1، ص60.

4 - الجمهرة، ابن دريد، ج1/ص: 9، والمزهر في علوم اللغة، السيوطي، ج1، ص 191، 192.

تأتلف الكاف والقاف في كلمة واحدة إلاّ بحواجز، ليس في كلامهم لقك، ولا كق، وذلك حالها مع الجيم، ليس في كلامهم لجط ولا كج»[1].

وإذا عدنا لقول الخليل وجدناه يتحدث عن تنافر الأصوات الذي يحدث إذا تركب الكلام من مخارج بعيدة أو قريبة؛ لأنّ الكلام إذا قربت أصواته قربا شديدا، كان مقيد في النطق. فالعين والحاء لا تجتمعان في بناء عربي؛ لأنّ العين صوت حلقي، احتكاكي (رخو) مجهور مرقق، والحاء صوت حلقي احتكاكي "مهموس مرقق" فلهذا القرب الشديد بين الصوتين العين والحاء، لا تأتلف منهما الكلمة العربية، وبالفعل هنا ما لحظناه في آيات سورة الكهف، لم ترد كلمة تجمع بين الحاء والعين: الحمد، عهد، عوجا...

أمّا عدم ائتلاف القاف والكاف، فراجع إلى أنّ صوت القاف لهوي انفجاري مهموس مستعل، يتشكل هنا الصوت «حين يرتفع أقصى اللسان حتى نقطة التقائه بأدنى الحلق واللهاة»[2] والقاف عند القدامى يخرج من أقصى اللسان وما فوقه من الحلق الأعلى.[3] أمّا الكاف فصوت طبقي انفجاري مهموس مرقق مستفل؛ إذ يتشكل من انبعاث الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة، ثم يسلك طريقه إلى الحلق والتجويف الفموي إلى نقطة اتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى.[4] ومخرجه عند القدماء: «من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا

1 - الجمهرة، ابن دريد، ج1، ص6، وفقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، دار النهضة العربية ، بيروت، 1979، ص231.

2 - الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص179.

3 - ينظر الكتاب، سيبويه، ج4، ص433، وسر الصناعة والنشر، ابن جنيّ، ج2، ص277، ابن الجزري، ج1، ص199.

4 - ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص85.

ومما يليه من الحنك الأعلى».[1] ولتقارب مخرجي القاف والكاف، لم تأتلفا في كلمة واحدة، لعسر النطق بهما، وعليه لم نجد في سورة الكهف كلمات تجمع هذين الصوتين.

ولم يأتلف صوت الجيم مع الصوتين السابقين القاف والكاف في بناء عربي «ليس في كلامهم، قك ولا كق وكذلك حالهما مع الجيم ليس في كلامهم: جك، كج، إلا أنها قد دخلت على الشين لتفشي الشين وقربها من عقدة اللسان»[2]؛ فالجيم صوت غاري مركب مجهور مرقق، يتكون بأن يندفع الهواء من الرئتين إلى أن يصل إلى نقطة المخرج، وهي التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى.[3] وهكذا نستنتج أن صوت الجيم قريب من القاف والكاف، ولهذا يصعب اجتماعهما.

ويجوّز العلماء اجتماع الكاف والقاف بصوت السين لتفشيه، ويضرب مثال، بالشك في الأمر، من مادة شك والقش (قشش)[4] ؛ فالشين صوت غاري احتكاكي مهموس مرقق، متفش، يتكون «حين يلتقي طرف اللسان بمؤخر اللثة ومقدم الحنك الأعلى»[5]، بينما يكون كل الجزء الأساسي من جسم اللسان مرفوعا نحو الحنك الأعلى في الوقت نفسه، ويكون الفراغ بين مقدم اللسان ومؤخر اللثة ضيقا، ولكنه أوسع من الفراغ الكائن في نطق السين[6].

1 – الكتاب، سيبويه، ج4، ص433، وينظر المقتضب، المبرّد، ج1، ص192، وسر الصناعة، ابن جنيّ، ج2، ص279.

2 – الجمهرة، ابن دريد، ج1، ص6، وينظر المعرب، الجواليقي، ص59، وأثر الدخيل على العربية الفصحى لمسعود بوبو، ص85.

3 – ينظر دراسات في فقه اللغة، صبحي صالح، ص279.

4 – الجمهرة، ابن دريد، ج1، ص7.

5 – ينظر الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص178.

6 – ينظر علم اللغة، محمود السعران، ص176.

والتفشّ: صفة للشين، تشير إلى كثرة انتشار الهواء بين اللسان والحنك؛ لأن منطقة الهواء في الفم عند النطق بالشين أوسع منها عند النطق بالسين، ولذلك لا يسمع لخروج الهواء حين النطق بالشين ذلك الصفير الملحوظ حين النطق بالسين[1]. ولولا التفشي «لصارت الشين سينا كما يحدث لدى بعض ذوي العيوب النطقية، ولا سيما الأطفال الذين لا يجدون عناية ممن حولهم من الكبار»[2].

كما انه ناتج عن كثرة انتشار الهواء بين اللسان والحنك[3]. وقد ائتلفت الشين مع الكاف والقاف في ألفاظ السورة الكريمة في مثل: شرك، بشرك، شركائي... وهي مشتقات مادة (ش ر ك) ومشفقين من مادة (ش ف ق) لكن ائتلفت مع بعضها بواسطة صوت الراء والفاء.

وقد تناول هذه الفكرة المنسوبة إلى الخليل علماء كثر، كابن دريد وابن جني والرماني وابن سنان الخفاجي وعبد القاهر الجرجاني وابن الأثير وبهاء الدين السبكي والسيوطي، وخلاصة ما توصلوا إليه هو نفي أن يكون تباعد المخارج سببا في عدم التلاؤم؛ لأنّ الحروف كلما تباعدت في التأليف كانت أحسن. وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما، ولا سيما حروف الحلق، وقد اختلفوا في توظيف هذه المسألة في الفصاحة ورتبها، فعلى حين عد بعضهم كالخفاجي تباعد مخارج الحروف شرطا من شروط الفصاحة[4].

أمّا الاستكراه والتنافر فيعرض في أشياء قد تكون من تكلف الشعراء أو من اصطناع التحرير الذين ربما ادخلوا في الكلام العربي ما ليس منه إرادة التعنت

1 – ينظر مبادئ اللسانيات، خولة طالب الأبراهيمي، ص88.
2 – ينظر الأصوات اللغوية لعبد القادر عبد الجليل، ص275.
3 – ينظر مبادئ اللسانيات، أحمد محمّد قدور، ص88.
4 – سر الفصاحة، الخفاجي، ص48.

واللبس.[1] وتجدر الإشارة إلى أن ابن جني عني بهذه المسألة في كتابه "سر صناعة الإعراب "فقد ذكرها في مواضع متعددة وبألفاظ مختلفة كالتركب والمجاورة،[2] والتأليف والاجتماع،[3] والمزج والتألف والتأليف أيضا[4]، وانتهى إلى أن تأليف الحروف على ثلاثة أضرب وهي:[5]

1-تأليف المتباعدة مخرجا وهو الأحسن. ولاحظ هنا أن أقل الحروف تألفا بلا فاصل حروف الحلق وحروف أقصى اللسان (القاف والكاف والجيم).

2-تضعيف الحرف نفسه تخفيفا لما فيه من ثقل، وهو يلي الضرب الأول، نحو "مأجج" و"سكك" و"مج" و"فرس" و"أمق"[6].

3-تأليف المتجاورة، وهو دون الاثنين الأولين، وهو إما يرفض وإما يقل استعماله.

وكان الخليل قد فرق بين المهمل والمستعمل، هذين النوعين من الكلام في معجمه "كتاب العين". فالمهمل كما يقول ابن جني هو ما رفض استعماله لتقارب حروفه، نحو: سص وصص. وما لم تقله العرب وإن لم يكن متنافرا – وما جاء خاليا من حروف الذلاقة إذا كان حتما سيئا[7].

1 - ينظر مبادئ اللسانيات، أحمد محمّد قدور، ص123، 124.

2 - ينظر سر الصناعة، ابن جنيّ، ج1، ص5.

3 - ينظر سر الصناعة، ابن جنيّ، ج1، ص65.

4 - ينظر المصدر نفسه، ج2، ص811، 812، 816.

5 - ينظر المصدر نفسه، ج2، ص816.

6 - مأجج: اسم مكان، وسكك جمع سكة، ومج لفظ رمي، وأمق: صفة للفرس الطويل، الطويل، ينظر اللسان.

7 - ينظر المزهر، السيوطي، ج1/ص240.

وبالفعل لم نجد في السورة كلمات ائتلفت من أصوات قريبة المخرج، لثقلها على اللسان، فقد تميزت لغة السورة بالتلاؤم بين أصواتها، على مستوى اللفظة المفردة وسنثبت هذا في التحليل. فلم نجد في قراءتها انتقالا بين أصوات شديدة التقارب في المخرج بحيث يؤدي تنافرها يعوق تذوق التلاوة وجمال الانسجام الموسيقي بين الأصوات[1].

ويشبه ابن سنان الأصوات المتباعدة بالألوان؛ إذ يقول: «إن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج وهي أن الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر، ولا شكّ في أنّ الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة»[2].

2-ويمنع في العربية اجتماع ثلاثة أصوات من جنس واحد؛ أي من مخرجه، خدمة للتلاؤم الصوتي، وطلبا للخفة، والتمكّن من النطق وأصعب هذه الأصوات حروف الحلق فالمخرج الحلقي (Phoryngales) يكون بتضييق الحلق، وهو للصوتين العين والحاء.

وإن اجتمع اثنان منها في كلمة عربية يبدأ بالأقوى من الصوتين، ويؤخر الألين والأضعف[3]. أو إذا اجتمع منها في كلمة اثنان وجب أن يكون بينهما

1 - ينظر (من صور الإعجاز الصوتي في القران الكريم) دراسة لمحمد السيد سلمان العبد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ص75.

2 - سر الفصاحة، الخفاجي، ص54.

3 - الجمهرة، ابن دريد، ج1، ص9.سرّ الصناعة، ابن جنيّ، ج2، ص814، والمزهر، السيوطي، ج1، ص192.

فاصل[1]. من مثل : أصحاب –أشدتهم فقد فصل بين الهمزة والحاء بالصاد في المثال الأول وبالشين في الثاني وقد تجمع هذه الأصوات في مواضع ثلاثة:[2]

الأوّل: أن نبدأ بالهمزة، فيجاورها من بعدها واحد من ثلاثة أحرف حلقية، وهي: الهاء، والحاء، والخاء، فالهاء نحو: ﴿**أَهْلَكْنَاهُمْ**﴾[3]، والحاء نحو: ﴿**أَحَدٌ**﴾[4]، وقد ذكرت كثيرا في السورة، والخاء نحو: ﴿**الأَخْسَرِينَ**﴾[5].

الثاني: ائتلاف الهاء مع العين، ولا تكون العين إلا مقدمة، ولم نعثر على مثال في السورة. والعين مجهور احتكاكي مرقق، والهاء مهموس احتكاكي مرقق، وبجهر العين كان الأقوى.

الثالث: ائتلاف العين مع الخاء، ولا تكون الخاء إلا مقدمة، نحو ﴿**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ**﴾[6].

فإذا اجتمع صوتان من مخرج واحد «وجب أن يبدؤوا بالأقوى، ويؤخروا التاء والدال فإنك تجد التاء تنقطع بجرس قوي، وتجد الدال تنقطع بجرس لين، وكذلك الراء تنقطع بجرس قوي، وكذلك اللام تنقطع بغنة، وبذلك أيضا نرى أنّ اعتياص اللام على الألسن أقل من اعتياص الراء، وذلك للين اللام».[7]

1 – المزهر، السيوطي، ج1، ص192.
2 – ينظر سرّ الصناعة، ابن جنيّ، ج2، ص812.
3 – الكهف: 59.
4 – الكهف: 19.
5 – الكهف: 103.
6 – الكهف: 06.
7 – ينظر، الجمهرة، ابن دريد، ج1، ص9، والمزهر، السيوطي، ج1، ص: 192، وفقه اللغة، عبده الراجحي، ص231.

إذا اجتمع في كلمتي: (ورل) و(وتد) صوتان من مخرج واحد، ففي الأول ائتلاف صوت الراء ينتج من «التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا».[1] واللام ينتج من اتصال «طرف اللسان بأصول الثنايا العليا وبذلك يحال بين الهواء ومروره من وسط الفم فيتسرب من جانبيه»[2]، وهكذا نستنتج أنهما متقاربان مخرجا، لكن الراء أقوى من جانب الصفات؛ لأنّه صوت مكرر، حيث يطرق اللسان حافة الحنك طرقا لينا يسيرا مرتين أو ثلاثا[3]، ولذلك وجب تقديمه على اللام.

وإذا اجتمع صوت التاء مع الدال في كلمة (وتد) وهما من مخرج واحد، فالتاء تخرج بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا،[4] والدال يخرج أيضا بنفس الطريقة بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا[5]؛ وهو صوت شديد مجهور، والتاء صوت صوت شديد مهموس، ولا فرق بينهما سوى أن التاء مهموسة والدال نظيرها المجهور.

3-اتسمت اللغة العربية بقوة تأليفها، وخفة طبعها في اختيار تركيب الكلمات من حروف متباعدة، ونفورها من تقارب الحروف، والتأليف في البناء على ثلاثة أضرب: «أحدهما: تأليف الحروف المتباعدة، وهو أحسنه، وهو أغلب في كلام العرب، والثاني: الحروف المتقاربة لضعف الحرف نفسه، وهو يلي الأوّل في الحسن،

1 - ينظر الراء في العربية دراسة صوتية، إدوار يوحنا، مجلة اللسان العربي، المجلد 17، ج1، ص80.

2 - ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص65

3 - ينظر الراء في العربية دراسة صوتية، إدوار يوحنا، ص80.

4 - ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص62.

5 - ينظر المرجع نفسه، ص48.

والثالث: الحروف المتقاربة، فإما رفض، وإما قل استعماله، وإنما كان أقل من المتماثلين، وإن كان فيهما ما في المتقاربين».[1]

تلك هي أضرب التأليف في نظر ابن جني وغيره.[2] فقد لاحظوا أنّ الأصوات كلما تباعدت في التأليف كان أفضل بخلاف المتقارب، فإن التقارب في رأيه يؤدي إلى القبح، بل رأى أنه بسبب التقارب أهملت بعض الكلمات.[3]

وقد حدد ابن منظور أيضا العلاقات التي تقع بين الحروف في التركيب العربي، واعتبار القرب والبعد، ورأى أن لها سرّا في النطق يكشفه من يتمعنه، وهو «ما يتقارب بعضه من بعض، ويتباعد بعضه من بعض، ويتركب بعضه مع بعض، ولا يتركب بعضه مع بعض»[4].

4-الحروف التي تحسن في التركيب الصوتي، وهي القاف والعين، حيث رأى الدارسون أنّهما لا يدخلان في كلام إلاّ حسّنتاه، لأنّهما أطلق الحروف، فالعين أنصح الحروف جرسا وألذها سماعا، وأما القاف فأمتن الحروف وأنصحها جرسا[5].

جرسا[5].

فالعين صوت حلقي احتكاكي (رخو) مجهور مرقق، والقاف صوت لهوي انفجاري (شديد) مهموس شبه مفخم أي مستعل، وهذان الصوتان إذا أدخلا في بناء عربي استحسن ذلك التركيب، من مثل ما جاء في السورة: عند، يجعل، عوجا، علم، عملا، قيما، قالوا، الرقيم، ومن الحروف المجهورة المذكورة في السورة

1 – سرّ الصناعة، ابن جنيّ، ج2، ص816.

2 – ينظر الجمهرة، ابن دريد، ج1، ص 9، وسرّ الفصاحة، الخفاجي، ص48.

3 – ينظر الخصائص، ابن جنيّ، ج1، ص50.

4 – لسان العرب، ابن منظور، ج1، ص8.

5 – ينظر العين، الخليل، ج1، ص53، والتهذيب، الأزهري، ج1، ص45، واللسان، ابن ابن منظور، ج1، ص8.

قوله تعالى: ﴿**وَيُنذِرَ اَلذِينَ قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**﴾[1] فتكرار الأصوات المجهورة (الذال والدال، والراء) ذات الوقع القويّ المؤثّر لتكشف أبعاد المعنى الغريب وتلفت الانتباه إليه لخطورته عليهم، فارتبطت الأصوات المجهورة في مراكز الجملة معنويًا ممثّلة بـ (الإنذار، والادّعاء الكاذب – اتّخذ ولدًا) وكلّ هذا في خطّ متوازن ومنسجم مع المعنى الذي تحمله الآية وتزيد طبيعة الأصوات المجهورة من تأثير وقعها على السّامع، وبهذا يبدو النشاط الصّوتي في تفاعل بين الصوت والمعنى.

ومن التّهديد والتنبيه لعاقبة الظلم ما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكُرًا** ﴾[2] ممّا يلاحظ في الآية تكرار صوت الذال والصّوت المقابل له الظاء وهما صوتان مجهوران وفيه ملامح من القوّة والإثارة والتأثير وقدرة التّوصيل، وارتبط ظهوره في مراكز معنوية داخل الآية، متمثّلة في فعل الشرط وجوابه، فالفعل (ظلم) والجواب الذي تكرّر بأشكال مختلفة (نعذّبه، فيعذّبه، عذابًا) فالتّكرار يفيد من جانب التّأكيد المعنوي أي أن تكرار الصوت يؤدي إلى تكرار المعنى وتصويره وتقويته، والمبالغة فيه، كما أن ثمة علاقة بين الصوت الحرف ومخرجه وبين ما يدل عليه من معنى[3].

5-الأصوات التي يمتنع مجيئها في التركيب؛ هي الضاد والكاف، ولكن إذا تقدمت الضاد ائتلفت، وإذا تأخرت لا تتركب في أصل العربية[4]؛ مثل: الضحك.

6-ومن الأصوات التي لا تتركب بعضها مع بعض سواء تقدمت أو تأخرت، وهي السين والتاء والزاي والظاء والصاد، وذلك لتقارب مخارج هذه الأصوات تقاربا يؤدي إلى الثقل والتعاظل في النطق[5].

---

1 - الكهف: 04.

2 - الكهف: 87.

3 - ينظر دراسات في جزء عم، محمود أحمد نخلة، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1989، ص153

4 - العين، الخليل، ج1، ص: 08.

5 - ينظر التنافر الصوتي والظواهر السياقية، عبد الواحد حسن الشيخ، ص26.

7-الأصوات التي يجب وقوعها في بناء الكلمة العربيّة وقد حددها العلماء بأنها الحروف الذلقية، وهي ستة، الفاء والباء، والميم واللام، والراء، والنون وحروفها أخف الحروف في المنطق، وأكثرها في الكلام، وأحسنها في البناء.[1]

يقول الخليل في هذا الصدد «فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد، اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب»[2]. ولسهولة هذه الأصوات في النطق كثرت في أبنية الكلام. فالأصوات الستة المذلقة وهي: اللام والراء والميم والنون والفاء والباء، تشترك في صفة صوتية متميزة. فاللام، والراء والنون، تشترك في قرب مخارجها ونسبة وضوحها الصوتي، وأنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع، فهي جميعا أصوات مائعة[3]. والأصوات الفاء والميم والباء، أصوات شفوية، لا يشترك اللسان في إخراجها ولذلك كانت سهلة[4]، وقد لوحظ هذا كله في السورة وهو مبرهن بالإحصاء في الجداول.

8-أكثر الأصوات استعمالا عند العرب هي: الواو، والياء، والهمزة. وأقل ما يستعملون على ألسنتهم لثقلها الطاء ثم الدال، ثم الثاء، ثم السين، ثم الفاء، ثم الحاء، ثم العين، ثم النون، فاللام، فالراء، فالباء، ثم الميم[5]. وسنبرهن على هذا الكلام تطبيقا بإحصاء أصوات السورة ظن لكن أين صوت الضاد من هذا كله ، وهو أثقل نطقا من الباء وغيرها؟و قد لوحظ هذا كله في السورة،و هو مبرهن بالإحصاء في الجداول.[6]

1 - العين، الخليل، ج1، ص 08.
2 - العين، الخليل، ج1، ص52، وينظر المعرب، الجواليقي، ص60.
3 - ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص64.
4 - العين، الخليل، ج1، ص52.
5 - ينظر الجمهرة، ابن دريد، ج1، ص12، والمزهر، السيوطي، ج1، ص195.
6 - ينظر الجداول، ص 50.

9-يستحسن في تأليف الكلام، أن تتباعد المخارج، لأنّها إذا تقاربت استثقلت على اللسان، وكلفته جرسا واحدا. وأحسن أضرب التأليف في العربية تأليف الحروف المتباعدة. وقد أثمر درس الأصوات التشكيلي وفق المخارج رتبا متدرجة، هي من قبيل الكلام الجاري استعماله مع تفاوت في استحسانه وفصاحته كما يرى السبكي.[1]

فهذا الأخير يأخذ البناء الثلاثي، وهو أكثر أبنية الكلام العربي، مثالا على ما استنتجته من رتب تجري على هذا النحو:[2]

1- الانحدار من المخرج الأعلى إلى الأدنى ، نحو:(ع د ب)
2- الانتقال من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط،نحو:(ع م د)
3- من الأعلى إلى الأدنى إلى الأعلى،نحو: (ع م هـ)
4- من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى، نحو: (ع ل هـ)
5- من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى، نحو: (م ل ع)
6- من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط، نحو: (ب ع د)
7- من الأدنى إلى الأعلى إلى الأدنى، نحو: (ف ع م)
8- من الأدنى إلى الأوسط إلى الأدنى، نحو: (ف د م)
9- من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى، نحو: (د ع م)
10- من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى، نحو: (د م ع)
11- من الأوسط إلى الأعلى إلى الأوسط، نحو: (ن ع ل)
12- من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط، نحو: (ن م ل)

1 - ينظر المزهر، السيوطي، ج2، 197.

2 - ينظر المزهر، السيوطي، ج2، ص197، ومناهج البحث، تمام حسان، ص139، وقد وقع بعض الخطأ في الأمثلة التي نقلها السيوطي الذي استغربه تمام حسان.

ويرى السبكي أن أحسن هذه التراكيب المخرجية هو الأول ثم العاشر ثم الثاني. وأن التاسع والخامس سيان في الاستعمال وإن كان القياس، كما يقول، يقتضي أن يكون التاسع أرجحهما وأن أقل الجميع استعمالا هو السادس[1].

وقواعد تآلف الأصوات العربيّة، وضعت لمعرفة الدخيل من الصريح، وهذه عبارات وجدناها متناثرة في مقدمات المعاجم، ولمنع الالتباس في الكلمة العربية والدخيل، و لهذا ظهر في العصر الحديث نفر من الباحثين المحدثين الذين امتلكوا بعض وسائل المعرفة العلمية المتقدمة في أصول اللغات، كمعرفة قواعدها وتحري أصولها وبعض قوانينها الصوتية وخصائصها البنائية، للتفريق بين الكلام العربي وبين الدخيل والمعرب[2].

وبتتبع تلك القواعد التي ذكرناها، تتضح بعض الألفاظ الأعجمية الدخيلة، وهنا وجد العلماء أنفسهم، أمام سؤال كبير، هل في القرآن كلام أعجمي؟ ونتج عن ذلك ثلاثة اتجاهات، اتجاه ينكر وجود الأعجمي في القرآن كلية، واتجاه آخر يقول بوجوده صراحة، واتجاه وسط يوفق بين الاتجاهين السابقين[3].

يقول الجواليقي في ذلك: "فأما ما ورد منه في القرآن، فقد اختلف فيه أهل العلم، فقال بعضهم: كتاب الله تعالى ليست فيه شيء من غير العربية... وعن أبي عبيدة: من زعم في القرآن لسانا سوى العربية فقد أعظم على القول، واحتج بقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾[4]..."[1].

1 - ينظر المزهر، السيوطي، ج1، ص197، 198.

2 - ينظر أثر الدخيل على العربية الفصحى، مسعود بوبو، ص12، وغرائب اللغة العربية، الأب روفائيل نخلة اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط2، ص169.

3 - ينظر أثر الدخيل على العربية الفصحى، مسعود بوبو، ص71، ولغة القران الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم، ص177، وينظر العربية، يوهان فك، ص231.

4 - يوسف: 12.

ولعلّ في الوقوف عند بعض الأمثلة الواردة في سورة الكهف ما يجعل القاعدة أكثر قربا، فمن ذلك لفظة (الإستبرق)[2] قال ابن قتيبة: "والإستبرق ثخينه (ثخين الديباج) " ويقول قوم: «فارسي معرب، أصله استبره وهو الشديد»[3] وقال في موضع أخر: «هو الغليظ من الديباج»[4].

وقال الجواليقي: «الإستبرق: غايظ الديباج، فارسي معرب أصله (استفره) ونقل من العجمية إلى العربية»[5]. ولعله جعله اسما دخيلا لأن إحدى قواعد البناء العربي تنص على أن الباء والسين والتاء لا تأتلف[6]. وما اجتماع صوت الباء والقاف والتاء التي تشترك في صفة الشدّة[7] في هذا اللفظ إلا للتعبير عما في المسمّى من زيادة في الغلظة ولولا ذلك لما قال بعض المفسرين"لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ويأتوا بلفظ يقوم مقامه في الفصاحة لعجزوا"[8]، لأنه لا يوجد في العربية لفظ واحد يدل على ما يدل عليه الإستبرق.[9]

10-ومن النسج التي تأباها العربية في بناء الكلمات، ولا تأباها في الكلمات الأعجمية المعربة، فإن وجدت هذا النسيج دلّ على عجمية الكلمة الموجودة فيها ما يلي

---

1 - المعرب، الجواليقي، ص52.

2 - وقد وردت في القرآن الكريم في سورة الكهف: 31، والدخان: 53، والرحمان: 54، والإنسان: 21.

3 - تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، ص267.

4 - نفسه، ص442.

5 - المعرب، الجواليقي، ص63.

6 - ينظر المصدر نفسه، ص60.

7- ينظر لأصوات اللغوية إبراهيم الأنيس، ص61.

8- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج 1 368.

9 - ينظر التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور ج 15، ص314.

1- اجتماع الجيم مع الصاد، مثل صولجان، ضجة[1].

2- تقدم النون على الراء، مثل: نرجس، نورج[2].

3- تقدم الدال على الزاي، مهندز ولهذا قلبت الزاي سينا، وصارت مهندس[3].

4- اجتماع السين مع الذال مثل ساذج[4].

5- اجتماع السين مع الزاي، مثل: سوزان*[5].

6- العربيّة تأبى وجود الشين في الكلمات الدخيلة، ولذلك أبدلت الشين بالسين في مثل إسماعيل، وإسرائيل، وأصلهما: إشماعيل، وإشرائيل، وذلك لقرب السين من الشين في الهمس[6].

لكن المسألة لم تتوقف عند تلك الملحوظات التي أوردها المتقدمون وجمعها بعد ذلك الجواليقي وبعض المحدثين؛ إذ طرقها المحدثون طرقا علميا مبتكرا. وقد انتهى هؤلاء إلى تقسيم ما يقارن بعضه بعضا من الحروف إلى الأقسام التالية:

1- ما يقارن بعضه بعضا لا بتقديم ولا بتأخير.

2- ما يقارن بتقديم.

3- ما يقارن بتقديم.

---

1 - ينظر المعرب، الجواليقي، ص59، والوجيز في فقه اللغة، الأنطاكي، ص223.

2 - المصدر نفسه، ص59.

3 - المصدر نفسه، ص59.

4 - الوجيز في فقه اللغة، ص223.

(*) وسوزان : اسم زهر معروف والعرب تنطقه سوسان.

5 - ينظر دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط2، ص72، 73.

6 - ينظر المعرب، الجواليقي، ص55، ولغة القرآن الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم، ص184.

4- ما يكرر من الحروف في أوائل الكلمات.

وأهم ما توصل إليه هؤلاء هو حصر الثنائيات التي لا تأتلف من الحروف في العربية على سبيل الإحصاء لا الانتقاء، ثم جاءت الدراسات الحاسوبية فكشفت عن الثنائيات الشائعة في الكلام العربي والثنائيات الممنوعة فيه من خلال دراسة الجذور المعجمية[1].

ويشار في هذا الصدد إلى أن التطلع إلى معرفة آراء القدامى في الشيوع والائتلاف والذلاقة، مما يشكل أساس عروبة الكلام، معرفة علمية دقيقة، هو الذي سوغ إجراء تلك الدراسات الحديثة التي أثبتت بما لا يدع مجلا للشك صواب هذه الآراء التي أنتجتها عبقرية العلماء العرب على الرغم من قلة الوسائل وحداثة الدرس، ويؤكد هذا كله أصالة علوم اللغة عند العرب ولا سيما علم الأصوات الذي أثار نضجه المبكر على يد الخليل مزاعم تفترض وجود اقتباس واسع من حضارات سابقة تتمتع بمفاهيم لغوية[2]. هذه هي معظم القواعد التي وضعها اللغويون، لبناء سليم، سهل في النطق، وسلس على اللسان، وقد طابقت الكلمات الواردة بطبيعة الحال، في السورة كل هذه القواعد.

2- الدراسة الإحصائية لأصوات السورة:

عرّف العرب الأصوات اللغوية منذ القدم، وهذا ما أوضحناه سابقا، وأيدهم في بعض نظريات الدرس الصوتي الحديث، كما عرفوا الصفات والطبيعة الصوتية لكل صوت منها. والكلام مبني على السهولة والخفة، وبهذا نلاحظ على الأبنية اللغوية العربية تم اختيارها لأصوات معينة، وتركها لأصوات أخرى.

1 - ينظر مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ص131.

2 - ينظر مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ص132.

وقد تفضل حركات على أخرى وهذا ما لاحظناه في عملية إحصائيّة لأصوات بعض آيات السورة (نصفها) بقسميها، أي الأصوات الصامتة والصائتة وقد تحصلنا على النتائج التالية:

بعد العملية الحسابية،وهي ضرب عدد التواتر في مجموع الأصوات قسمة 100.

1- الأصوات الصامتة:

الجدول رقم:01

الصوت	عدد التواتر	النسبة المئوية	الصوت	عدد التواتر	النسبة المئوية
أ	228	7.22	ض	18	0.62
ب	143	4.97	ط	20	0.69
ت	156	5.42	ظ	14	0.48
ث	31	1.07	ع	100	3.47
ج	36	1.25	غ	14	0.48
ح	51	1.77	ف	82	2.85
خ	21	0.73	ق	78	2.71
د	93	3.23	ك	84	2.92
ذ	36	1.25	ل	373	13.45

ر	158	5.49	م	250	8.69
ز	14	0.48	ن	290	10.08
س	62	2.15	و	146	5.07
ش	30	1.04	هـ	180	6.25
ص	24	0.83	ي	130	4.52

الجدول يوضح لنا الصوامت الأكثر استعمالا وشيوعا في السورة النموذج، ويبين مدى انتشارها في كلمات السورة. وفي الجدول الأتي سنبين خصائص استعمالاتها من الجهر والهمس، الشدة والرخاوة، والتفخيم والترقيق.

1-الجهر والهمس:

الجدول رقم: 02

الأصوات المجهورة ونسبها		الأصوات المهموسة ونسبها	
أ	7.92	س	2.15
ب	4.97	ك	2.92
ج	1.25	ت	5.42
د	3.23	ف	2.85
ذ	1.25	ح	1.77
ر	5.49	ث	1.07

ز	0.48	هـ	6.25
ض	0.62	ش	1.04
ظ	0.48	خ	0.73
غ	0.48	ص	0.83
ل	13.45	ق	2.71
م	8.69	ط	0.69
ن	10.08	ع	3.74
و	5.07		
ي	4.52		

النسبة المئوية للمجهورات إجمالا: 67.98%.

النسبة المئوية للمهموسات إجمالا: 31.97%.

وقبل التعليق على الجداول سنورد بعض المفاهيم النظرية؛ الجهر لغة ما ظهر، وتقول جهرت القول، وجهرت به إذا أعلنته[1]. أما اصطلاحا فالصوت المجهور؛ «حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه، حتى

1 – ينظر اللسان، ابن منظور، مادة (جهر).

ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت»[1] وذهب آخرون إلى طرح تعريفات أخرى، فرأى ابن كسيان أن الصوت المجهور هو «ما لزم موضعه إلى قضاء حروفه، وحبس النفس أن يجري معه فصار مجهورا، لأنّه لم يخالطه شيء بغيره»[2]. ويرى السكاكي «أنّ المجهور انحصار في مخرج الحرف»[3].

صوتها، فهي أصغى وأندى في السمع من نظائرها المهموسة، وهي: الألف والهمزة والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاي والظاء والذال والباء والميم والواو.[4]

وعرفوا المهموس بأنّه حرف «أضعف الاعتماد من موضعه حتى جرى معه النفس»[5]، وحروفه هي: السين والكاف والثاء والتاء والفاء والحاء والهاء والشين والخاء والصاد، وجمعت في قولهم: سكت فحثه شخص. ويعرفها ابن دريد في قوله: «وسمّيت مهموسة لأنّه اتّسع لها المخرج، فخرجت كأنّها مفتشية، والمجهور لم يتسع مخرجها فلم تسمع لها صوتا»[6].

وقد أوضح علماء اللّغة القدامى أنّ كلا من الجهر والهمس يمكن معرفته والحكم على الصوت به، عن طريق تكرار الصوت وتحريكه فإمّا أن ينطلق النفس، وإمّا أن ينحبس، يقول ابن جني: «وأنت تعتبر ذلك (أي الهمس) بأنّه قد يمكنك تكرير الحرف مع جري الصوت، نحو: سسس، ككك، ولو تكلفت مثل ذلك في المجهور لما أمكنك»[7].

---

1 – الكتاب، سيبويه، ج4، ص434، وشرح المفصل، ابن يعيش، ج 10، ص128.

2 – اللسان مادة (جهر).

3 – مفتاح العلوم، السكاكي، ص76.

4 – ينظر الكتاب، سيبويه، ج4، ص 434.

5 – نفسه، ج4، ص 434.

6 – جمهرة اللّغة، ابن دريد، ج1، ص8.

7 – سر الصناعة، ابن جنيّ، ج1، ص60.

أمّا المحدثون فعرفوا هاتين الصفتين، ولكن أفادوا من الدراسات العلمية حيث عرفوا الوترين الصوتين وما لهما من علاقة بعملية الجهر والهمس[1]. ولاحظوا «أنهما ينشأن من ذبذبة الوترين الصوتين، وتأثرهما بالهواء الخارج من الرئتين وعدم تأثرهما وذبذبتهما»[2]. كما لاحظوا أيضا أن هذا التأثر مرتبط بفتحة المزمار في انقباضها وانبساطها، فإذا انقبضت هذه الفتحة ضاق مجرى الهواء واقترب الوتران الصوتان، أحدهما من الآخر، فيؤثّر الهواء فيهما بالاهتزاز، وهذا يحدث مع الصوت المجهور.

وإذا انبسطت فُتح المزمار واتسع مجرى الهواء وابتعد الوتران الصوتان أحدهما عن الآخر، بحيث لا يؤثر فيهما الهواء الخارج من الرئتين بالاهتزاز وهذا يحدث عندما يكون الصوت مهموسا.[3] وعلى هذا الأساس يمكن تعريف المجهور بأنّه الصوت الذي يهتز معه الوتران الصوتيان ويتذبذبان.[4] والأصوات المجهورة في اللغة العربية كما ينطقها مجيدو القراءات اليوم هي: الهمزة والباء والجيم والدال والذال والراء والزاي والصاد والطاء والعين والغين واللام والميم والنون والواو والياء، وهي خمسة عشر صوتا.

والمهموس هو الصوت الذي ينفرج معه الوتران الصوتيان بعضهما عن بعض أثناء مرور الهواء من الرئتين، بحيث يسمحان له بالخروج دون أن يقابله أي اعتراض في طريقه، ومن تم لا يتذبذبان.[5] والأصوات المهموسة كما ينطقها المختصون في اللغة العربية اليوم هي: السين والكاف والثاء والفاء والحاء والشين والخاء والصاد والقاف والطاء والعين والهاء.

---

1 – أصوات اللغة العربية، عبد القادر حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، ص135.

2 – ينظر نفسه، ص135.

3 – ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص20، 21.

4 – ينظر اللغة لفندريس، ص51.

5 – ينظر مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، ص 58.

وأوجب العلماء طريقة تقليدية لتمييز المجهور عن المهموس، ومنها وضع الأصبع على تفاحة آدم، ثم النطق بالحرف، فإذا اهتز الوتران الصوتيان شعرنا بالاهتزاز، وهذا بالنسبة للأصوات المجهورة، وإذا لم يهتزا لم نشعر بشيء عند النطق بالأصوات المهموسة[1].

قد أوضح بعضهم أنه يمكن «ذوق الحرف واعتبار صداه بأن يأتي به ساكنا لا متحركا، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله، وبهذا يعرف مخرجه المحقق وصفته»[2] أو بطريقة بسيطة وهي وضع الكف فوق الجبهة في أثناء النطق بالصوت فنجد رنينا، ونحس به في الكف، وهذا الرنين ناشئ عن اهتزاز الوترين الصوتين، مع الحرف المجهور ولا يحدث مع المهموس[3].

وما يمكن ملاحظته أن القدماء جعلوا ضمن الأصوات المجهورة ثلاثة أصوات مهموسة[4].

هي كما يراها المحدثون، الهمزة والقاف والطاء.[5] وقد ثارت حول هذه المسألة نقاشات متعددة لم يصل أي منها إلى يقين.[1] حيث نجد الهمزة عند سيبويه وغيره من القدماء صوتا مجهورا.[2] فابن جني يصرح بذلك قائلا:

---

1 – ينظر الأصوات، كمال بشر، ص 87.

2 – ينظر سر الصناعة، ابن جنيّ، ج1، ص7، وفقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص160، ودراسات في فقه اللغة، ص278.

3 – ينظر أصوات اللغة العربية، حامد عبد الغفّار هلال، ص137، وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة، عاطف مذكور، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1987م، ص117.

4 – ينظر الكتاب، سيبويه، ج4، ص434، وسر الصناعة، ابن جنيّ، ج1، ص60، والممتع في التصريف، ج2، ص672، والنشر، ابن الجزري، ج1، ص202.

5 – الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص21.

«إنّ الجهر في الأصوات ناتج عن اهتزاز الوترين الصّوتيين اهتزازًا منتظمًا، فيكون الصّوت المجهور قويًّا وله تأثير ما لا يكون لغيره من الأصوات»[3] وممّا أفاد الجهر في السّورة تقرير مصير الكافرين المؤلم في قوله تعالى:﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا** ﴾[4] فالتّتابع الصّوتي لأصوات الجهر في (أظلم وذكر) و(أعرض وقدّمت يداه) فيأتي الصّوت المجهور المفخّم يتبعه المجهور المرقّق (ظ – ذ) (ص – د – د) مع هذا التتابع الصّوتي الرابط بين المقدّمات من ظلم وإعراض، والنتائج التي تظهر المصير الموحش الذي يزداد سوءًا، فالقلوب عليها أكنّة وصمت الآذان، فكانت النتيجة الضلال الذي يوصل إلى غضب الجبّار.

والهمس يتّسم باللّيونة في طبيعته وتكوينه وفيه ملمح من الحزن أحيانًا، ومن أمثلة الأصوات المهموسة في السّورة قوله تعالى: ﴿ **وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا** ﴾[5]، في الآية ألفاظ سهلة في طبيعة أصواتها (يبشر، الصالحات، حسنا) وإلى جانب ذلك فإنّها أصوات صفيريّة تفيد الطمأنينة، والتّبشير للمؤمنين.

ومن ذلك أيضا قوله: ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[6] فالأصوات المهموسة (يحلّون فيها من أساور، يلبسون، سندس، استبرق) فأغلب الأصوات

---

1 – ينظر نقاشا لهذه المشكلة في الوجيز في فقه اللغة، محمّد الأنطاكي، ص 200، 218.

2 – ينظر الكتاب، سيبويه، ج4، ص434.

3– سر الصناعة، ابن جني، ج1، ص60.

4 – الكهف: 57.

5 – الكهف: 02.

6 – الكهف: 31.

المهموسة تناسب وصف حال أصل الجنّة ونعيمها، وهذا من التوسّع في الوصف، ومن ذلك قوله: ﴿ **وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ** ﴾[1] الأصوات المهموسة تنشر جوًّا من الراحة والجمال يملأ المحيط بها ويتوسّع الوصف.

ولذلك نستنتج فيما يخص الجهر والهمس الوارد في السورة، فإن الأصوات المجهورة طغت بصورة كبيرة على الأصوات المهموسة، حيث سجل تواتر الجهر بنسبة 67.98 % في حين نجد عدد الأصوات المهموسة 31.97%، أي ما يعادل نصفها. وكان لصوت اللام (13.45%) والنون (10.08%)، والميم (8.69%)، والراء(5.49%)، حضورا مكثفا ولعل لانتشار الأصوات المجهورة ما يبررها إذ أنها تتساوق ومجريات أحداث السورة، هذه الأخيرة التي تتطلب أصواتا شديدة وقوية تناسب مواقف السورة الكريمة. وقد بدا هذا الأمر طبيعيا عند المحدثين، إذ اعتبروا من البداهة " أن تكون الكثرة الغالبة من الأصوات اللغوية في كل كلام للأصوات المجهورة، ومن الطبيعي أن تكون كذلك، وإلا فقدت اللغة أداة التواصل وعنصرها الموسيقي ورنينها الخاص، الذي نميز به الكلام من الصمت والجهر من الهمس والإسرار"[2] ، بل ذهب بعضهم إلى الإقرار بأن نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام لا تزيد على 20% ، في حين أن 80% منه أصواتا مجهورة.[3]

2- الشدة والرّخاوة: يعني الأصوات الانفجارية والاحتكاكية.

الجدول رقم: 03

1 - الكهف: 32.

2 - الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص118.

3 - ينظر المرجع نفسه، ص121.

الأصوات الشديدة ونسبها		الأصوات الرخوة ونسبها		الأصوات المائعة ونسبها	
ب	4.97	س	2.15	ل	13.45
ت	5.42	ز	0.48	ر	5.49
د	3.23	ص	0.83	م	8.69
ط	0.69	ش	1.04	ن	5.07
ض	0.62	ذ	1.25		
ك	2.92	ث	1.07		
ق	2.71	ع	0.48		
أ	7.92	ف	2.85		
		ه	6.25		
		ح	1.77		
		خ	0.73		
		ع	3.47		
		غ	0.48		

-النسبة الإجمالية للأصوات الشديدة : 43.19%.

- النسبة الإجمالية للأصوات الرخوة : 22.85%.

- النسبة الإجمالية للأصوات المائعة : 32.71%.

ويوصف الصّوت الانفجاريّ باعتبار التوقف، أو انحباس الهواء الذي يصنع منها الصوت، وتسمى عند القدامى بالأصوات الشديدة فالشدة لغة الصلابة وهي نقيض اللين تكون في الجواهر والأعراض[1]. والرخاوة لغة اللين[2]. والشديد هو «الذي يمنع الصوت أن يجري فيه»[3]. وبمعنى آخر هو كمال انحباس جري الصوت عند النطق بالصوت لكمال قوّة اعتماده على مخرجه[4]. والرخاوة هو لين الصوت وجريانه عند التلف طبه، لضعفه وضعف الاعتماد عليه في مخرجه[5].

فمعيار الصوت الشديد هو الإقفال المحكم في المخرج؛ ثم الفتح المفاجئ والتسريح السريع للهواء، وهذا لا يحدث مع الصوت الرخو، الذي يمر الهواء فيه دون عائق. وبين هاتين الصفتين نجد صفة التوسط، وهو الذي بين الشدة والرخاوة ومعناه في اللغة الاعتدال[6].

وفي الاصطلاح منزلة بين تمام الانحصار وتمام الجري،[7] وللمحدثين في هذه هذه الصفات مصطلحات جديدة، إلا أنها لا تخرج عما ذكره القدماء فيما تتضمنه من تصور لصدور الأصوات متصفة بوضع نطقي خاص[8]. فقد لاحظوا

1 – ينظر اللسان مادة (شدد) و(رخو)

2 – ينظر المصدر نفسه مادة (رخو) والرخاوة يجوز فيها تثليث الراء، تأتي بالكسرة والضمة والفتحة، والكسرة أشهر، فيقال : الرخاوة، الرخاوة، والرخاوة.

3 – الكتاب، سيبويه، ج4، ص434، سر الصناعة، ابن جني، ج1، ص61، والمفصل، الزمخشري، ص395 وشرحه ابن يعيش، ج10، ص129.

4 – ينظر أحكام قراءة القرآن، الحصري، ص86.

5 – ينظر الكتاب، سيبويه، ج4، ص434، وسر الصناعة، ابن جنيّ، ج1، ص61، والمفصل، الزمخشري، ص395، وشرحه ابن يعيش، ج10، ص129، والمقتضب، المبرّد، ج1، ص194.

6 – ينظر تاج العروس: مادة (وسط)

7 – ينظر فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص161.

8 – أصوات اللغة العربية، عبد الغفّار حامد هلال، ص142.

أن مخرج الصوت يكون عند التقاء عضويين من أعضاء النطق يتصل أحدهما بالآخر اتصالا محكما في بعض الأحيان .وفي البعض الآخر يكون اتّصالا غير محكما فإذا التقيا التقاء محكما فإن الهواء المندفع من الرئتين ينحبس عندهما لحظة من الزمن، ينفصلان بعدها انفصالا فجائيا ينشأ عنه سماع صوت انفجاري هو اصطلاح القدماء على تسميته بالصوت الشديد[1].

وإذا التقى عضو النطق التقاء غير محكم لم ينحبس الهواء المندفع من الرئتين، بل يكون بين العضوين فراغ يسمح للهواء بالمرور فيحدث نوع من الحفيف نتيجة احتكاك الهواء بعضوي النطق حينئذ[2]. وقد يسمح التقاء العضوين للهواء بالمرور دون إحداث أي حفيف أو صفير نتيجة لاتساع مجرى الهواء، ويحدث ذلك مع بعض الأصوات[3].

وممّا تجدر الإشارة إليه أن هذين المصطلحين (الشدّة والرخاوة) عرفا لدى علماء العربية منذ أن أطلقها سيبويه حتى العصر الحديث، لكن هناك مصطلحان جديدان أطلقهما الفراء وهما: الأخرس للصوت الشديد والمصوت للصوت الرخو[4]. وهكذا نرى أنّ تغيّر شكل المخرج عند حدوث الصوت ينتج لنا أربعة أنواع من الأصوات، وهي: شديد (انفجاري) ورخو(احتكاكي) ومتوسط (مائع) ومزدوج (مركب) قسمت هذه الصفات بحسب درجة الانسداد.

• **الأصوات الانفجارية:** (Occlusif) وفيه تنقبض أعضاء النطق، ويلتقي بعضها ببعض في المخرج، في التحام تام لا يسمح للهواء بالنفوذ إلا بعد أن

1 – ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص24، 25.

2 – ينظر الوجيز في فقه اللغة، الأنطاكي، ص: 164، 165.

3 – ينظر المرجع نفسه، ص165.

4 – ينظر ما ذكره الكوفيون من الإدغام، لأبي سعيد السيرافي، تح صبيح التميمي، دار شهاب للطباعة والنشر، الجزائر، ص43.

ينفصل بعضهما عن بعض انفصالا مفاجئا[1]. والأصوات العربية الانفجارية أو الشديدة هي الباء، والتاء، والدال، والضاد، والطاء، والكاف، والقاف، والهمزة[2].

•**الأصوات الاحتكاكية**: (Constrictif) وفيه تتقارب أعضاء النطق في المخرج تقاربا شديدا بحيث لا تترك للهواء سوى منفذ ضيق يمر منه محدثا باحتكاكه بأعضاء النطق صوتا ضعيفا يشبه صوت الحفيف، وهذه الآلية في النطق تدعى الاحتكاك[3]. والأصوات المنبعثة بواسطتها هي: التاء، والحاء، والخاء، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والظاء، والعين، والغين، والفاء، والهاء[4].

وقد ارتبط ذلك بالحالات الانفعاليّة والتهديد والوعيد وعظيم الجزاء في قوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾[5] نلاحظ في الآية تتابع الصّوت المهموز الذي هو من أقوى الأصوات الانفجاريّة، فارتبط كلّ هذا مع حالة الفتى المندهش ممّا رأى أمامه من حال الحوت الغريب.

إن الجدول المتضمن للأصوات الشديدة الانفجارية، والتي بلغ عدد انتشارها في السورة 43.19% وهي كمية صوتية هائلة تستدعي جهدا صوتيا، ونفسا طويلا لنطقها. حيث " يحبس فيها مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع، وينتج عن هذا الحبس أن يضغط الهواء، ثم يطلق سراح

1 – علم اللغة بين التراث المعاصرة، عاطف مذكور، ص118، وتسمى أيضا انسدادية أو وقفية، ينظر أسس علم اللغة، ماريو ياي، ص82، والكلام إنتاجه وتحليله، عبد الرّحمن أيّوب، ص250.

2 – ينظر الأصوات، كمال بشر، ص98.

3 – الوجيز في فقه اللغة، الأنطاكي، ص165، والكلام إنتاجه وتحليله، عبد الرّحمن أيّوب، ص 249.

4 – ينظر مناهج البحث، تمّام حسّان، ص67، 103، والأصوات، كمال بشر، ص98.

5 – الكهف: 63.

المجرى الهوائي فجأة"[1]، وما يعلل هذا التواتر الهائل للأصوات الانفجارية أن المحاور الكبرى للسورة تتطلب ذلك إذ أنها اشتملت على الحالات الانفعالية والتهديد والوعيد ولذلك كان التوسل بهذا النمط من الأصوات كفيلا بتحقيق أدائية كلامية تبليغية مشبعة بالقوة. ونلاحظ أن صوت الهمزة بلغ نسبة تواتر 7.92% توزع توزيعا متساوقا مع أغراض السورة. ويشير الجدول المخصص للأصوات الرخوة الاحتكاكية أن النظام الصوتي في السورة جاء حاملا نسبة 22.85% ونعلم أن الصوت الاحتكاكي له ميزة التوازن والتشكيل والمرونة، مما يكسبها قابلية التواصل والإفادة في تلوناتها النطقية.

وقد كانت الهاء أكثر الأصوات ورودا بنسبة 6.25% تليها مرتبة صوت الفاء 2.85% والسين 2.15% ولا ريب أن هذه الأصوات مناسبة مع ظلال السورة الكريمة.

3-الاستفال والاستعلاء:

والاستعلاء خروج الصوت من أعلى الفم، وذلك لعلو اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى.[2] وعرفه ابن جني بقوله: «أن تتصعد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وأمّا الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها»[3].

إذ فحروف الاستعلاء سبعة، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والخاء، والقاف.[4] أما الاستفال لغة فهو من سفل، السفل والسفل

1 - الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص16.

2 - ينظر دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ص282.

3 - سر الصناعة، ابن جنيّ، ج1، ص61.

4 - محاضرات في فقه اللغة، زبير دراقي، ص69، وأصوات اللغة العربية، عبد الغفّار حامد هلال، ص 145.

والسفول بالضم نقيض العلو. قال ابن سيدة الأسفل نقيض الأعلى[1] أما اصطلاحا فيقال الصوت المستفل أو المنخفض، وهو ما ينخفض معه اللسان ولا يرتفع[2]. فيكون عمله في مستوى قاع الفم وأصوات الاستفال كما يراها علماء الدراسات الصوتية القدماء والمحدثون [3]، هي الهمزة، والباء، والتاء، والثاء، والجيم، والحاء، والدال والذال، والراء، والزاي، والسين، والشين، والعين، والقاف، والكاف، واللام، والنون، والهاء، والواو، والألف، والياء.

الجدول رقم :04

الاستفال ونسبته		الاستعلاء ونسبته	
أ	7.92	ط	0.69
ب	4.94	ظ	0.48
ت	5.42	ص	0.83
ث	1.07	ض	0.62
ج	1.25	ق	2.71
ح	1.77	خ	0.73
د	3.23	غ	0.48
ذ	1.25		
ر	5.49		
ز	0.48		
س	2.15		
ش	1.04		
ع	3.47		

1 – ينظر اللسان مادة (سفل).

2 – شرح الشافية، الأستراباذي، ج3، ص262.

3 – سر الصناعة، ابن جنّي، ج1، ص61، وشرح المفصل، ابن يعيش، ج10، ص129.

ف	2.85		
ك	2.92		
ل	13.45		
م	8.69		
ن	10.08		
ه	6.25		
و	5.07		
ي	4.52		

4-الانفتاح والإطباق:

والإطباق هو أن يرتفع مؤخّر اللسان نحو أقصى الحنك الأعلى في شكل مقعد على هيئة مغلقة بينما يكون طرفه ملتحما مع جزء أخر من الفم، مشكلا مخرجا من المخارج الصوتية المختلفة.[1] وقال فيه سيبويه: «الحروف المطبقة وهي التي إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك في مواضعهن إلى ما حذى الحنك الأعلى، فإذا وضعت لسانك، فالصوت محصور فيما بين اللسان في الحنك إلى موضع الحروف وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء»[2] وعرّفه ابن جني بقوله: «أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا والضاء ذالا»[3].

1 - ينظر الوجيز في فقه اللغة، الأنطاكي، ص168.

2 - الكتاب، سيبويه، ج4، ص 436، وينظر العربية، يوهان فك، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م، ص111.

3 - سرّ الصناعة، ابن جنيّ، ج1، ص61، وهذا ما ذهب إليه القدامى من أمثال الرضي في شرح الشافية، ج3، ص 262، والزجاجي في الجمل في النحو، ص 413، وابن السراج في الأصول في النحو، ج3، ص403.

فهذه الكيفيّة الخاصة للسان أثناء عملية النطق، تعطي الصوت المنطوق طابعا خاصا من الفخامة.[1] والانفتاح من فتح نقيض الإغلاق،[2] وسميت الحروف منفتحة، لأنك «لا تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى»[3] أي ينفتح ما بين اللسان والحنك الأعلى، حيث يسمح بجريان الهواء دون عائق عند النطق بها[4] وهي كل الأصوات ماعدا الأصوات المطبقة[5].

الجدول رقم: 05

الانفتاح ونسبته		الإطباق ونسبته	
أ	7.92	ط	0.69
ب	4.97	ظ	0.48
ت	5.42	ص	0.83
ث	1.07	ض	0.62
ج	1.25		
ح	1.77		
د	3.23		
خ	0.73		
ذ	1.25		
ر	5.49		
ز	0.48		

1 – ينظر الوجيز، الأنطاكي، ص 168.

2 – ينظر اللسان مادة (فتح).

3 – الكتاب، سيبويه، ج4، ص 436، وينظر الأصول في النحو، ابن السراج، ج3، ص404.

4 – ينظر الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص273.

5 – ينظر الكتاب، سيبويه، ج4، ص 436.

س	2.15		
ش	1.04		
ع	3.47		
غ	0.48		
ف	2.85		
ق	2.71		
ك	2.92		
ل	13.45		
م	8.69		
ن	10.08		
هـ	6.25		
و	5.07		
ي	4.52		

5-المفخّمة والمرقّقة:

الجدول رقم: 06

المرقق		المفخم	
أ	7.92	ص	0.83
ب	4.97	ض	0.62
ت	5.42	ط	0.43
ث	1.07	ظ	0.69
ج	1.25	خ	0.73
ح	1.77	غ	0.48
د	3.23	ق	2.71
ذ	1.25		
ز	0.48		
س	2.15		
ش	1.04		
ع	3.47		
ف	2.85		
ك	2.92		
م	8.69		
ن	10.08		
و	5.07		
ه	6.25		
ي	4.52		

نسبة اللام المفخمة 2.85%

نسبة اللام المرققة 97.40%

نسبة الراء المفخمة 43.03%

نسبة الراء المرفقة 56.96%

النسبة المئوية الإجمالية للأصوات المرققة 93.46%

النسبة المئوية الإجمالية للأصوات المفخمة 6.54%

تفخيم الصّوت ناتج عن حركة مؤخّرة اللسان، وفي ظاهرة تتابع الأصوات المفخّمة في الآيات حيث أفادت التّعظيم والتهويل في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا**﴾[1]، وهي من المشاهد العظيمة المخيفة مشهد حال الدنيا يوم القيامة «الأرض الجرز، يعني مثل أرض بيضاء لا نبات فيها»[2] فقد ساعد ملمح التفخيم بما فيه من دلالات القوّة والتمكين في (صَعِيدًا).

وفي قوله أيضا: ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**﴾[3] هي من المواقف التي ظهرت فيها الحاجة لإظهار القوّة والتمكين المستمر في قصّة أهل الكهف، وما حصل في قصّة الفتية فيه أحداث معجزة تصل إلى حدّ العجب.

والترقيق الصّوتي في مقابل التفخيم، ومعناه أن اللسان يستفل، وممّا يفيده في السورة التودّد في قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾[4]، وفي قوله أيضا: ﴿**قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا**﴾[5]، ففي الموقفين من النبيّ موسى (عليه السّلام) مع العبد الصالح طلب واعتذار مؤدّبان وتودّد.

وما نستخلصه من تلك الجداول أن النظام الصوتي للسورة متميز ومؤكد لحقيقة هي ورود الأصوات في شكل ثنائيات متقابلة ومتشاكلة، فالأصوات الشديدة تقابلها وتشاكلها الأصوات الرخوة، والأصوات المهموسة تشاكلها الأصوات المجهورة، ولا شكل أن هذا التقابل والتشاكل يمثل فضاء كبيرا من التنويع التنغيمي المولد لقيم خلافية دالة على مفهوم التوزيع التقابلي، الذي يمثل في جوهره منشأ الخطاب، كما يضفي عليه مسحة من الرونق والجمال، ما يعمق به خصائصه الفنية عموما.

---

1 – الكهف: 8.

2 – الكشاف، الزمخشري، ج2، ص 473.

3 – الكهف: 11.

4 – الكهف: 66.

5 – الكهف: 73.

ولأن الخطاب القرآني على وجه الخصوص محكوم بآليات بلاغية من شأنها أن تبرر هذا الاختلاف القائم بين الأصوات اللغوية.

2-الصوائت ونسبها:

وتمثل الأصوات الصائتة (Voylles) القسم الثاني من الفونيمات التركيبية أو الأصوات اللغوية التي تشكل بينة اللغة العربية. وقد سميت بأسماء مختلفة، وكلها تصب في مجرى واحد، وهي: الأصوات اللينة والأصوات الطليقة وحروف المد، والمصوتات وحروف العلة والأصوات الصائتة، والحركات والأصوات المتحركة[1]. وتتمثل هذه الأصوات في الألف والواو والياء المديتين، والفتحة والضمة والكسرة. ومع أنه عنصر رئيسي في اللغات، وهي الأكثر شيوعا، لم يعن بها المتقدمون من علماء العربية إذ لم يتفطنوا بأنها تدخل في بناء الكلمات[2].

وتنقسم الصوائت إلى الطويلة والقصيرة، فالطويلة سماها القدامى حروف المد[3]، وهي الألف والواو إذا سكنت مع مجانسة الحركة السابقة لها مثل: وجيل، سود، نور، باع، قال، والألف حرف مد دائما، لأنها لا تقع إلا بعد فتحة، وهي الحركة المجانسة لها وإلا غيرت إلى حرف آخر والواو إن سبقت بكسرة[4]. وقد وصف ابن جني الأصوات الثلاثة باتساع المخارج [5]، مما يؤكد أنها تنطلق مع الهواء الهواء دون عائق في أية منطقة من مناطق النطق، سواء في الحلق أو الفم أو

1 – الأصوات اللينة عند إبراهيم أنيس، وحروف المد عند ابن جني، الطليقة عند الأنطاكي، وحروف العلة عند تمام حسان، والأصوات الصائتة عند محمود السعران والحركات عند رمضان عبد التواب.

2 – ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 37، والتطوّر النّحوي، برجستراسر، ترجمة رمضان عبد التوّاب، ص53.

3 – ينظر سر الصناعة، ابن جنيّ، ج1، ص17، 18، والمقتضب، المبرّد، ج1، ص196.

4 – ينظر أصوات اللغة العربية، عبد الغفار حامد هلال، ص 92.

5 – ينظر سر الصناعة، ابن جني، ج1، ص8.

الشفتين، وإلى هذا أشار قبله –الخليل –حيث جعلها تخرج من الجوف وسماعها حروفا هوائية[1].

والأصوات الصائتة هي الأصوات التي يحدث في تكوينها، «أن يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فيضيق مجراه كما يحدث مع الأصوات الشديدة»[2]. ويعرفها دنيال جونز بأنها أصوات يخرج الهواء عند النطق بها على شكل مستمر من البلعوم والفم، دون أن يعترضه حائل[3].

وقد استطاع ابن جني تبين الحروف الثلاثة من حيث كيفية النطق بها وموقعها في الحلق واللسان والشفتين، فقال: «إنّ الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء، والواو، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو، والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث أحوال مختلف الأشكال، أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبي اللسان... وأمّا الواو فتضم لها معظم الشفتين...»[4]. وعدّ القدامى الحركات أبعاض حروف المد، فكما أن هذه الحروف هي ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، يقول ابن جني: «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين،

1 – ينظر العين، الخليل، ج1، ص64، 65.

2 – الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص26، وينظر مبادئ اللسانيات، أحمد مختار عمر، ص58، وأضواء على الدراسات المعاصرة، ص261.

3 – ينظر:

D.jones an outline of englisch phonetics, P97.

4 –سر الصناعة، ابن جنيّ، ج1، ص8، 9.

وهي الألف والياء والواو، فكما أن الحروف ثلاثة، الحركات ثلاث وهي الفتحة والضمة والكسرة...»[1].

1-المخرج:

تتحد أنواع الحركات، بحركة مقدمة اللسان نحو سقف الحنك، أو حركة مؤخرة اللسان نحو سقف الحنك كذلك[2]. فإن كان اللسان مستويا في قاع الفم، مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك، وتركت الهواء ينطبق من الرئتين، وتهتز الأوتار الصوتية وهو مار بها. تنتج عن ذلك صوت الفتحة[3]. فإذا تركت مقدمة اللسان تصعد نحو وسط الحنك الأعلى بحيث يكون الفراغ بينهما كافيا لمرور الهواء، دون أن يحدث في مروره بهذا الموضع أي نوع من الاحتكاك والحفيف، وجعلت الأوتار الصوتية تهتز مع ذلك، نتج صوت الكسرة الخالصة[4].

ولو صعدت مقدمة اللسان أكثر من ذلك، نحو وسط الحنك بحيث احتكاك للهواء المار بهذا الموضع، نتج عن ذلك صوت الياء[5]. أما إذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك، بحيث لا يحدث الهواء المار بهذه النقطة، أي نوع من الحفيف، مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية، فإنّ الصوت الذي ينتج عن ذلك هو صوت الضمة[6].

في طبيعة البنية التكوينية للحركات نسجل الملاحظات التالية:

---

1 - سر الصناعة، ابن جنيّ، ج1، ص17، 18.

2 - ينظر الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص 205، والكلام إنتاجه وتحليله، عبد الرحمن أيوب، ص 73.

3 - ينظر مدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، ص93.

4 - ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص31.

5 - ينظر المرجع نفسه، ص31.

6 - ينظر مدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، ص93.

الفتحة: حركة متسعة، وصائت وسطي قصير، يكون اللسان معها مستويا في القاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه، حيث يبقى الفم مفتوحا بشكل متسع وحجرات الرنين فيه كبيرة. وتكون الشفتان معها مسطحتين منفرجتين[1].

الكسرة: حركة ضيقة، وصائت أمامي يكون اللسان معها أقل ارتفاعا من حركة الفتحة، ومعها يرتفع مقدم اللسان اتجاه الحنك الأعلى إلى أقصى حد ممكن، مع انفراج الشفتين[2].

الضمّة: حركة خلفية ضيقة، تتكون حين يصبح اللسان أثناء تحقيقها أقرب ما يمكن من الحنك اللين واللهاة وحجرة الرنين الفمية، مع وضع اللسان ضيقة جدا، أمّا الشفتان فتكونان مفتوحتين فتحا خفيفا ومتقدمين نحو الأمام بشكل مدور[3].

وفيما يلي تخطيط يبين وضع اللسان مع الحركات المختلفة[4]:

الجدول رقم:07

نوع الحركة	عدد الاستعمال	النسبة المئوية
الفتحة	1786	75.39
الكسرة	330	13.92
الضمة	253	10.67

التّحليل:

1 – دراسات في فقه اللغة، صبحي صالح، ص 184.

2 – ينظر الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص 210، والألسنية العربية، ريمون الطحان، ص 40.

3 – ينظر الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص210.

4 – الكلام إنتاجه وتحليله، عبد الرحمن أيوب، ص: 248،

an introduction to the pronunciation of english, P:214.

هذه هي النتائج التي توصلنا إليها، بعد العملية الإحصائية لأصوات آيات سورة الكهف، المعتمدة بجهاز الكمبيوتر، وما نلاحظه هو ارتفاع نسبة الصفات القوية، مقارنة بنسبة الصفات الضعيفة.

فالصوامت المجهورة كانت أكثر شيوعا في السورة الكريمة، إذ قدرت النسبة المئوية بـ: 67.98% مقارنة بالصوامت المهموسة التي بلغت نسبتها 31.97% وقد تخيل لنا عند عد المجهورات والمهموسات أن نسبتها متعادلة، ولكن الحقيقة غير ذلك، وهذا ما أثبته الإحصاء، فالكثرة الغالبة من الأصوات اللغوية في كل السورة مجهورة، و»من الطبيعي أن تكون كذلك وإلا فقدت اللغة عنصرها الموسيقي ورنينها الخاص الذي نميز به الكلام من الصمت، والجهر من الهمس. فالحنجرة هي أداة الصوت الأساسية وما يتكون في غيرها من أصوات إنسانية لا يكون كلاما مسموعا واضحا ذا درجات موسيقية منسجمة يمكن ضبطها و قياسها»[1].

أمّا عن الأصوات الشديدة و الرخوة، فكانت الكثرة الغالبة للشديدة بنسبة 43.19% لأنّها تدل غالبا على الأحداث الشديدة وترتبط بها[2]. من مثل ذلك في قوله تعالى:﴿ **وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا** ﴾[3]. فتكرار الأصوات الانفجارية تساعد على نسج الدلالة في السورة مع المعاني وتولّد موسيقى قويّة وعنيفة. أمّا الصوامت الرخوة فقد استخدمت استخداما رائعا، فهي بصفاتها الصوتية الخاصة تصور معاني تصويرا حسيا، وتضفي عليه جرسا موسيقيا موحيا مؤثرا، بالرغم من نسبة ورودها الضعيفة:22.85 %، ذلك أن الأصوات تمتاز بتطبيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكا مسموعا

1 – الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص21.

2 – ينظر من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، محمد السيد سليمان العبد، ص79.

3 – الكهف: 48.

ونوعا من الحفيف[1]. أما الصوت المزجي أو المركب: الجيم فقد كُرِّرَ ستا وثلاثين مرة ارتبط كثيرا بمعنى الرجم والوجود، وارتبط بموسيقى عذبة موحية مؤثرة.

وقد قلت نسبة الأصوات المطبقة، فقد بلغت 2.65%، وهي نسبة قليلة جدا مقارنة مع الأصوات المنفتحة 97.35%، وما ينطبق عليها ينطبق أيضا على الأصوات المستعلية والمستفيلة، فقد بلغت الأولى 6.52%، والثانية 93.36%.
وإذا حلّلنا هذه الظاهرة، أي قلة استعمال هذا النوع من الأصوات، وجدنا أن اللسان مع أصوات الإطباق يرتفع إلى الحنك الأعلى متخذا شكلا مقعرا[2].
والعرب تكره هذا الانتقال أي ارتفاعه لينخفض مرة أخرى، وتسمى هذه الظاهرة بالتحليق pharyngalisation.

وأصوات الاستعلاء نفسها هي: أصوات الإطباق، مضافا إليها القاف والخاء والغين. وهي نفسها أصوات التفخيم، ويتم الاستعلاء بتصعد مؤخر اللسان إلى الطبق، بغير إطباق أي باستعلاء فقط ويكون مع الخاء والغين والقاف[3]. ويلاحظ على هذه النتائج كثرة ورود الأصوات المذلقة: الراء واللام والميم، والنون والفاء، والباء، وطابقت هذه النتيجة ما نص عليه القدماء مثل الخليل وغيره، فقد ذهب الخليل إلى فكرة عجيبة حقا هي أن البناء الرباعي والخماسي لا يعرى من الحروف الذلق أو من بعضها[4].

فإذا ورد شيء من الرباعي أو من الخماسي خال من حروف الذلاقة فهو مبتدع ليس من كلام العرب. جاء في معجم العين: "أصوات الذلاقة تتكون من ستة أصوات هي: الراء، واللام، والنون، الفاء، والباء، الميم، فإن وردت في كلمة

1 – ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص30.
2 – الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص152.
3 – ينظر مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ص85.
4 – ينظر العين، الخليل، ج1، ص52.

رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق، فاعلم أنتلك الكلمة محدثة مبتدعة"[1]. وما تتصف به هذه الأصوات هي الخفة والسلاسة على اللسان، وهذا ما أكده ابن جني والرضى الاستراباذي، فقد عللا سعة انتشارها بسهولة جريانها أثناء النطق[2].

فاللام مثلا بلغت نسبتها في السورة 13.45%، وهي أعلى النسب، إذ تردد 387 مرّة، ويفسر لنا شيوع اللام في العربية ظاهرة إدغامها في معظم الأصوات الصامتة حين تكون أداة تعريف[3]. ثم النون 290 مرّة، وبعدها الميم 250 مرّة والراء 150 مرّة، وما تجدر الإشارة إليه أن هذه الأصوات سميت في الدراسات الحديثة بأشباه الصوائت. وقد أوضح البحث الصوتي أن هذا النوع كثير الشيوع، وذلك بعد استقراء بعض معاجم اللغة العربية والقران الكريم.

أمّا فيما يتعلق بالمعاجم فقد تبين أن الراء وردت بأعلى نسبة، ثم النون، ثم الميم واللام. أما فيما يتعلق بالقرآن فقد تبين أن اللام وردت 33022 مرّة، والنون 26525 مرّة. ثم الميم والراء[4]. وهذه النتائج طابقت فعلا النتائج التي توصلنا إليها، بعد استقرائنا لبعض آيات السورة الكريمة. والعلة في ذلك كما توصلنا إليها علم الأصوات الحديث، أن مجرى النفس مع هذه الأصوات لا تعترضه بعض الحوائل، وهي صفة من صفات الصوامت[5]. ولا يكاد يسمع لهذه

1 – ينظر العين، الخليل، ج1، ص52.

2 – ينظر سر الصناعة، ابن جنيّ، ج1، ص64، وشرح الشافية، الأستراباذي، ج3، ص275.

3 – ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص244.

4 – ينظر البينة اللغوية لبردة البويصري، رابح بوخوش، ص59.

5 – ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص27.

الأصوات أي نوع من الحفيف[1]، وتعد أيضا من أكثر الصوامت وضوحا في السمع، وهي بذلك كثيرة الشيوع سهلة من حيث النطق[2].

وإذا علمنا أن هذه السمات هي صفات أشباه الصوائت التمسنا لوجودها في السورة تعليلا، ذلك أنها أدت دورها ونجحت بصفتها المتميزة كالسهولة، والوضوح السمعي، والتأثير في التبليغ. فقد أنتج لنا هذا النسيج الصوتي الإيقاع الموسيقي، وأدركنا سر الصوت اللغوي ، ودوره في البناء القرآني.

ويرجع استعمال ودوران النون والميم في السورة لطول المدة الزمنية التي يستغرقها كل منهما في النطق[3]. وهما أيضا الصوتان الأنفيان في العربية يتمتعان بصفة الغنة، أضفت عليهما ميزة موسيقية، التي تنشأ عن ضغط الهواء الخارج من الرئتين بالفم عند النطق بأحدهما، فيخرج الهواء من الأنف بسهولة ويسر[4].

أمّا عن الصوتين الآخرين، الباء والفاء، فقد حظيا أيضا بنصيب وافر، إذا بلغ تواتر الصوت الأول (الباء): مائة وثلاثة وأربعين مرة، وبلغ دوران الثاني (الفاء): 82 مرّة ، ويعود ذلك لخفتهما أمام التيار الهوائي الخارج من الرئتين، إذ يحبس فترة من الزمن[5]. أما صوت الفاء فينتج حين تتصل الشفة السفلى بأطراف الثنايا العليا ، فتندفع كمية من الهواء الخارج من الرئتين[6]. فهما صوتان شفويان لا دخل للسان في إخراجهما، جعل منهما من أصوات الذلاقة.

1 – ينظر الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص 27.
2 – ينظر نفسه، ص27.
3 – ينظر من صور الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم، محمد سليمان السيد العبد، ص 92.
4 – ينظر المرجع نفسه، ص92.
5 – ينظر الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص 156.
6 – ينظر المصدر نفسه، ص 158.

أمّا استقراؤنا للأصوات الصائتة فقد أسفر عن النتائج الآتية: فقد بلغت نسبة الفتحة 75.39% ونسبة الكسرة 13.92%، أما نسبة الضمة فبلغت 10.67%.

ويتبين أن الفتحة بنوعيها (الحركة الطويلة والقصيرة) أسهل الصوائت نطقا، حيث يحرك الإنسان لسانه إلى الأسفل قدر المستطاع، ويسحبه إلى الخلف قدر الإمكان ، ويبسط شفتيه عن غير تدوير[1]، وتتميز بأنها صائت أمامي (من الحركات الأمامية).

منفتح غير مستدير، فموي، وينطبق هذا الوصف على الفتحة المرققة في العربية الفصحى[2]. وتتفرع منها الألف أو ما يسمى بالفتحة الطويلة، ولا تختلف عنها إلاّ في الطول، ولها وصفان، أحدهما أساسي هو الفتحة الطويلة المرققة التي توصف بأنها صوت أمامي، والأخر فرعي وهو الفتحة الطويلة المفخمة التي توصف بأنها صوت خلفي فيه استدارة وانفتاح[3].

وهو مسبوق بأصوات الاستعلاء، وقد حازت الفتحة لتميزها بهذه الصفات بحصة كبيرة في البناء الصوتي للسورة، واتسمت بكثرة سيرورتها فيها. وأمّا الكسرة فتعد صائتا أماميا منغلقا[4]. ليس فيه استدارة الفم، ينفتح هذا الصائت بارتفاع مقدم اللسان نحو الحنك الأعلى حتى يبلغ أقصى ما يمكن الوصول إليه دون أن يرتطم بالحنك[5].

1 – ينظر مبادئ اللسانيات، أحمد محمّد قدور، ص89.
2 – المرجع نفسه، ص94.
3 – ينظر مبادئ اللسانيات، أحمد محمّد قدور، ص 95.
4 – المرجع نفسه، ص95.
5 – ينظر الوجيز في فقه اللغة، الأنطاكي، ص 229.

ولهذه الصفات جعلت منها حركة سهلة نوعا ما، بما أنها من الحركات الأمامية، ولذلك كثر دورانها. أما الضمة، فلم تتواتر كثيرا في السورة، فقد كانت نسبتها ضعيفة مقارنة مع الحركات الأمامية. وهذا راجع إلى أنّ الضمة صائت خلفي ومنغلق ومستدير[1]. وينتج بارتفاع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك[2]، وهذه الحركة تعد نوعا ما صعبة الإخراج ولذلك صمت البناء عن استعمالها كثيرا، كما أنها من أثقل الحركات[3].

3/البناء المقطعي لآيات سورة الكهف:

إذا كانت الأصوات هي العناصر البسيطة التي تتكوّن منها الكلمة العربيّة، فإنّ بين الصّوت المفرد والكلمة المركّبة من عدّة أصوات، مرحلة وسيطة هي مرحلة المقطع. والمقطع في أبسط صوره مزيج بين صامت وصائت، فهو يعدّ أصغر وحدة تركيبيّة يتفق مع طريقة اللّغة في تأليف بينهما، ويعتمد على الإيقاع النفسي، فهو كلّ ضغطة على الحجاب الحاجز على هواء رئتين[4] ولعلّنا نتذكّر بهذا التقسيم الطريقة التي ابتدأ بها تعلّم القراءة في المرحلة الأوّلى من التّعليم المدرسي، إذ كانت في الواقع قراءة مقطعيّة على نحو طبيعي تسهّل تعلّم اللّغة.

ومن هذا المنطلق سنلجأ إلى استعمال الرمز (ص) للدّلالة على الصّوت الصّائت، والرمز (ح) للدّلالة على الأصوات الصائتة (الحركات) وحقيقة المقاطع تختلف من نظرة إلى أخرى بحيث يمكن أن نجمع هذه النظرات الجزئيّة في التعريف التّالي: فالمقاطع تعبيرات على نسق منظّم من الجزيئات التّحليليّة، أو خفقات

1 – ينظر مبادئ اللسانيات، أحمد محمّد قدور، ص94.

2 – ينظر الوجيز في فقه اللغة، ص230.

3 – ينظر: فقه اللغة في الكتب العربيّة، عبده الراجحي، ص231.

4 – ينظر الدراسات المعمليّة في وظائف الأعضاء العام، صبحي عمران شلش، مؤسسة المجلس الأعلى العربي للعلوم والتكنولوجيا، الجزائر،ط2، 1992، ص30.

صدريّة في أثناء الكلام، أو وحدات تركيبيّة، أو أشكال وكميات معيّنة[1] ويمكن القول بأنّ المقاطع عبارة عن أنساق منظّمة من الرموز لأنساق منظّمة من الصوامت والحركات. وقبل البدء بدراسة النماذج من سورة الكهف الكريمة، لابدّ من تعريف محدّد لمفهوم المقطع ليسهل فهم الاصطلاحات والرّموز المتعلّقة به.

1-تعريف المقطع اللغوي:

للمقطع تعاريف مختلفة، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى تعدّد المذاهب، وتباعد وجهات النظر، فالمقطع لغة «هو غاية ما قطع، وأنه موضع للقطع، ومقطعات الشيء طرائقه التي يتحلل إليها ويتركب عنها، ومقطع كل شيء آخره، وتقطيع الشعر وزنه، بأجزاء العروض وتجزئته بالأفعال»[2]، فقد ثار جدل وخلاف حادّ بين اللّغويين حول أهميّته وماهيته في التّحليل اللّغوي، وانقسم العلماء إلى مؤيّد ومعارض له، ومن روّاد الفريق الأوّل سويت sweet الذي صرّح بعدم أهميّة المقطع، وكذلك روسلي rousselet حينما قال: «إنّ الكلمة والمقطع كليهما لا يوجدان إلاّ في الكلام المقطّع»[3].

أما في معجم المقاييس في اللغة فجاء في باب القاف والطاء وما يثلثهما أن "القاف والطاء والعين أصل صحيح واحد، يدل على صرم وإبانة شيء من شيء"[4].

وقيل فيه أيضا: «إنّ الكلام لا يحتوي على قوالب من الأصوات كما تمثّلها الحروف، أو أيّ مجموعات أكبر كالمقطع»[5] لكن سرعان ما خفّفت بعض

1 – ينظر مناهج البحث، تمام حسان، ص138.
2 – لسان العرب، ابن منظور، مادة قطع.
3 – دراسات الصّوت اللّغوي أحمد مختار عمر، ص237.
4 – معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، باب القاف، قطع، 893.
5 – دراسات الصّوت اللّغوي، أحمد مختار عمر، ص237.

الدراسات التجريبيّة من غلوّ هؤلاء المهاجمين؛ حيث أزالت بعض اللّبس الذي أحاط بالمقطع وذلك بتقدّم الوسائل العلميّة بعد إثباتها أنّ الصدر لا يواصل ضغطا ثابتا خلال العمليّة التّنفسيّة، وأنّ عضلات الصدر تنتج نبضة منفصلة من الضغط لكلّ مقطع[1].

ومع هذا الاختلاف في تعاريف اللغويين المحدثين للمقطع، تبعا لاختلاف نظرتهم إليه، فمنهم من نظر إليه نظرة أكوستيكية ومنهم من نظر إليه نظرة نطقية، وهناك من نظر إليه نظرة وظيفية، وأيا ما كان الأمر فقد برز اتجاهان رئيسيان في تعريف المقطع أحدهما فونيتيكي والآخر فونولوجي تشكيلي.

لكنّ تعريفه بشكل عام اتّجه فيه اتّجاهين رئيسيين، الاتّجاه الفونتيكي، والاتّجاه التشكيلي الفونولوجي، ولأنّ وجهتنا في عملنا هذا لا تسمح بتتبّع كلّ الآراء والاتجاهات، فإنّني سأتوقّف عند أشهر ما اتّفق عليه، وما يمكن أن يخدم الدّرس الصّوتي، وهو الذي يرى أنّ المقطع: «تتابع من الأصوات الكلاميّة له حدّ أعلى أو قمّة إسماع طبيعيّة، تقع بين حدّين أدنيين من الإسماع»[2].

ويعرّفه كانتينو قائلا: «إنّ الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت سواءً أكان الغلق كاملا أو جزئيًا هي التي تمثّل المقطع»[3] أي انتقال من وحدة لأخرى بوقفة صغيرة، ويعرّف المقطع بالنظر إلى كونه وحدة في كلّ لغة على حدة، ويعرّف المقطع تشكيليًا فونولوجيًا بأنّه وحدة أو مجموعة تحتوي على صوت وصائت واحد أو مع صوامت أقلّها واحد يضمّها نظامٌ معيّن[4]

1 – التنوّعات اللّغويّة، عبد القادر عبد الجليل، ص73.
2 – دراسة الصّوت اللّغوي، أحمد مختار عمر، ص241.
3 – دروس في علم الأصوات العربيّة، جون كونتينو، ص241.
4 – ينظر الوجيز في فقه اللّغة، الأنطاكي، ص254.

وهذا ما يبيّن لنا أنّ للمقطع جزأين أساسيين أحدهما يعرّف بالقمة والآخر بالقاعدة أو الهامش فقد لوحظ بالتّجربة القائمة على تسجيل الذبذبات الصّوتيّة الجمل أنّ أثر هذه الذّبذبات يبدو في شكل خطّ متموّج يتكوّن من قيم ووديان[1].

وعرّفه دي سوسير «بأنّه الوحدة الأساسيّة التي يؤدي الفونيم وظيفته داخلها»[2] ويلاحظ أنّ هذا التّعريف وغيره يستند إلى أنّ الصّوت الصائت يمثّل قمّة المقطع، وبالفعل فإنّ الصّوائت «أكثر الأصوات من حيث الوضوح السّمعي»[3] وهذا ما برهنت عليه التّجارب الحديثة، وقد استنتجت في الفصل الأوّل درجة وضوحها السّمعي، وترد لذلك قمة في المقطع على نحو ما يرد، الصائت عادة. ولهذا عدّت أصواتا مقطعيّة، أمّا سائر الصّوامت فلا تقع قمما بل هوامش في المقطع[4].

2-المقاطع ودلالتها في سورة الكهف:

قبل التعرض لأنواع المقاطع يجدر بنا أن نشير إلى جملة الشروط التي أشار إليها تمام حسان، والخاصة بدراسة المقاطع في اللغة اللعربية، وهي[5]:

1- كل حرف متحرك فهو بداية مقطع.

2- كل صوت ساكن بعد حركة أو مد فهو نهاية مقطع، وقد يشد هذا الساكن عند الوقف.

3- هناك مقطع بحسب الأصل ومقطع بحسب الاستعمال، ويتصل هذا التفريق في الغالب بهمزة الوصل.

---

1 - الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، ص161.

2 - محاضرات في الألسنية العامة، دي سوسير، ص78.

3 - les principes des phonologies, p197.

4 - ينظر الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، ص162، واللّغة، فندريس، ص53، 54.

5 - البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، ط2، 2000م، ج1، ص176، وينظر مناهج البحث، تمام حسان، ص138.

وتقسم المقاطع من حيث الكلمة إلى مقاطع قصيرة وطويلة. وتتمثل في الأنواع التالية[1]:

1- **المقطع الأول** : صوت متحرك وليس بعد حركته صوت ساكن مثل المقاطع الثلاثة في (ضرب)، فكل مقطع منها صوت متحرك.

2- **المقطع الثاني**: صوت متحرك بعد حركته صوت ساكن ومثال ذلك المقاطع يتكون منها حرف (لا) فهي (ص ح ح) أي صامت + حركة طويلة ويسمى بالمتوسط المفتوح.

3- **المقطع الثالث**: صوت متحرك بعد حركته صوت ساكن،ومثال ذلك الحرف (لم) فهو (ص ح ص) ويسمى بالمتوسط المغلق.

4- **المقطع الرابع**: صوت يتلوه المد وبعد المد سكون، كما في (ضالينْ) فالمقطعان في هذه الكلمة كما يلي (ضالْ – لينْ) (ص ح ح ص) أي صامت وحركة طويلة + صامت.

5- **المقطع الخامس**: صوت متحرك وبعد الحركة صوتان ساكنان كما في الوقف على (بدْرْ) (ص ح ح ص) أي صامت + حركة صامت وصامت ويسمى بالطويل التسكين.

والتّنويع بين المقاطع القصيرة والمتوسّطة له دلالة على المعنى كالشعر، فهذا التنوّع يتشكّل من خلاله إيقاع متناغم، وذلك من خلال تغيّر مواقع النبر الأوّلي والثانوي والارتكاز إن كان شعرا، فمن خلال عرض لنماذج من الآيات في سورة الكهف تتماثل في إيقاعها مع الشعر، إلاّ أنّ القرآن الكريم في طبيعة ترتيله الخاصّة جعلت له إيقاعا خاصا به ومتميّزا، فهو الإيقاع الموسيقي لا يحدث في النّفس الملل ولذلك يكون ما في اللّغة إيقاعا والذي في القرآن إيقاع متوازن لا موزون كالشعر[2].

1 – ينظر الوجيز في فقه اللغة، الأنطاكي، ص: 257، وموسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص: 147.

2 – موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص147.

وقد يتماثل الإيقاع المقطعي بين الخطاب القرآني وما في الشعر، ولكن طبيعة الإنشاد في الشعر تجعل الإيقاع مختلفًا عن التّرتيل والتلاوة في القرآن الكريم.

3- الدراسة الإحصائيّة لمقاطع السورة مع التحليل:

لا يكتمل البناء الصّوتي إلاّ بمعرفة النّسيج المقطعي لآيات السورة الكريمة، وقد عرفنا في الدّراسة النّظريّة أنواع المقاطع العربيّة وسنقوم الآن بدراسة تطبيقيّة لنختبر ما قاله القدماء والمحدثون في المقطع وأنواعه وخصائصه انطلاقا من نصّ فصيح يمثّله القرآن الكريم ولتكون النتائج برهانا.

يظهر التشكيل المقطعي في هذه الآية الكريمة كالآتي: ﴿**إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا**﴾[1] تتشكّل العبارة من المقاطع التاليّة:

المقطع	إِنْ	تَ	رَ	نِ	أَ	نَا	أَ	قَ لْ	لَ	مِ نْ	كَ	مَا	لاً	وَ	وَ	لَ	دًا
رمزه	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص

1 - الكهف:39.

وإذ تتوزّع المقاطع بين قصير ومتوسّط: المقاطع القصيرة(10) والمقاطع المتوسّطة(7) أي بزيادة واضحة ولافتة للمقاطع المتوسّطة والمقاطع القصيرة تتّسم بالسّرعة في الأداء من جانب، وتدلّ على نفسية قلقة وحالة اضطراب وسرعة في الحركة من جانب آخر، ويظهر ذلك في هذا المقام، حيث كان الرّجل المؤمن بداية بعد أن سمع كلاما من المنكر لفضل الله الكافر لنعمه عليه، أراد أن يردّ عليه بقوّة الرجل المؤمن القويّ بالله –فالمؤمن لا يتوانى أمام حركة الكافر– فيحذّره ليردّ عن كفره، طالبًا من الله أن يعطيه خيْرًا مما أعطى ذلك الكافر. وهذا نموذج فقط لعمليّة التقطيع التي طبّقتها على جميع آيات السورة التي فصّلتها إلى مقاطع صوتيّة والتي بها نسيج الكلمات العربيّة تحصّلن على هذه النتائج:

نوع المقطع	عدد وروده	نسبته %
ص ح	475	43,26
ص ح ح	200	18,21
ص ح ص	378	34,42
ص ح ح ص	24	2,18
ص ح ص ص	21	1,91

نتائج المقاطع بحسب الكلمة والشكل:

الجدول 2:

المقاطع بحسب الكميّة	عدد ورودها	نسبتها%
القصيرة: ص ح	475	43,26
المتوسّطة: ص ح ح ص ح ص	578	52,63

الطويلة: ص ح ص ص ص ح ح ص	45	04,09

الجدول 3:

المقاطع بحسب الكميّة	عدد ورودها	نسبتها %
المفتوحة: ص ح ص ح ح	675	61,47
المغلقة: ص ح ص ص ح ح ص ص ح ص ص	423	38,51

التحليل:

ما يمكن ملاحظته عل النتائج المتوصّل إليها هو شيوع الأنواع الثلاثة بحيث شكّلت الكثرة الغالبة إذ بلغت نسبة (ص ح) وحده 43,26% و(ص ح ح) 18,20% و(ص ح ص) 34,42%، أمّا النوعان الأخيران فلم يردا إلاّ قليلا، لأنّهما لا يكونان إلاّ في أواخر الكلمات وحين الوقف ومن اللافت للنظر كذلك أنّ هذه المقاطع الثلاثة وحدها هي التي ينبني عليها الشعر العربيّ فيما عدا حالات نادرة يردّ فيها المقطع الطّويل في قافية بعض الأوزان ونسبته لا تكاد تتجاوز واحد بالمائة.

وقد خلصنا إلى نتيجة مهمّة بعد دراسة البنية المقطعيّة للأسماء المجرّدة بين حالتي الوقف والوصل، وهي وظيفة المقطع المتوسّط المفتوح (ص ح ح) فقد اختفى تماما من بنية الأسماء المجرّدة في جميع أشكالها المقطعيّة سواء في حالة الوصل أم في حالة الوقف، وهذه الوظيفة قد انحصرت في وجوده في الكلمات المزيدة أو في الصيغ الاشتقاقيّة، أو في كلمة حدث فيها إعلال، ومن هنا فقد استنتجت دوره يمكن في زيادة معنى على المعنى الأصلي للكلمة أو في وظيفة صوتيّة كالخفّة والسّهولة في نطق الكلمة عند تشكيلة، أو كالنبر والضّغط للمبالغة والوضوح.

والملاحظ من خلال الإحصاء أنّ هناك نماذج ممتنعة في التّركيب الكلمات العربيّة أو التي في حكمها عندما تتّصل كلمتان أو ثلاث كلمات فتشكّل لنا لفظا واحدًا، بمعنى أنّها تخالف الفصاحة العربيّة في نسيج المقاطع الصّوتيّة العربيّة، ويمكن أن نذكر بعض هذه النماذج الممتنعة، كما يمكن الإشارة غلى النماذج الممكنة متكاملة من الناحية الدّراسة مع النماذج الممتنعة وهما معًا يعبّران عن تركيب اللّغة من النّاحية المقطعيّة وهي كالآتي:

1- لا توجد كلمة تشتمل على المقطع (ص ح) لا في وسطها أو في آخرها، لأنّ العربيّة لا تبتدئ مقطعها بحركة.

2- لا توجد كلمة مجرّدة من الملحقات واردة في صورة (ص ح ح+ص ح ص ص) نحو (فاعلْ)

3- لا توجد كلمة متعدّدة المقاطع (ص ح ح ص) لأنّ هذا المقطع لا يتكوّن إلاّ في حالة الوقف.

4- لا توجد كلمة مجرّدة ثلاثيّة المقطع منتهية بالمقطع (ص ح ح ص) أو (ص ح ص ص).

5- لا توجد كلمة مكوّنة من أكثر من أربعة مقاطع متّحدة الشكل، أمّا الكلمات ذات المقاطع الأربعة المتّحدة الشكل، نحو: ضَرَبَكَ: (ص ح، ص ح، ص ح، ص ح) أو: لَمْ أَسْتَقْبِلْهُمْ: (ص ح ص، ص ح ص، ص ح ص، ص ح ص).

هذه أمثلة من النماذج الممتنعة في اللّغة العربيّة، والتي دلّ عليها تحليلها لآيات سورة الكهف إلى مقاطع، وفائدة معرفتها مساوية لفائدة معرفة الموازين الصّرفيّة، لأنّ هذه الأخيرة، إذا كانت نماذج تحكم على الصيغة المكوّنة على مثالها بأنّها عربيّة، فإنّ النماذج الممتنعة تمكّننا من الحكم على شكل تركيبي ما بأنّه عربي فصيح أو غير عربيّ[1].

ولعلّ هذه النظريّة تتّضح أكثر من خلال النموذج الخامس الممتنع في التركيب اللّغوي للعربيّة الفصحى من الإحصاء نخلص من توالي المقاطع المتماثلة بحذف واحد منها، ونقصد بالمقاطع المتماثلة هنا ما يشمل المقاطع ذات الأصوات الصّامتة المتماثلة أو المتقاربة في المخارج والسبب في هذا صعوبة تتابع المقاطع والأصوات المتماثلة في النّطق[2].

ويقول بروكلمان في هذا الصدد: «إذا توالى مقطعان أصوتهما الصامتة متماثلة، أو متشابهة جدًا الواحد بعد الآخر في أوّل كلمة، فإنّه يكتفي بواحد منهما بسبب الارتباط الذهني بينهما»[3] وممّا يلاحظ على نتائج الإحصاء كثرة ورود المقطع المفتوح القصير (ص ح) في السورة الكريمة، ويأتي بعده في التّركيب المقطع المتوسّط المغلق (ص ح ص)، وفي المرتبة الثالثة المقطع المتوسّط المفتوح، لأنّ

1 - ينظر مناهج البحث، تمام حسان، ص144.

2 - ينظر بحوث ومقالات في اللّغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخافجي، القاهرة، ط2، 1988، ص27.

3 - فقه اللّغات السّاميّة، لكارل بروكلمان، ص79، عن بحوث ومقالات في اللّغة، رمضان عبد التواب، ص27.

هذه المقاطع الثلاثة الأولى هي التي يتكوّن منها نسيج الكلمة العربيّة في الكلام المتّصل.

أمّا المقطعان الثالث والرّابع فالعربيّة تأبى استعمالهما، ولهذا قلّ ورودهما في السورة بنسب متوالية: 2,18%، 1,90% وتميل إلى هجرتهما كلّما أوتيتُ إلى ذلك سبيلا، أمّا اللّهجات العربيّة فنجده كثير الاستعمال، فنحن نقول آمرين: يبيع (ص ح ح ص) وَروحْ (ص ح ح ص) ولكن الفصحى تميل إلى التخلّص من هذا المقطع الطويل المغلق ليصبح مقطعا متوسّطا، ففي الأمر نقول: قُمْ (ص ح ص) بدلا من (قومْ).

وبهذا تكون العربيّة قد تميّزت عن اللّغات بسمات خاصةً في الأبنيّة الصّوتيّة لمفرداتها، فهي إلى جانب استعمالها للمقاطع الأولى نجدها تستعمل أيضا المقاطع المفتوحة بكثرة، وهذا ما أثبته الإحصاء، حيث بلغت نسبة المقاطع المفتوحة 61,17% في مقابل 38,51% المقاطع المغلقة، وهذا راجع لعلّة المقطعين المغلقين الرّبع والخامس، الذين لا يأتيان إلاّ في حالة الوقف.

وتميل العربيّة إلى استخدام المقاطع المتوسّطة المتمثّلة في المقطعين (ص ح ص، ص ح ح) لأنّ معظم الكلمات الأحاديّة المقطع تتكوّن من المقطع القصير (ص ح) أو المقطعان الثاني والثالث.

وكما هو معلوم فاللّغة العربيّة لها من الكلمات ذات المقطع الواحد، أو ثنائيّة وثلاثيّة ورباعيّة، والكلمات ذات المقطع الواحد غالبا ما تتكوّن من المقطع القصير أو المتوسّط، وهي في معظمها أدوات نحويّة أو لواحق صرفيّة. أمّ غير الأدوات فقلّما نجد منها ما تركيبه مقطع واحد قصير أو متوسّط، مثل ما جاء في السورة، نحو: جَعَلَ (متكوّنة من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة) وكثيرة هذه النماذج في السورة وفي العربيّة، لأنها تحوي الكثير من الأفعال الثلاثيّة، والفعل أَنْذَرَ: (ص ح ص، ص ح، ص ح) يتكوّن من مقطع متوسّط مغلق، ومقطعان قصيران مفتوحان، والفعل رباعي ثلاثي مزيد.

ونظرتنا إلى بناء الكلمة العربيّة من خلال التّطبيق، تبيّن لنا أن فيها من المقاطع المتوسّطة المغلقة (ص ح ص) الكثير، لأنّ المباني الصّرفيّة تكثر منها، نحو: كم، ومن، وعن، ولو، وهل، وبل. وتأتلف المقاطع من كلّ شكل من الأشكال السّابقة لتكوين كلمات ذوات دلالات معجميّة، فمن المقطع الأول (ص ح) تتألّف الأفعال الثلاثيّة المجرّدة الواردة في صيغة الماضي نحو: جعل، كبر، نشر،... فكلّ كلمة من هذه الكلمات يتألّف من ثلاثة مقاطع من النّوع الأوّل، وهذا ما يفسّر نسبتها الكبيرة في السورة.

أمّا ورود أكثر من ثلاثة مقاطع من النّوع الأوّل في الكلمة المجرّدة من اللّواحق فممنوع ومكروه، وقليل في الكلمة التي لحقها شيء من الزيادة[1]، نحو: ورقك المؤلّفة من المقاطع التالية: (ص ح، ص ح، ص ح، ص ح) وهذا ما يفسّر أيضًا كثرة تواتر المقطع الأوّل.

ويرد المقطع الثاني (ص ح ح) في كلمات كثيرة شريطة ألا يتكرّر المقطع نفسه ثلاثة مرّت في الكلمة المجرّدة أمّا الكلمة التي لحقت بها زيادة ما فإنّ ذلك مسموح، نحو: قالوا: (ص ح ح، ص ح ح) وإذا أضيفت إليها صارت (قالوها): (ص ح ح، ص ح ح) ويرد المقطع الثالث (ص ح ص) في تأليف الكلمة كثيرا، فهو يرد أوّل الكلمة، نحو: يجعل (ص ح ص، ص ح ص) ووسطها نحو: نقصُّ (ص ح، ص ح، ص ح) وآخرها نحو: حَسَنًا (ص ح، ص ح ص) وتمتزج المقاطع السّابقة بطرق تشكيليّة مختلفة لتشكيل معظم الكلام العربيّ[2].

4- النبر والتّنغيم في سورة الكهف:

النبر والتّنغيم من الظواهر الصّوتيّة غير التّركيبيّة؛ فالنبر هو الضّغط على مقطع معيّن من الكلمة ليصبح أوضح في النطق من غيره لدى السّمع، أو بعبارة أخرى هو وضوح نسبي لصوت، أو إذا قورن ببقيّة الأصوات والمقاطع في الكلام.

1 - ينظر الوجيز في اللّغة، الأنطاكي، ص260.

2 - ينظر الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، ص167.

والمقطع المنبور بقوّة ينطقه المتكلّم بجهد أعظم من المقاطع المجاورة له في الكلام، لأنّ النّطق حين النبر يصحبه نشاط كبير في أعضاء النّطق جميعها في وقت واحد. ويترتّب على ذلك أنّ الصّوت يغدو عاليا وواضحا في السّمع[1].

وتكاد تتّفق الدّراسات الحديثة على أنّ النبر بالمفهوم الذي يعرف اليوم هو ذاته الهمز عند القدامى، ولهذا وجب علينا أن نعرّج غير مقصّرين ولا مطيلين في مفهوم الهمز وعلاقته بالنبر. "فالهمز مثل الغمز والضغط، ومنه الهمز في الكلام لأنّه يضغط، وهمزت الحرف فانهمز"[2] والملاحظ من هذه العبارة أنّ الهمز في الكلام لا يقع على صوت بعينه، إنّما في الكلام، فكلّ الأصوات مؤهّلة لتحقيق الهمز عليها، وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ المحدثين ساروا بعيدا في تعاطهم مع مادة هذا الموضوع وهي تعرف عندهم باسم النبر ومقابله في الفرنسيّة accent وفي الإنجليزيّة .street.

ويتطلّب النبر جهدا زائدا يبذل من أعضاء النطق بأسرها، من الرئتين والوترين، والحلق واللّسان والشفتين، فيصحب المقطع المنبور هذا الجهد الزّائد فيعطيه قوة في الوضوح والظّهور أكثر من المقاطع المجاورة له في الكلمة، أمّا المقطع غير المنبور فيقلُّ معه نشاط هذه الأعضاء حتّى يقلّ وضوحه في السمع، ولذا فإنّ المنبور يكون أكثر من سواه في الكلمة، وأكثر تصويتًا[3]. فكلّما اتّسعت الذبذبة زاد الصّوت نقاوة ووضوحا، وهكذا نجد أنّ عملية النبر: «نشاط جميع أعضاء النطق في وقت واحد»[4] وهو ما لا نجده في ظواهر صوتيّة أخرى. وإذا كان علماء اللّغة العربيّة قديما لم يعتبروا اللّغة العربيّة من اللّغات النّبريّة، أي التي يكون النّبر فيها يشكّل أثرا في تغيير المعنى كما في لغات أخرى.

---

1 – ينظر مناهج البحث، تمام حسان، ص:160، والأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، ص170.

2 – ينظر لسان العرب مادّة (همز).

3 – أصوات اللّغة العربيّة، عبد الغفار حامد هلال، ص217.

4 – الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، ص 170.

وقبل البدء في دراسة تأثير النبر لابدّ أن نميّز بين نوعين أو موقعين للنبر وهما: أوّلا: النبر الأوّلي وقد وضع علماء اللّغة قواعد محدّدة للنبر الأوّلي في اللّغة العربيّة حسب طبيعة الكلمة المنطوقة ومقاطعها كما يتّضح ذلك من التوزيع التالي:

- الكلمة من مقطع واحد يقع النبر على المقطع نفسه، مثال ذلك: مَنْ، ولَمْ.
- الكلمة من مقطعين يكون النبر على المقطع الثاني.

ثانيا: «النبر الثانوي ويتشكّل في العادة بعد أن تدخل اللّواحق الصّوتيّة فتغيّر من موقع النبر الأوّلي لتخلق نبرًا ثانويًا يشكّل إيقاعا للسمع»[1].

ويظهر أثر النبر الأوّلي والثانوي على النغمة والإيقاع الموسيقي حسب التقارب والتباعد بينهما، فكلّما تقاربت أعداد المقاطع بين النبرين أو انتظم اختلاف بعضها عن بعض حسن إيقاعها[2] ومن أمثلة تأثير النبر الثانوي ما تكون في قوله تعالى: ﴿ **فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا** ﴾[3] فالزيادات التي لحقت بالفعل (الفاء واللاّم) شكّلت نبرين في الكلمة وإيقاعا لافتًا، يظهر أثرهما لو أعدنا نطق الكلمة دون تلك اللّواحق (اعمل) فلا يخفى أثر تلك الزيادة، فهي من جانب أخفّ في الطلب، ومن جانب آخر تبني علاقة بناء مع غيرها من صيغ الأمر، كما يظهر في قوله تعالى: ﴿ **فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا** ﴾[4] و(لِيَتَلَطَّفْ) ويشكّل النبر الثانوي في عبارة (أنساينه) في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ** ﴾[5] النبر الهادئ رافق التّلطّف في الطلب وفي حالة من الندم على النسيان لأمر الحوت.

---

1 - ينظر علم اللّغة، محمود السعران، ص 190، وعلم الصرف الصّوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص 119.

2 - موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص147.

3 - الكهف: 110.

4 - الكهف: 19.

5 - الكهف: 63.

وتزيد اللاّحقة الصّوتيّة في طول الكلمة ممّا ينشأ عن ذلك النبر الثانوي كما يلاحظ في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيء إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا**﴾[1] يظهر في الآية الكريمة أثر اللّواحق الصّوتيّة في (تَقُولَنَّ) على التغيّر في النبر، فتشكّل نبر ثانوي نتيجة للزيادة في مبنى الكلمة فارتفعت النّغمة، وعلى العكس من ذلك ارتفعت النغمة نتيجة للحذف المتأنّي مع الإدغام في (إِنِّي) إذ لو جاءت (إِنَّني) لخفَّ الأثر الصّوتي وذهب ملمح القوّة الذي يظهره من يدّعي القدرة مع المستقبل الذي لا يعلمه إلاّ الله.

أمّا التّنغيم فهو من الظواهر الصّوتيّة غير التركيبيّة، وهو من الظواهر التي لم تلق الاهتمام لدى علماء اللّغة العربيّة القدماء إلاّ بالقدر الذي يفي بحاجة علم النحو، وذلك لاعتمادهم على اللّغة المكتوبة في بعض الأحيان، والتّنغيم هو: «ارتفاع الصوت وانخفاضه مراعاةً للظرف المؤدّى فيه أو تنويع الأداء للعبارة حسب المقام المقولة فيه»[2]. ويكون هذا التنويع على مستوى الكلمة كما يكون على مستوى الجملة أو العبارة[3] أي إعطاء الكلام نغمات معيّنة تنتج من اختلاف درجة الصّوت التي تتّخذ وفق عدد الذبذبات التي يولّدها الوتران الصّوتيان. ويسميه البعض «موسيقى الكلام»[4] والبعض الآخر بالارتكاز، وينعته بقوله: «المصطلح الصّوتي الدّال على الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر في الكلام»[5].

يدرك الدّارس لأوّل مهلة أنّ كثير من الظواهر اللّغويّة بات أمرها مرتبطًا بالتّنغيم، ارتباطًا قويًّا، فقدامى اللّغويين العرب، وإن لم يكّزوا على التّنظير وتحليل الظاهرة لأسباب موضوعيّة، فإنّ ذلك لم يمنع وجود إشارات ذكيّة تدلّنا على أنّ رفض هذه الظاهرة من الدّرس اللّغوي كان أمرًا واردا عندهم، بل اعتمدوه وفسّروا

1 – الكهف: 23.

2 – أصوات اللّغة العربيّة، عبد الغفار حامد هلال، ص 225.

3 – ينظر دراسة الصّوت اللّغوي، أحمد مختار عمر، ص191.

4 – الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، ص176.

5 – علم اللّغة، محمود السعران، ص192.

به بعض قضاياهم، خاصّة تلك المتعلّقة بتفسير بعض نصوص القرآن الكريم وتأويلها وحتّى في إعادة قراءة بعض الأعمال الأدبيّة الكبرى.

فقد أصبح التّنغيم وتعبيرات الوجه من وسائل فهم الباب النّحوي، وما كان لنا أن نطرقه دون استعانة به، كما يعتبر من وسائل البيان في أيّ لغة، ولما كان ظاهرة لغويّة، تعدّدت وظائفه حسب الرؤيا التي ندرس بها اللّغة فهو يؤدّي: «في بعض اللّغات كالعربيّة والانجليزيّة وظيفة نحويّة، حيث يستعمل للتّفريق بين معاني المختلفة للجملة الواحدة»[1] ويمكننا أن نستنبط من أنّ الكلام البشري معرّض في أصله إلى مجموعة من التّغيّرات الصّوتيّة. فالكلام قد يكون كلمة واحدة وقد يكون جملة: «حيث تكون النّغمة هي العنصر الوحيد الذي نشأت عنه المعاني المتباينة»[2].

اتّفق جمهور النّحاة على أنّ الجملة الاستفهاميّة جملة إنشائيّة، ويلج التّنغيم هذا الباب معدّلا بعض الآراء النّحويّة إزاء هذا الأسلوب رغم وجود أدوات الاستفهام. ولهذا ارتأينا توضيح أهميّة التّنغيم حين لا تذكر الأداة من العمل فتتعلّق إلى وظائف أخرى. فمن الآيات الجليلة التي يقوم فيها التّنغيم بالوظيفة النّحويّة قوله تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**﴾[3] فهذه الآية الكريمة حذف حرف الاستفهام منها واستبدل بقيمة تعبيريّة هي التّنغيم، وكقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا** ﴾[4] فقد ذكر المفسّرون أنّ (هل) معناها (قد)[5] وقد فسرها بعضهم بعبارة بسيطة، ولكنّها تحمل تحمل الصفة كلّها في طيّها، ويقول هؤلاء إنّ (هل) للاستفهام التّقريري أي الجملة

1 – ينظر علم اللّغة بين التراث والمعاصرة، عاطف مذكور، ص 136.

2 – ينظر نفسه، ص 104.

3 – الكهف: 09.

4 – الكهف: 103.

5 – ينظر الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي، ص11، 65.

التّقريريّة (Affirmative) وليست استفهاميّة[1]. وفي هذه الآية الكريمة افتتح الله تعالى الجملة بالأمر بالقول، وكذلك افتتاحه باستفهام تهكّمي، لأنّه استفهم استفهاما مستعملاً في العرض، لأنّه منبّئُهم بذلك دون توقّف على رضاهم[2].

فوجود أداة الاستفهام ليس بالضرورة يتّبع سؤالاً معيَّنًا، ولو أنّها اكتست الصبغة الاستفهاميّة، فهي ليست استفهاما، وهذا ما ذهب إليه كمال محمّد يشير في قوله: «حقيقة أنّ هذه الجملة اكتست بكساء الاستفهام، وليست استفهامًا، وإنّما هي نمطٌ خاصٌ يؤتى به في مواقف معيّنة، بقصد التمثيل أو التوضيح وهي خبريّة في مدلولها»[3]. وفيصل الأمر في ذلك إنّما هو التّنغيم وموسيقى الكلام، أمّا دليل أنّ هذه الجملة ليست استفهاميّة فهو النطق، وميزة هذه الجمل تنطق بأشكال نغميّة مخالفة عن الأنماط الموسيقيّة التي تشمل الأداة (هل) (في).

وهناك نوع آخر من الجمل يقوم التّنغيم دليلاً على ماهيتها، وهي تخلو تماما من أدوات الاستفهام، وفي حقيقتها جمل استفهاميّة، ومنها قوله عزّ وجلّ: ﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا** ﴾[4] على إنكار وقوع ذلك والتّعجّب منه، والتوبيخ عليه، فنغمة القارئ هي التّي تنبّه السّامع أنّ الجملة استفهاميّة في الأصل، ولما أردنا بالأداة التّوبيخ والتّعجّب من الأمر استغنينا عنها أصلا.

وحرف الاستفهام المحذوف هو الهمزة، واستعيض عنه بالتّنغيم و(أم) في هذا الموضع للإضراب الانتقالي من غرض إلى غرض، ولما كان هذا من المقاصد التي أنزلت السورة لبيانها لم يكن هذا الانتقال اقتضابًا بل هو كالانتقال من المقدّمة إلى المقصود، و(أم) هذه هي المنقطعة بمعنى (بل) وهي ملازمة لتقدير

1 – ينظر الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي، ص 11، 65.
2 – ينظر التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسيّة، 1984، ص 16، 46.
3 – علم الأصوات، كمال بشر، ص195، 196.
4 – الكهف: 09.

الاستفهام معها، يقدّر بعدها حرف الاستفهام[1]، وتتضمّن مع ذلك استفهامًا إنكاريًا، أو استفهامًا طلبيًا[2] وتقدير الكلام: بل أحسبت؟ حذفت همزة الاستفهام، والأخفش يقيس ذلك في الاختيار عند أمن اللّبس[3]، وحمل عليه قوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ**﴾[4] هي تساوي قوله، أو تلك نعمة تمنّها عليّ؟.

وتخضع أساليب النّداء كذلك في أغلبها إلى العنصر التّنغيمي، إذ يعتبر وجود التّنغيم أساسًا في فهم معاني أدوات النّداء من حيث القرب والبعد خاصّةً إذا علمنا أنّ «الغرض بالنداء التّصويت بالمنادى ليقبل، والغرض من حروف النّداء امتداد الصّوت وتنبيه المدعو، فإذا كان المنادى متراخيا عن المدعو أو معرضا عنه لا يقبل إلاّ بعد اجتهاد، أو نائمًا استثقل في نومه يستعمل جميع حروف النّداء، ماخلا الهمزة وهي: يا أو أيا، وهيّا، وأي. ويمتدّ بها الصّوت ويرتفع»[5].

فالنّداء سواء أكان للقريب أو البعيد، لابدّ أن يكون متّصلاً بالتّصويت أو التنبيه، ولا يتحقّق ذلك بحدوث ضغط على حروف النّداء والمنادى. وهذا حتّى يحدث الإسماع المطلوب، ويجرّنا الحديث إلى تصوّر النداء بوجود الأداة، ومن ذلك ما جاء في قوله: ﴿**يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا**﴾[6]، وقوله أيضا: ﴿ **قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا** ﴾[7] ففي الآية الكريمة

1 – ينظر البحر المحيط، الفيروزآبادي، ج6، ص99.
2 – ينظر مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ج1، ص 55.
3 – المرجع نفسه، ج1، ص21.
4 – الشعراء، ص 22.
5 – شرح المفصّل، ابن يعيش، ج2، ص 15.
6 – الكهف: 86.
7 – الكهف: 94.

الثانية افتتح الكلام بالنّداء، لأنهم نادوا ذا القرنين نداء المستغيثين المضطرين، ونداؤهم إيّاه بلقب "ذي القرنين" يدلّ على أنّه مشهور بمعنى ذلك اللّقب[1].

فمجيء المنادى في الآيتين الكريمتين مع أداة النّداء (يا) يختلف عمّا إذا أتى أسلوب النّداء خال من أداته لأنّ مجيء النّداء دون الأداة لم يعدم أو يلغ وظيفتها ودليل ذلك ورود اللّفظ بلون نغمي مميّز لها وهو غير اللّون النّغمي الذي يكون في حالة وجود الأداة، على أن نجد سكتة بين المنادى والجملة المستأنفة له، نحو قوله تعالى: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**﴾[2]، وهذا الأسلوب كثير الشيوع في القرآن الكريم، ولم أجد هذا الأسلوب دون أداة في سورة الكهف، حيث برّر النّحاة حذف الأداة لفهمها من السياق، والتقدير يوسف، فقد أضفي عليها نغمةً صاعدةً، هذه النغمة تؤدّي وظيفة الأداة في حال وجودها، لأنّ لفظاً مستقلاً في السّياق عرضت لتأويلات وظنون كثير.

وقد تعود النغمة إلى حالات من الهدوء والتوسّط؛ بحسب الحال والمقام، وفي مثل قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا، قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُومِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا**﴾[3]؛ فالنغمة تبدأ وتستمدّ بخطّ أفقيّ مع الجملة الخبريّة حتّى تصل إلى قوله تعالى: (وَلَمْ) فتبدأ النغمة بالصعود إلى قوله تعالى: (قَيِّمًا) فتستقرّ النغمة الصاعدة في قوله تعالى: (لِّيُنذِرَ بَأْسًا).

1 – ينظر التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج16، ص32.

2 يوسف: 29.

3 – الكهف: 02.

5-الفاصلة القرآنية في سورة الكهف ودلالاتها:

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم فقال: ﴿**وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً**﴾[1] وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يرتّل القرآن فقال: ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾[2] والأمر لرسّول الله (صلى الله عليه وسلّم) أمرٌ للمسلمين جميعًا، والتنزيل هو مصدر رتّل يُرَتِّلُ وهو وضع المجموعات في أرتال، كلّ رتّل منها طائفة مجتمعة، وبين كلّ رتّل وما يليه انقطاع مؤقّت، وهو ما يدخل في الأداء الصّوتي للقرآن، فهو يشتمل على إعطاء الأصوات حقّها من المدّ والغنّة والسّكت وما إلى ذلك، ممّا يعدّ من قبيل الانقطاع المؤقّت للأصوات التي تتكوّن منها الألفاظ.

وبهذا جاء اعتناء القرآن بالأصوات «من كونه يمثّل الجانب العلميّ للغة»[3]، كما أنّ اعتناء القرآن بالأصوات يجعل من «الآيات تزحم أقطار النفس، وأقطار الحسّ بلمسات مبدعة معجبة، فإذا كلّ مكرور مألوف من المشاهد والمشاعر جديد نابض كأنّها تتلقّاه النّفس أوّل مرّة وكأنّها لم يطلع عليه من قبل ضمير إنسان»[4].

لقد جاء القرآن فريدًا في نظمه، تجتمع فيه مفردات يزيدها النّسج إحكامًا ورونقًا، فقد قال ابن جنيّ عن دلالة الأصوات على أحداثها في اللّغة «فأمّا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنّهم كثيرُ ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر بها عنها فيعدّلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك ممّا نقدّره وأضعاف ما نستشعره»[5].

---

1 - الفرقان: 32.

2 - المزمل: 04.

3 - البنية اللّغويّة لبردة البويصري، رابح بوخوش، ص 17.

4 - في ظلال القرآن، السيّد قطب، ج2، ص1016.

5 - الخصائص، ابن جنيّ، ج2، ص157.

إلاّ أنّ هذا التنبيه من ابن جنيّ لم يكن يغني عن التّقصير في دراسته، وهذا «التّقصير لا ينحصر في ما جاء من التراث الأدبي، فإهمال التّشكيل الصّوتي وارد في كتب المعاصرين إلاّ ما كان من الرّفعي في شكله المنهجي وسيّد قطب بشكله غير المنهجي، فما لمسوه يعدّ يسيرًا لاهتمامهم بالصورة البصريّة والإيحاءات»[1].

حين سمع كفّار قريش القرآن لأوّل مرّة حاروا في أمر نظمه، فقد كانوا يعرفون من ضروب الكلام العربي لأيّامهم الشعر والخطابة وسمع الكهّان، ولم يكن في القرآن في تراكيبه ولا في أسلوبه يشبه واحد من هذه الأضرب، ولكنّهم لم يؤمنوا بأنّ هذا الطّراز الفريد من النظم هو من وحي السّماء فنسبوه إلى البشر منكرين مصدره الإلهي، وكان عليهم وقد أنكروا ذلك أن يلحقوه بنوع من أنواع الكلام التي تقدّم ذكرها، فكان أقرب ما نسبوه إليه هو السّحر والشعر.

إلاّ أنّ القرآن كان يجمع بينما كان الشعر يفرّق، والقرآن يهدي والسّحر يضلّ، كما نفى القرآن الزّعم الثاني بقوله تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُومِنُونَ**﴾[2]، وذمّ سلوك الشعراء في قوله: ﴿**وَالشُّعراءُ يَتبعُهم الغَاوُون**﴾[3].

غير أنّ ما دعا القرشيين إلى اتّهام القرآن بالشعر هو تلك النهاية التي تنتهي الآية بها، والتي تقرب من قافية الشعر في نظرهم بما توجيه من تناسق وانسجام، والتي تسمّى بالفاصلة. فمن يقرأ القرآن الكريم يشعر أنّ بين سورة تناسبًا وتناسقًا رغم الفواصل بينها، والآيات كذلك يفصلها عن بعضها بفواصل.

1- مفهوم الفاصلة:

تعرّض علماء البلاغة والبيان، وعلوم القرآن إلى مفهوم الفاصلة قديمًا وحديثًا، يلمس في بعضها الاتّفاق، وفي البعض الآخر الاختلاف الجزئي. وهي

1 - جماليّة المفردة القرآنيّة في كتب الإعجاز والتفسير، إعداد أحمد ياسون، دار المكتبة، دمشق، ط1، 1994، ص215.

2 - الحاقة: 41.

3 - الشعراء: 224.

مشتقة من الفصل وتجمع على فواصل، ولقد جاء في كتاب العين ما نصّه: «الفصل بون ما بين الشيئين والقضاء»[1].

وفي لسان العرب الفصل بون ما بين الشيئين، أو الحاجز بينهما، وفصلت الشيء فانفصل أي قطّعته فانقطع... وفي القرآن: ﴿**هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ**﴾[2] أي «هذا يوم يفصل فيه بين المحسن والمسيء»[3] والمفصّل من «القرآن الشيّع الأخير، وذلك للفصل بين القصص بالسّور القصار أو لقصر أعداد سوره من الآية»[4].

هذه أهمّ التعريفات اللّغويّة التي يظهر أنّها تفيد في فهم المعنى اللّغويّ للفاصلة ومنها يمكن استنتاج ثلاثة عناصر للفعل "فصل" ومعه الفاصلة، وهي، الشيئان والبون الذي بينهما ومنه يتفرّع المعنى الاصطلاحي للفاصلة القرآنيّة.

عند الخوض في هذا الباب، نجد أنّ أقدم العلماء الذين وضعوا تعريفًا للفاصلة هو أبو الحسن الرّماني بقوله: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني»[5]. وقد عرّفها الزركشي بقوله: «هي كلمة آخر الجملة»[6]. ولا تكون دائمًا في نهاية الآية، إذ من الفواصل ليس رؤوس آيات كما في قوله: ﴿**وَمَا كُنَا نَبْغِ**﴾[7]؛ وهما ليستا للردّ عن هذا السؤال يتطلّب جمع النتائج السّابقة وذلك كالآتي:

أوّلاً: إنّها ليست حرفًا.

---

1 – العين، الخليل، مادة (فصل) ص126.

2 – المرسلات38.

3 – لسان العرب، ابن منظور، مادّة (فصل).

4 – المرجع نفسه، مادّة (فصل).

5 – ثلاث رسائل في الإعجاز، محمد خلف الله ومحمّد زغلول، ص 97.

6 – البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص53.

7 – البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، ص 87.

ثانيًا: إنّها ليست كلمة.

ثالثًا: لا تكون بالضرورة في آخر الآية.

رابعًا: اختصاصها بالقرآن الكريم، لأنّها وصف لازم له فلا يجوز تسمية غيرها باسمها؛ لأنّها جزء من القرآن الكريم، وهو كلام لا يجوز لغيره أن يتّصف بها، بل يستحيل. وعلى هذا يمكن تعريفها بالآتي: الفاصلة هي النّهاية التي تذيّل بها آخر الجملة القرآنيّة المنفصلة عمَّا بعدها المتّصلة بما قبلها بلاغة.

ومن خصائص الفاصلة في القرآن المكي الذي نزل قبل هجرة النبيّ (صلى الله عليه وسلّم) وإن كان بالمدينة[1]؛ ولمعرفته طريقان: سماعي وقياسي، فأمّا السّماعي فما وصل إلينا نزوله بمكّة والقياسي بعلامات تعرف به كخطاب الله عزّ وجلّ بـ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاس**﴾، أو ورود لفظ "كلاَّ" أو ما كان أوّله حرفًا من حروف التّهجي أو ذكر للقصص أو فيه سجدة[2].

ويمتاز القرآن المكّي في عمومه بما يلي:

– ذكر قصص الأنبياء والأمم الخاليّة ودعوة النّاس إلى الاعتبار بهم...

– المناقشة والحجاج وعرض الأدلّة على وجود الله تعالى ووحدانيته وعلى بعث الأجساد مع أرواحها من بعد الموت للحساب.

– تثبيت فؤاد الرّسول (صلى الله عليه وسلّم) ودعوته إلى الصّبر على الأذى تأسّيا بمن سبقوه.

– ومن حيث الشكل، يغلب عليها أن تكون قصيرة ذات وقع معيّن في الأذن والنفس، تبعث على الرهبة والخشية وتشعر بالجلال والجبروت.

---

1 – البقرة، وآل عمران، والرعد، ينظر البرهان للزركشي، ج1، ص 88.

2 – ينظر البرهان، الزركشي، ج1، ص 88.

فعلى هذا تنوّع نظام الفواصل بتنوّع الموضوع الذي يعرضه، ويتبع ذلك طول الفواصل أو قصرها، وطريقة بنائها اللّفظي، من حيث السّهولة والخشونة وكذا من حيث تخيّر اللّفظ الأخير الذي تختم به.

ولأنّ القرآن الكريم في جملته يغلب عليه قصر آياته، فتختصّ فواصله كذلك بالقصر والتّقارب وهي من ذاك النّوع القصير المعجز المتساوي القرائن[1] لذلك تجد أنّ خواتم الفواصل في السّور المكيّة، يغلب عليها نوع الحروف الجهري الذي فيه حدّه في السّمع، أو المدّ الذي يستدعي انتباهًا.

ومن خلال الدّراسة الصّوتيّة ومتابعتها وتشكلاتها، نعتبر الفاصلة الشكل المقطعي الذي يحدث في نهاية الآية.

وتمتاز بعض الأصوات بالوضوح أحيانًا، ممّا له وقع متميّز على النغم وخاصّة عند النقاط الصّوتيّة المركزيّة ومنها الفاصلة، فكثر في القرآن الكريم ختم الفواصل بحروف المدّ واللّين، والنون، والميم، وحكمة وجودها التّمكّن من التطريب[2] وذكر سيبويه أنّ العرب إذا ترنّموا فإنّهم يلحقون الألف والياء والنون، لأنّهم أرادوا مدّ الصّوت ليكون أكثر إسماعًا وتأثيراً[3] وتظهر المزاوجة والمماثلة في فواصل سورة الكهف على مدى المئة والعشر آيات التي تضمّنتها تلتزم الفواصل فيها الألف المدّيّة في نهاياتها مع التنوّع في الحرف السّابق لها حرف الروي.

فالقرآن الكريم يحتفي بالبعد الموسيقي، وإن هذا البعد سمة من سماته المميزة، ويبدو هذا الاحتفال في السور ذات الطابع القصصي كذلك، وإن سورة الكهف (المكية التنزيل) اختصت فواصلها بحركة الفتح التي تتحول إلى ألف المد

---

1 – علوم القرآن، عبد الله محمود شحاتة، مكتبة نهضة الشرق، مصر، ط3، 1984، ص147.

2 – إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، مصطفى صادق الرافعي، تحقيق: عبد الله المنشاوي، ص185.

3 – الكتاب، سيبويه، ج1، ص38.

في الإطلاق مثل حسناً- حسناَ ، وإن هذه الحركة (الفتح) التي التزمتها فواصل سور الكهف باطراد، فأضفت على آيها ومشاهدها جمالية موسيقية لا يخطوها السمع، ذلك أن "القوافي المطلقة، أطوع للتلحين والغناء، لما تنطوي عليه من وقوف على حروف المد، وإن حركة الفتح وألف المد المتفرعة عنها، هي أوضح كل الحركات في السمع"[1].

وهذه أمثلة تمثّل ظاهرة الفواصل وتماثلها قال تعالى: ﴿**وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا**﴾[2] و﴿ **لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾[3] و﴿**وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا**﴾[4] و﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾[5] و﴿ **فَأَتْبَعَ سَبَبًا** ﴾[6] يتبيّن من خلال استعراض أغلب الآيات في سورة الكهف أنّها تنتهي بفاصلة مطلقة، ممّا يشيع في السورة كاملة النغمة الموسيقيّة المتكرّرة الجميلة فعنصر التكرار ظاهرة أسلوبيّة تستحقّ التوقف عندها، لما لها من أثر جمالي نابع من الإيقاع.

وتظهر علاقة الفاصلة مع البناء العام في السورة والمضامين الرّئيسة، فحيثما انتقل الحدث وتغيّر نمط الفاصلة سواء أكان ذلك في طبيعة الأصوات المكوّنة أم في حركات الإعراب والضّبط للحروف؛ ويلاحظ ذلك بشكل متكرّر في قصّة مع العبد الصالح (الخضر) (عليهما السّلام) كان موسى (عليه السّلام) في لحظة التّحدّي والعزيمة على فعل بتوجّه إليه، فجاءت الفاصلة من النمط الذي يتكرّر في السّورة مع المواقف والمعاني الصعبة (حُقُبًا) ويكون الانتقال بعد ذلك إلى العمل

1 - موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص 76.
2 - الكهف: 8.
3 - الكهف: 38.
4 - الكهف: 68.
5 - الكهف: 72.
6 - الكهف: 85.

والحركة الوصول إلى الموعد والمكان فتتابعت الفواصل التي تشكّل نمطًا واحدًا من حيث المقاطع والحركات الضابطة (سَرَبًا، نصبًا، عجبًا، قصصًا) فتتابع الحركات الفتحة تتبعها الفتحة وهي أخفّ الحركات وأسهلها ينسجم مع طبيعة الحدث المتسارع.

وعندما دخلت شخصيّة جديدة مختلفة في طبيعتها إلى ساحة الحدث طرأ تغيّر في الفاصلة في الجانبين المكوّنين للمستوى الصّوتي الحركات والمقاطع، فنجد الفواصل المكوّنة لهذا الجزء من الأحداث متحرّك الأوّل ساكن الثاني، فهي (عِلْمًا، رُشْدًا، صَبْرًا، خُبْرًا، أَمْرًا، ذِكْرًا، إِمْرًا، عُسْرًا، نُكْرًا، عُذْرًا، أَجْرًا، صَبْرًا، غَصْبًا) ما يمكن ملاحظته من هذه الفواصل هو التماثل على المستوى الصّوتي في الحركة والبناء المقطعي.

وبعد قصّة موسى (عليه السّلام) والرحلة في طلب العلم تأتي قصّة ذي القرنين، ليخبر الله تعالى نبيّه محمّدًا (صلى الله عليه وسلّم) عن حقيقة الأمر الذي فيه يستفتي القوم وعنه يسألون، فالفكرة مازالت في حالة تواصل واستمراريّة، فالخضر (عليه السّلام) يعلم موسى (عليه السلام) والله تعالى يعلّم الرّسول (صلى الله عليه وسلّم) ولهذا الاستمرار في الفكرة كان الاستمرار في النمط المقطعي، ليشكّل بذلك الخيط النّاظم لما سبق بالأحقّ من تركيب لغوي، ولكنّ مع إشعار بأنّ القصّة الأولى قد انتهت وبدء قصّة وأحداث جديدة، ولذلك عادت الظاهرة الصّوتيّة التي كانت في مقدّمة قصّة موسى مع الخضر (عليهما السّلام) حيث الحركة فتحتان متتابعتان ومقاطع قصيرة متتابعة فظهرت الفاصلة (سببًا) متبوعة بالحزمة الصّوتيّة تركيبيّة (أتبع سببًا).

أمّا التركيب الصّوتي للفواصل في سرد قصّة ذي القرنين على مستوى الحركات والتشكّل المقطعي، فكان على النحو التالي:

الفواصل التي وردت بعد المقدّمة (حُسْنًا، نُكْرًا، يُسْرًا، سِتْرًا، خبْرًا، قَوْلاً، سدًّا، رَدمًا، قِطْرًا، نَقْبًا، جَمْعًا، حقًّا، عَرْضًا) فقد سبقت قصّة سيّدنا موسى (عليه السّلام) والخضر (عليه السّلام) فكان درسًا لكلّ من يطلب العلم، من عزيمة متمثّلة في الطالب، ولذا لابدّ من التحمّل وهدوء نفس، فامتدّ هذا الهدوء إلى قصّة ذي القرنين، فظهر التشكّل المقطعي (ص ح، ص ح ح) حيث يتكرر هذا النمط خلال عرض القصّة (13) مرّة.

ممّا سبق نستنتج أنّ الفاصلة في القرآن الكريم تحقّق بالإضافة إلى النبرة الإيقاعيّة والانسجام الموسيقي ارتباطًا معنويًا، فهي مرتبطة بالمعنى الذي تحمله العبارة والآية.

توطئة:

إنَّ القرآن الكريم كان ومازال محطّ أنظار الدارسين، ومناط بحثهم في كلّ عصر ومصر، فهو مَورد معين لكلّ العلوم والمعارف، يتناول المعاني الدّقيقة، ويطاوع في شكل مدهش على تقلّب الأساليب، ويساعد في تنويع الأعاريب وتلوين التّراكيب، فكلّ حرف أو كلمة أو حركة فيه تناسب موقعها وتوافق القصد منها، وقد بذل العلماء على اختلاف تخصصاتهم جهدًا كبيرًا في سبيل الكشف عن أسرار وقوانين هذا التركيب المعجز، وقد كان للنحاة إسهامات كبيرة في هذا المجال، تعدّ بحقّ أرضية خصبة لتفهم لغة القرآن وتذوق إعجازه.

والجهد النحوي يرتكز أساسا على وصف بنية الجملة، وقد قام وصفُنا للجملة في هذا المبحث التّطبيقي على أساس الإفادة من التراث اللّغوي العربيّ، ومن اللّسانيات الحديثة.

وقد تعدَّدت تعاريف الجملة، واختلفت باختلاف وجهات نظر اللّغويين وأيًّا ما كان هذا الاختلاف فالجملة مجموعة العلاقات النحويّة الرابطة بين أجزاء الكلام ربطا وظيفيًّا[1] وتتكوّن من مركّبين متميّزين:

الأوّل المركّب الاسمي والثاني المركّب الفعلي، وهذان المركّبان بهما تتحقّق عملية الإبلاغ. كما تعدّ الجملة الملفوظ الذي ارتبطت كلّ عناصره بعنصر منه هو المحور لعمليّة الإبلاغ[2] أو هي: «أقلّ قدر من الكلام يفيد

1 – ينظر البنيّة اللّغويّة في بردة البويصري، رابح بوخوش، ص151.

2 – ينظر المصدر نفسه، ص151.

السّامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركّب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر»[1] ويكاد يتطابق التّعريف مع ما جاء به عبد الرحمان الحاج صالح الذي اعتبر «الجملة نواة لغويّة تدلّ على معنى وتفيد»[2] أمّا ريمون الطّحان فالجملة عنده: «تركيب يتألّف من ثلاثة عناصر أساسيّة: المسند والمسند إليه والإسناد، وقد تضاف إليها عناصر أخرى حين لا تكتفي العملية الإسناديّة بذاتها»[3].

وهذا التعريف يستند إلى الرؤية التراثية للجملة؛ حيث يعتبر الإسناد مكوِّنًا أساسيًّا في الجملة.

وكما اختلفت تعريفات الجملة ، فقد اختلفت تقسيماتها، وهو اختلافُ تنوُّع لا اختلاف تضادٍّ، فإنَّ كلَّ تقسيم يختلف عن غيره من حيث المعايير المعتمدة، مما ينتج عنه اختلاف في أنواع الجملة، ويمكن أن نشير في هذا المقام إلى أبرز هذه المعايير على النحو الآتي[4]:

معيار الصَّدارة وتقسم الجملة باعتباره إلى اسمية وفعلية .

معيار الوظيفة: وتقسم الجملة باعتباره إلى جملة لها محل من الإعراب وجلة لا محل لها من الإعراب.

1- من أسرار اللّغة، إبراهيم أنيس، ص191.

2- مدخل إلى علم اللّسان الحديث، مجلة اللّسانيات، المجلّد الأوّل، ط1971، ص65

3- الألسنيّة العربيّة، ريمون الطحات، ج2، ص54.

4 - ينظر: البنية التركيبية للخطاب السياسي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (ماجستير)، مصطفى نور الدين، ص: 82 وما بعدها.

معيار البساطة والتركيب: تقسم الجملة باعتباره إلى جملة كبرى وجملة صغرى، وقد أفاض المحدثون في تشقيق أنواع الجملة وفقَ هذا المعيار كما نجده عند د. محمد إبراهيم عبادة[1].

معيار الدلالة: وتقسم الجملة باعتباره إلى خبرية وإنشائية.

وبما أنَّنا نتغيَّا في هذا البحث استجلاء الدَّلالة، فإنَّ المعيار الدلالي في تقسم الجملة هو الذي سنعتمده في دراسة الجملة في سورة الكهف، وعليه سندرس الجملة الخبرية والجملة الإنشائية.

1 - يراجع: الجملة العربية مكوناتها أنواعها تحليلها، محمد إبراهيم عبادة، ص 134-147.

I- بنية الجملة الخبرية ودلالاتها:

والجملة الخبرية تنقسمُ بدورها إلى اسمية وفعلية.

1- الجملة الاسمية:

ونعني بالجملة الاسميّة الجملة التي لا يكون فيها المسند فعلاً ولا جملة[1] وتتكوّن من المبتدأ والخبر، و«المبتدأ كل اسم ابتدئ ليبنى عليه الكلام»[2]، والمبتدأ «لم يكن مبتدأ لأنّه منطوق به أوّلاً، ولا كان الخبر خبرًا لأنّه مذكور بعد المبتدأ، بل كان المبتدأ مبتدأ لأنّه مسند إليه ومثبت له المعنى، والخبر خبرًا لأنّه مسند ومثبّت به المعنى»[3]. فالجملة في اللّغة العربيّة بإمكانية تألّقها من اسمين فقط هما المبتدأ والخبر، إذ المبتدأ اسم تبتدئ به الجملة الاسميّة ويكون معرّفًا سواءً بألف ولام التّعريف أو بوسيلة أخرى كالإضافة مثلا، أمّا الخبر فالأصل فيه أن يكون نكرة وقد يرد معرّفًا، فالمبتدأ هو «الاسم الذي يقع في أوّل الجملة، لكي نحكم عليه بحكم ما، وهذا الحكم الذي نحكم به على المبتدأ هو الذي نسمّيه الخبر؛ فهو الذي يكمل الجملة مع المبتدأ ويتمّ معناها الرّئيسي»[4].

وتنفرد هذه الجملة بالدّلالة على العلامة بين طرفي الإسناد، وعلى المبتدأ يعتمد في التّفريق بين الجملة الاسمية والفعليّة، وقد يتقدّم عليه الخبر

1- مدخل إلى دراسة اللّغة العربيّة، محمود أحمد نحلة، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1988، ص25.

2- الكتاب، سيبويه، 126/2.

3- دلائل الإعجاز، ص189.

4- التّطبيق النّحوي، عبده الرّجحي، ص84.

وجوبًا أو جوازًا إن كان اسمين أو كانا هما يعدّ في المفردات كالمصدر المؤوّل. وقد وردت أنواع الجملة الاسميّة في السّورة كما يأتي:

1- 1- الجملة الاسميّة المثبة:

1- 1- 1- الجملة الاسميّة المجرّدة من النواسخ:

ومن الأنماط التي وردت عليها قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا**﴾[1] فالمبتدأ معرفة، والخبر شبه جملة أو متعلّق بها، فدلّ تعريف الحمد بـ (ال) الجنسيّة على انحصار استحقاق هذا الجنس لله دون غيره، وهي دالة على الخبر لفظًا ومعنى. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**﴾[2] هذا من أسماء الإشارة مبتدأ والفراقُ خبره. ومن ذلك قوله أيضًا: ﴿ **ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا**﴾[3] (ذلك) يشار به إلى الواحد المذكّر من ذوي العلم وغيرهم، وهو مبتدأ وخبره (تأويل).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ**﴾[4] أولئك: الإشارة هنا للمذكّر والمؤنّث ممّن استحقّ لهم دخول الجنّة، وموقعه مبتدأ، ولهم شبه جملة خبر. ومن ذلك قوله أيضًا: ﴿**هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً**﴾[5] جاءت (قومنا) اعطف بيان لهؤلاء، وهذه الجملة خبريّة تحمل معنى الإنكار

1- الكهف: 1.
2- الكهف: 78.
3- الكهف: 82.
4- الكهف: 31.
5- الكهف: 15.

الشديد للقوم الضالين عن عبادة الله الحقّ، كما أنّ في الإشارة إليهم بـ:(هؤلاء) تحقير لهم.

ولست قاصدة في هذا البحث استقصاء جميع الحالات الكثيرة التي يرد المبتدأ والخبر في أشكالهما المختلفة فيها إذ إنّ الأمر أوسع بكثير من أن تستوعبه رسالة من هذا النّوع، ولكن العمل هنا لا يتعدّى عرض أمثلة تتكرّر بناها كثيرًا في آيات السّورة، وإنّما هي إشارة فقط لما يحمله كلّ عنصر من عناصر العمليّة الإسناديّة في الجملة الاسميّة.

1- 1- 2- الجملة الاسميّة المنسوخة بـ"كان" وأخواتها:

وقد وردت منسوخة بـ (كان) في سورة الكهف إحدى وعشرين مرّة في مثل قوله: ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**﴾[1] كانوا: الناسخ، الواو اسمها، وعجبًا خبرها، والآية تتحدّث عن قصّة وقعت قبل نزول القرآن. وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾[2] هذه الآية تفيد التوقيت في الماضي، لأنّ الهاء في (أمره) تعود على من اتّبع هواه، والذي كان أمره فرطا: أي مجاوزًا للحقّ.

وقوله أيضا: ﴿**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ**﴾[3] كان فعل ماض ناقص، وله متعلّق خبر كان متقدّم، ثمرٌ اسمها المؤخّر، لأنّه نكرة وكان تفيد مجرّد التوقيت في

1- الكهف: 09.
2- الكهف: 28.
3- الكهف: 34.

الماضي. وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا**﴾[1] فئة اسم لكن، وله شبه جملة متعلّق بمحذوف خبر. وكذلك وردت في الآيات الآتيّة: [﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا**﴾، ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ**﴾، ﴿ **وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**﴾][2] وجاءت في مواضع كثيرة لا يمكن ذكرها كلّها في هذا المقام.

وردت الجملة منسوخة بأصبح أربع مرّات هي: [﴿**فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا**﴾، ﴿**أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا**﴾، ﴿**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا**﴾، ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا**﴾][3].

ووردت أيضًا الجملة منسوخة بالفعل (برح) من أخوات كان الناقصة وهي تفيد الاستمرار واتّصاف الاسم بمضمون الخبر، ومنها الآية (60) وهي الوحيدة في السورة: ﴿**لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ**﴾[4]. وبعد استعراض كان وأخواتها في السورة ننتقل إلى نوع آخر من النواسخ هي: كاد وأخواتها، في مثل قوله تعالى: ﴿**وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ**

1- الكهف: 43.
2- الكهف: 45، 50، 51.
3- الكهف: 40، 41، 42، 45.
4- الكهف: 60.

قَوْلًا﴾[1] وهي الوحيدة في السورة، فيكادون: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو اسمها، وجملة (يفقهون قولا) خبرها.

ونسخت الجملة بالفعل (عسى) الذي يعمل عمل الأفعال الناقصة فتحتاج إلى اسم مرفوع، وخبر منصوب، مرّتين في السّورة في قوله تعالى: [﴿**عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا**﴾، ﴿**فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا**﴾][2] أمّا الجملة المنسوخة بأنّ وأخواتها، فقد وردت من هذه الحروف في سورة الكهف: (إنّ، أنّ، اعلّ) وسنعرّج على بعضها كقوله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا**﴾[3] واقترنت الجملة بحرف التوكيد للإعلام بأنّ المخبر به كلّه من عند المتكلّم وهو الله: ﴿**وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا**﴾[4] وإنّ في هذه الآية أفادت التوكيد على قدرة الله في الخلق والتّحويل، ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾[5] وقد استخدم القرآن الكريم التوكيد لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه وإقراره في أفئدتهم، وقوله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ**﴾[6] وهذه الآية جاءت على لسان قائل من أصحاب الكهف.

وردت الجملة المنسوخة بـ (إنّ) في السورة مرّات كثيرة لا يمكن ذكرها كلّها، ونذكر على سبيل المثال (أَنَّ) بفتح الهمزة والنون المشدّدة، تشترك مع

1- الكهف: 93.
2- الكهف: 24. 40.
3- الكهف: 7.
4- الكهف: 8.
5- الكهف: 13.
6- الكهف: 20.

(إنّ) في المعنى والعمل، وقد وردت في السورة خمس مرّات وهي: [﴿**وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا**﴾، ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**﴾، ﴿**لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ**﴾، ﴿**فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا**﴾، ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾][1].

أمّا (لعلّ) التي تفيد التّرجي والتّوقّع، فقد وردت مرّة واحدة في قوله تعالى: ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ**﴾[2]، فلعلّ الناسخ والكاف اسمها، وباخع خبرها، وتفيد هنا الإشفاق من النكروه. وبهذا فقد وظّف الأسلوب القرآني الجملة الاسميّة بتراكيبها المختلفة والمتنوّعة توظيفًا دقيقًا حسب السّياق، لا يتوقّف عند الدّلالة العامة للكلمة في الجملة بل يجعل منها كائنًا يتلوّن وفق الموقف ممّا يضفي عليها في كلّ مرّة لباسًا خاصًّا لا يكاد يميّزه إلاّ الأذكياء من المفسّرين.

1- 2- الجملة الاسميّة المنفيّة:

سبق تعريف الجملة الاسميّة على أنّها التركيب الذي يتضمّن عملية إسناديّة يكون المسند فيها اسمًا مقدَّمًا على المسند، ودلالتها الإثبات، أي إثبات اتِّصاف المبتدأ بالخبر، وأمّا النفي فهو سلب الأمر بواسطة أحد أحرف النفيّ، وقد تنوّعت الجملة الاسميّة المنفيّة بتنوّع أدوات النفيّ وسأقتصر على ذكر لا النافية لورودها بكثرة في السّورة:

1- الكهف: 2، 8، 21، 53، 104.

2- الكهف: 6.

الجملة المنفيّة بـ (لا) النافيّة للجنس، والتي تدلّ على نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها، وقد وردت في سورة الكهف ثلاث مرّات هي: ﴿**لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا**﴾[1] لا: النافية للجنس، وريب: اسمها وفيها خبرها؛ ولا النافية للجنس يسمّيها سيبويه: "العاملة عمل (إنّ) وهي لا تعمل إلاّ في نكرة"[2] وفي قوله: ﴿**لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ**﴾[3] لا نافية للجنس، ومبدّل اسمها مبني على الفتح في محلّ نصب، ولكلماته: شبه جملة خبرها، وهذه الآية فيها تبرئة النّاس من القدرة على تغيير قول الله، وتبديل إرادته.

وقوله أيضا: ﴿**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾[4] لا النافية للجنس، وقوّة اسمها، وإلاّ: أداة حصر، وبالله: شبه جملة خبر، والآية اعتراف صريح بأنّ الجنّة وكلّ ما فيها إنّما حصل بمشيئة الله وقوله تعالى: ﴿**لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾ إقرارٌ بأنّ ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها بمعرفة الله وتأييده. والعبارة جاءت على لسان صاحب الجنّة المؤمن ينصح الكافر بأنّ يقول (ما شاء الله لا قوّة إلاّ بالله) عندما يدخل جنّته. إذن الجملة الاسميّة المنفيّة تتفنّن في إبلاغ الأمر المنفي حسب السّياق وبأفضل ما يمكن أن يتصوّر من أساليب.

1- الكهف: 21.
2- الكتاب، سيبويه، ج2، ص165
3- الكهف: 27.
4- الكهف: 39.

2- الجملة الفعليّة:

2- 1- 1- الجملة الفعلية المثبتة:

إنّ الجملة الفعليّة هي يكون المسند فيها فعلاً يسند فيها إلى فاعل إن كان مبنيًا للمعلوم، وإلى نائب فاعل إذا كان مبنيًا للمجهول، والفعل هو أساس البنية في هذه الجملة، فهي إذا موضوعة لبيان علاقة الإسناد مع دلالة زمنيّة على حدث في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وتشير إلى تجدّد سابق أو حاضر كما تشير إلى استمرار دون تجدّد.

والجملة المثبتة هي التي تحتفظ بصيغة (فعل) و(يفعل) بزمنها الذي أعطاه إيّاهما النظام الصّرفي فيظلّ (فعل) ماضيًا ويظلّ (يفعل) حالاً أو استقبالاً بحسب ما يضامّه من الأدوات كالسّين، وسوف، ثمّ بحسب ما يعرض للزمن في هاتين الصيغتين من المعاني التي تفصح عنها اصطلاحات البعد والقرب، والانقطاع والاتصال والتجدّد والانتماء والاستمرار والعادة والبساطة وقد أتت على الأنواع التاليّة: في مثل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا**﴾[1] جملة فعليّة ذات فعل لازم والذي يكتفي فيها الفعل بالفاعل، ففعل (آمنوا) هو فعل لازم جاء في صيغة الماضي وفاعله ضمير متّصل وهو الواو، وإن كانت جملة الصلة لا محلّ لها من الإعراب إلاّ أنّها تصوّر نمطًا خاصّا من النّاس.

وقد وردت الجملة الفعليّة المثبتة ذات الفعل المتعدّي لفعل واحد وتنوّعت صورة في السّورة حسب دلالتها، ومن صوره قوله تعالى:

1- الكهف: 30.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾[1] فسأل هنا قد تعنى لمفعول واحد، وفاعله الضمير المتّصل، وأفاد التذكير بذي القرنين. وقد تنوّعت كثيرًا بما يلائم الغرض في كلّ آية فتوصلها في أدقّ عبارة وألطف معنى.

2- 2- الجملة الفعليّة المنفيّة:

سبق تعريفنا للجملة الفعليّة، وقلنا إنّها الجملة التي تتضمّن عمليّة إسناديّة واحدة يشكّل الفعل فيها المحور الرئيسي باعتباره مسندًا، والمنفية هي ما تقدّم الفعل فيها أحد أدوات النفيّ ينقل مضمون البنية بها إلى جهة السلب، حيث تنفي علاقة الإسناد بين الفعل وفاعله في زمن معيّن. والغالب في الجملة الخبريّة المنفيّة استعمال المضارع للدلالة على المضيّ؛ لأنّه هو الذي يضام أكثر أدوات النفي[2].

الجملة الفعليّة المنفيّة بـ (لن) وقد وردت في السورة عشر مرّات هي: ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾، ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[3] فلن هنا أفادت بنفي الهداية عن الّذين لا يريدون ذلك، فقد أرشد الله تعالى الفتية إلى الهداية من بين قومهم، فإنّه من هداه الله اهتدى ومن أضلّه فلا هادي له[4] فأتت (لن) ناصبة للفعل المضارع بعدها، وروي في سبب نزول هذه الآية أنّ «الله تعالى يحدّث النبيّ محمّد (صلى الله عليه وسلّم) بقوله: نحن نقصّ عليك خبر هؤلاء الفتية الذين أووا إلى الكهف بالحقّ والصّدق واليقين

1- الكهف: 83.
2- اللّغة العربيّة معناها ومبناها، تمام حسّان، ص248.
3- الكهف: 14، 17.
4- التفسير الكبير، ابن كثير، مج7، ص111.

الذي لا شكّ فيه إنّهم فتية آمنوا بربّهم ولم يدعوا من دونه إلاهًا آخر»[1] ﴿**وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**﴾[2] وأتت (لن) ناصبة للفعل المضارع، وأفادت تعنّت القوم بعدم الإيمان، أي إن هم عادوا في ملّتهم لن يدركوا الفلاح وهو البقاء في الجنان[3] ﴿**وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا**﴾[4]، ﴿ **بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا** ﴾[5] وقعت (لن) بعد حرف النصب (أن) المخفّفة من الثقيلة، واسمها محذوف، وليست (أن) المصدريّة التي تدخل على المضارع، لأنّ حرف النصب لا يدخل على مثيله.

الجملة المنفيّة بـ (لم) وردت في قوله تعالى: ﴿**إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾[6] ودخلت لم على الفعل المضارع الذي فاعله الضمير المتّصل، وحكى الفعل عن أمر واقع بصيغة المضارع. وقوله تعالى: ﴿**كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا**﴾[7] فلم دخلت على الفعل (تظلم) الذي فاعله ضمير مستتر.

ومن هنا فقد رأينا ذلك التنوّع في الدّلالة البلاغيّة التي تأخذها كلّ بنية اشتملت على الجملة الخبريّة بعضها عام لدلالة الجملة الاسميّة على الثبوت ودلالة الجملة الفعليّة عل التجدّد والاستمرار، وبعضها خاص

1- تفسير الطبري، ج15، ص179.
2- الكهف: 20.
3- تفسير الطبري، ج15، ص215.
4- الكهف: 27.
5- الكهف: 48.
6- الكهف: 6.
7- الكهف: 33.

يتجاوز أحيانًا أطر التركيب وهي مميّزات هذا الكتاب العزيز، كما لاحظنا اختلاف تواتر كلّ بنية من البنى المدروسة، حيث تضمّنت السّورة عددًا ضخمًا من الجمل الفعليّة المثبتة – وإن لم نخصّها جميعها لأنّ البحث لا يستوعب كلّ ذلك – وتليها الجمل الاسمية المثبتة أيضا ثمّ الجمل الفعلية منها والاسمية، غير أنّ أهمّ ما يمكن نقوله حول الجملة الخبريّة فيها أنّها تنحاز إلى جهة واحدة من أساليب تقسيم البنى الخبريّة ألا وهو الصدق الذي لا يمكن أن يجادل فيه إلاّ معاند.

3- الجملة الخبرية وتوكيد الإسناد:

إنّ معنى الإسناد هو ضمّ كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى، أو ما يجري مجراها إلى وجه يفيد الحكم بإحداهما على الأخرى ثبوتا أو نفيا[1] وقد تنوّع الأسلوب الإسنادي في سورة الكهف، فجاء في جمل ثابتة وأخرى منفيّة، كما اختلفت أنواعه وأضربه، فورد حينا مجرّدا من أدوات التّوكيد في مثل قوله تعالى: ﴿**هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا**﴾[2].

و﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾[3] والملاحظ في هذه الجمل التي جاءت مجرّدة من أدوات التّوكيد، أنّها غالبًا ما تقع في سورة الكهف: تذييل للجمل قبلها، ففي قوله تعالى: ﴿**هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا**﴾[4]

1- ينظر الإعجاز اللّغوي في قصّة القرآنية، محمّد السيّد حسين مصطفى وآخرون، ص203.

2- الكهف: 44.

3- الكهف: 46.

4- الكهف: 44.

تذييل للجمل قبلها لما في هذه الجملة من العموم الحاصل من قصر الولاية على الله تعالى المقتضى تحقيق جملة: ﴿**وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾[1].

أو تقع هذه الجمل، جملة معترضة في آخر الكلام، ترمي إلى غرض معيّن يتناسب والسياق القرآني قبله، فجملة: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا**﴾[2] جملة معترضة في آخر الكلام، موقعها التذكرة بقدرة الله تعالى على خلق الأشياء وأقدارها، وجعل أوائلها مفضية إلى أواخرها، وترتيبه أسباب الفناء على أسباب البقاء، وذلك اقتدار عجيب، وقد أفيد ذلك على أكمل وجه بالعموم الذي قوله: (على كلّ شيء قدير) وهو بذلك العموم أشبه التذييل[3].

وكذلك جملة "المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربّك ثوابًا وخير أملا" فهي تذييل أريد به العبرة والموعظة للمؤمنين بأنّ ما فيه المشركون من النعمة من مال وبنين ما هو إلاّ زينة الحياة الدنيا التي علمتم أنّها إلى الزوال[4].

وقد ورد الأسلوب الخبري في سورة الكهف مؤكّد مرّة واحدة في مثل قوله تعالى: ﴿**وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا**

1- الكهف: 42.
2- الكهف: 45.
3- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص 332.
4- المرجع نفسه، ج15، ص332.

حَسَنًا﴾[1] فجاء توكيد لقصد؛ ترغيب المؤمنين بالأجر الحسن والثواب الكريم وحثّهم على عمل الصالحات، كما جاء يفيد الوعيد للمشركين في مثل قوله: تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا**﴾[2] وجاء توكيد بقدرة الله تعالى، خاصّة ما كان منها في إيجاد الأشياء وأضدادها من حياة الأرض وموتها لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا**﴾[3] ثمّ يتكرّر التّوكيد في نفس الجملة ولكن يؤكّد بمؤكّدين اثنين في قوله: ﴿**وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا**﴾[4] وهذا يفيد العبرة، لجاعلون اسم فاعل مراد به المستقبل، أي سنجعل ما على الأرض كلّه معدومًا... وذلك هو كما جاءت جملة "إنّك لن تستطيع معي صبرًا في حديث الخضر (عليه السّلام) مع موسى (عليه السّلام) من جهتين بحرف (إن) وحرف (لن) تحقيقًا لمضمونها من توقّع ضيّق ذرع موسى (عليه السّلام) عمّا يبديه إليه الخضر (عليه السّلام)، لأنّه علم أنّه ستصدر منه أفعال ظاهرها المنكر وباطنها المعروف، ولما موسى (عليه السّلام) من الأنبياء الذين أقامهم الله على إجراء الأحكام على الظاهر، علم أنّه سينكر ما من تصرّفاته، لأنّ الأنبياء لا يقرون المنكر، من هذا المنطلق كذلك جاءت العبارة "إنّك لن تستطيع معي صبرا" بدل "إنّك لن تصبر معي" ذلك أنّ العبارة الثانية نفي للصبر فقط، أمّا السّورة القرآنية، فبيان أنّ موسى (عليه السّلام) سيبذل جهده في الصبر، وسيصبر نفسه على الصبر.

1- الكهف: 2.

2- الكهف: 29.

3- الكهف: 7.

4- الكهف: 8.

ومع هذا فالتّوظيف القرآني لأسلوب الخبري المؤكّد وغير المؤكّد – كما رأينا– في سورة الكهف، وظّف لأغراضٍ متعدّدة حسب السّياق الذي تأتي فيه، وللتوسّع ندرج قصة أصحاب الكهف نموذجًا للدّراسة، فالتّركيب الإسنادي يتضمّن الأسلوب الخبري المتعدّد في هذه القصة، وترتبط الجمل القرآنيّة ببعضها عارضة لمجمل الأحداث في غابر الزمان عرضًا دقيقًا ووصفًا بديعًا.

﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ**﴾[1] جملة فعليّة ماضوية مبدوءة بـ "إذا" وهو ظرف الفعل مقدّر تقديره (واذكر) والملاحظ أنّ الزمن الماضي للأفعال هو الغالب على قصة أصحاب الكهف، ولعلّه يشير إلى الأحداث الغابرة، فهذه القصة ترجع إلى أزمان بعيدة، موغلة في القدم، ومن هنا يتكرّر الفعل الماضي بصورة ملحوظة في السياق القرآني (آوى، اتّخذوا، فضربنا، آمنوا، بعثناهم، زدناهم، أعثرنا...).

﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا، ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ**﴾[2] جاء المفعول محذوفًا في هذه الجملة، وتقديرها: ضربنا على آذانهم الحجاب تشبيها للإقامة الثقيلة المانعة عن وصول الأصوات إلى الآذان بوضع الحجاب عليها[3] و(في الكهف) ظرف لضربنا وانتصاب (سنين) على الظرفين و(عددا) صفة سنين، أي ذوات عدد. وفي قوله تعالى: ﴿**لِنَعْلَمَ أَيُّ**

1- الكهف: 10.

2- الكهف: 11، 12.

3- يذكر الطاهر بن عاشور في قوله تعالى: ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ**﴾ ... وهذه الكناية من خصائص القرآن، لم تكن معروفة قبل هذه الآية، وهي من الإعجاز، ينظر تفسيره: التحرير والتنوير، ج15، ص 268.

الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[1] جملة خبريّة تفيد التّعليل «حيث جعل حصول علم الله بحال الحزبين علّة لبعثه إيّاهم كناية عن حصول الاختلاف في تقدير مدّتهم»[2].

﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ**﴾[3] جملة خبريّة قدم فيها المسند إليه على المسند الفعلي لإفادة الاختصاص (نحن نقصّ عليك) أي نحن لا غيرنا يقصّ قصصهم بالحقّ[4]، كما جاء الجمع الظاهر المذكور في أوّل الجملة (نحن...) "لغرض التّعظيم والثناء"[5].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾[6] جملة فعليّة مؤكّدة، صفة لفتية وعطف عليها أخرى "وزدناهم هدى"، والجملة الثانية "وربطنا على قلوبهم"؛ أي زدناهم هدى وتوفيق وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب والجمل الفعليّة الخبريّة السابقة توحي بالنصر من الله لهؤلاء الفتية (نقص، زدناهم هدى، ربطنا على قلوبهم...) فالقصة أشارت في خبري إلى قوّة إيمانهم ورسوخ عقيدتهم كما يدلّ قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا**

1- الكهف: 12.
2- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص 269.
3- الكهف: 10.
4- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص271.
5- الإعجاز اللّغوي في القصة القرآنيّة، محمّد السيّد حسين مصطفى وآخرون، ص175.
6- الكهف: 13.

شَطَطًا﴾[1] جاءت (إذ قاموا) ظرف للربط في قوله "وربطنا على قلوبهم" بمعنى أنّه لولا ذلك، لما أقدموا على مثل ذلك العمل وذلك القول[2]، وقول الفتية "ربّنا ربّ السّماوات والأرض" خبر المبتدأ إعلانًا لقومهم بهذه الحقيقة، وجملة "لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا" جملة خبريّة نفي فيها أصحاب الكهف تعلّقهم بمعبود آخر كما فعل المشركون، واللاّم في قوله (لقد قلنا) هي الموطنة للقسم، وجاء الخبر في الجملة الفعليّة الثانيّة للتهويل والمبالغة.

وفي قوله تعالى: ﴿**هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً**﴾[3] جاءت (قومنا) عطف بيان لـ (هؤلاء) وهذه الجملة خبريّة تحمل معنى الإنكار الشديد للقوم الضّالين عن عبادة الله الحقّ، كما أنّ في الإشارة إليهم بـ (هؤلاء) تحقير لهم. وقوله تعالى: ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا**﴾[4] جاءت الجملة متضمّنة للشرط واقترن الجواب بـ(الفاء) في قوله (فأووا) لأنّها جملة فعليّة، فعلها طلبي يفيد الأمر المراد منه النصح والإرشاد، ومعناها إذا أرتهم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء إلى الكهف، وقوله "وما يعبدون إلاّ الله" معطوف إلى الضمير المنصوب في قوله (اعتزلتموهم) و(ما) موصولة أو مصدريّة، أي: وإذا اعتزلتموهم واعتزلتم معبودهم، وقوله: (إلاّ الله) استثناء منقطع مع تقدير أنّهم لم يعبدوا إلاّ الأصنام، وقوله تعالى:

1- الكهف: 10.

2- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص279.

3- الكهف: 15.

4- الكهف: 16.

﴿**يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا**﴾[1] جاء التّقديم في الجملتين الخبريتين ليفيد الاختصاص.

وقوله تعالى أيضا: ﴿**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ**﴾[2] شرع القرآن الكريم في وصف أصحاب الكهف بعد أن أووا إلى الكهف، وصيغ فعل (تحسبهم) مضارعًا للدلالة على التّجديد بحسب الزمن المحكي، ولا يلزم أن يكون أصحاب الكهف كذلك حين نزول الآية[3]، وأيضا في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا**﴾[4] يشير القرآن الكريم إلى بعثهم بعد هجرهم الطويل، والخبر في هذه الجملة فيه تذكرة لقدرته تعالى على الإماتة والبعث جميعًا، ثمّ ذكر الأمر الذي لأجله بعثهم كما دلّت عليه "لام التّعليل" الداخلة على الفعل المضارع فقال: ﴿**لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ**﴾[5].

﴿**وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ**﴾[6]، يكشف القرآن الكريم في سياق الأسلوب الخبري عن الحكمة عن إطّلاع النّاس عليهم ورؤيتهم بعد موتهم، وهذا جدير بالذكر، والظرف في قوله (إذ يتنازعون...) متعلّق بـ (أعثرنا):

1- الكهف: 16.

2- الكهف: 15.

3- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص274.

4- الكهف: 19.

5- الكهف: 19.

6- الكهف: 21.

أي أعثرنا عليهم وقت التنازع والاختلاف في أمر أصحاب الكهف، في قدر مكثهم وفي عددهم.

ومن بديع الأسلوب الخبري ما جاء في نهاية القصة من تفويض العلم الصحيح لله وحده، كما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا، قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا**﴾[1] فيظهر الخبر الجازم يؤكّد بأنّه سبحانه مختصّ بعلم ما لبثوا كما تدلّ عليه الجملة الاسميّة "له غيب السماوات" أي ما خفي فيها وما غاب من أحوالهم: "ما لهم من دونه من ولي" ف "ما" هنا تعمل عمل ليس وتدخل على الجمل الاسميّة، أي أنّه تعالى هو الذي له الخلق والأمر (ولا يشرك في محكه أحدا) جملة خبريّة فعليّة ومنفيّة بـ: "لا" وقرأ الجمهور برفع الكاف على الخبر عن الله تعالى[2].

وهكذا يحتلّ الأسلوب الخبري بتركيبه الإسنادي مكانا كبيرًا في قصّة أصحاب الكهف، على الخصوص وفي سورة الكهف عمومًا، والخبر –كما رأينا– يذكر لأغراض مخصوصة، وقفنا على بعضها في سياق هذه القصة، واتّضح أنّ الجمل الخبريّة تتمثّل في الجمل الاسميّة والفعليّة التي لها خصائص معيّنة وتهتمّ بنقل الحقائق الثابتة التي قد يصحبها التوكيد والنفي، وما يتبعها من وصف وتعليل وغيرها.

1- الكهف: 25، 26.

2- الإعجاز اللّغوي في القصة القرآنيّة، محمّد السيّد حسين مصطفى وآخرون، ص182.

II- بنية الجملة الطلبيّة ودلالاتها:

الجملة الطلبية هي تركيب من تراكيب الجملة العربيّة الإنشائيّة، يقول ابن فارس: «الطاء واللاّم والباء أصل واحد ويدلّ على ابتغاء الشيء، ويقال طلبت الشيء أطلبه طلبًا وهذا مطلبي، وطلبتي، وأطلبت فلانًا بما ابتغاه أي أسعفته به، وربّما قالوا أطلبته إذًا أحوجته إلى الطلب، وأطلب الكلأ: تباعد عن الماء حتّى طلبه القوم، وهو ماء مطلب»[1].

وقد تناول البلاغيون الطلب بالبحث والدّراسة وذلك في تقسيمه لأنماط الكلام من حيث خبريّته وإنشائيته، فإنّما الخبر منه باحتماله للصّدق والكذب لذاته... وأضافوا (لذاته) لتدخل فيه الأخبار الواجبة الصدق كأخبار الله وأخبار رسله[2]. وأمّا الإنشائي فهو بعكس ذلك أي الذي لا يصلح أن يقال لقائله إنّه صادق أو كاذب، وذلك لعدم تحقّق مدلوله في الخارج.

وبنية الطّلب هي إحدى بنى الجملة العربيّة الإنشائيّة، ولا يصحّ الطلب من غير تصوّر؛ إذ أنّه: «يستدعي مطلوبًا لا محالة، ويستدعي فيما هو مطلوبه أن لا يكون حاصلاً وقت الطلب»[3] وقسّم السكاكي الطلب إلى قسمين:

1- قسم يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول.

1- معجم مقاييس اللّغة، ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990، ج4، ص417، 418.

2- ينظر علم المعاني، درويش الجندي، مطبعة نهضة مصر، (دت)، ص23.

3- مفتاح العلوم، السكاكي، ص203.

2- قسم لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول[1].

ونبّه إلى معاني الطلب الأصلي؛ وهي: الاستفهام، والنداء، والتمني، والأمر، والنهي[2].

والطلب في الكلام نوعان: «طلب بالكلام وطلب بالأداة، والطلب بالكلام هو طلب الفعل نحو صيغة (افعل) أو (فَعَال) نحو (تراك) أو (نَزَال) ببناء المصدر، والطلب بالأداة نحو أدوات الاستفهام، وأدوات التحضيض والتنديم، وأدوات التمني، أو أدوات الترجي، وأدوات النهي، وأدوات الأمر»[3]. ولا يكاد الطلب في السورة يخرج عن هذا إلاّ فيما يختصّ بالدلالة البلاغيّة، وتعدّد صور الجملة الطلبيّة بتعدّد نوع الجملة ودلالاتها، فإن كانت البنية تفيد الأمر فالجملة أمريّة، وإن كانت تفيد النداء فالجملة ندائيّة، وغن كانت تفيد الاستفهام فهي استفهاميّة.

وردت الجملة الطلبيّة اثنان وستون مرّة في السّورة وتوزّعت توزيعًا متناسقًا وأتت بأنماط مختلفة. والجدول يوضّح ذلك:

نوع الجملة الطلبيّة	عدد الجمل
1- جملة الأمر	30
2- جملة الدعاء	03

1- ينظر مفتاح العلوم، السكاكي، ص302.

2- ينظر المصدر نفسه، ص146.

3- في النحو العربي قواعد وتطبيق، مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى البايلي، مصر، ط1، 1966، ص 165، 166.

3- جملة النداء	04
4- جملة الاستفهام	22
5- جملة النهي	03

1- جملة الأمر:

الأمر أسلوب لغوي يطلب به الأمر من المأمور فعل الشيء، أو «هو طلب حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل»[1] وهو في مجمله صادر ممّن هو أعلى إلى من هو أقلّ منه، وأخرجوا في تعريفه بطلب الفعل النّهي، لأنّه ينتج ترك الفعل لا طلبه، كما أخرجوا الدّعاء والالتماس لكون المأمور فيهما أعلى مرتبة من الأمر[2] ويكون لفظ الأمر بالصيغة أو الأمر باللاّم (أفعل، وليفعل).

وردت جملة الأمر في سورة الكهف ثلاثين مرّة تمثّلت في نمط واحد: هو الأمر بالصيغة، وكان أكثر الأفعال تردّدًا في هذا الخطاب الربّاني الفعل (قُلْ) الذي عبّر عن مطلق الزّمن بماضيه وحاضره ومستقبله، لأنّه «الأمر الإلهي الحاسم الموحي بأنّ أمر هذه العقيدة أمر الله وحده وليس لمحمّد (صلى الله عليه وسلّم) فيه شيء، إنما هو الله الآمر الذي لا مردّ لأمره

1- همع الهوامع، السيوطي، ج1، ص07.

2- الصاحبي في فقه اللّغة، لابن فارس، تح وتقديم: مصطفى التومي، مؤسسة بدران للطباعة والنّشر، بيروت، 1964، ص179.

الحاسم الذي لا رادَّ لحكمه»[1] فلقد ورد الأمر الربّانيّ بصيغة (قل) للنبيّ محمّد (صلى الله عليه وسلّم) في الآيات التالية: [﴿**قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم**﴾، ﴿**وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي**﴾، ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ**﴾ ﴿**قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا**﴾، ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا**﴾ ﴿**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي**﴾، ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**﴾][2].

إنّما مجيء هذه الجمل متصدّرة بالأمر بالقول، للاهتمام بالمقول بإصغاء السّامعين، لأنّ مثل هذا الافتتاح يشعر بأنّه في أمر مهمّ[3]، ويكثر الأمر في القرآن الكريم بفعل الأمر (قل) خاصة وذلك لارتباطه بأصول التّشريع ومرادات السّياق داخل النّص وتبرز كثرته في اشتقاقات بعينها، ومن ذلك الفعل (قل) الذي ورد في القرآن الكريم في ثلاثمائة واثنين وثلاثين (332) موضعًا احتوته نصف سور القرآن الكريم وهي سبع وخمسون سورة (57) منها ستّ وقع فيها هذا الفعل في مائة وواحد وأربعين موضعًا (141)[4] ويشارك دلالة التّعبير عن مطلق الزمن، صيغ الأمر الموجّه فيها الخطاب إلى النبيّ (صلى الله عليه وسلّم) (اذكر، اصبر، اضرب) * في قوله تعالى: [﴿**وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**﴾ ﴿**وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ**

1- الإعجاز اللّغوي في القصّة القرآنيّة، محمّد السيّد حسين مصطفى، ص 182.
2- الكهف، الآيات: 22، 24، 29، 83، 103، 109، 110.
3- ينظر التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج16، ص45.
4- علم المعاني ودلالات الأمر في القرآن الكريم، دراسة بلاغيّة، مختار عطيّة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004، ص245.
*إنّ الأفعال في هذه الآيات وقعت في سياق استقبالي، لأنّها تجاوزت الحدّ الزمني في الماضي، عند إصدار الأمر إلى الحال ثمّ إلى المستقبل.

رَبِّكَ﴾ ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾، ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾][1].

والذي يلفت الانتباه في السورة الكريمة أنّ صيغ الأمر الموجّه الخطاب فيها إلى النبيّ (صلى الله عليه وسلّم) دلّت أفعالها على مطلق الزمن، في حين عبّرت آيات في السّورة عن صيغ الأمر فيها عن الزمن الماضي، وهي الشيء ارتبطت أفعالها بأحداث وقعت في الماضي وانتهت، فزمنها هو مستقبل منقطع في الماضي.

تمثّلت في آيات الحوار بين بني البشر، كما هو حال أصحاب الكهف في قوله تعالى: [**﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾، ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾**][2] فأمّا قوله فأووا إلى الكهف فإنَّه يعني به فصيروا إلى جبل الذي يسمّى بنجلوس، يبسط لكم ربّكم من رحمته بتيسيره لكم المخرج من الأمر الذي قد رميتم به من الكافر يرتبط الأمر في الاصطلاح ارتباطًا وثيقًا بمعانيه ومدلولاته في اللّغة إذ يعني في أصل الوضع رغبة الأمر في استجابة المأمور لمضمون الأمر، وهو في الاصطلاح لا يخرج عن هذا المفهوم، وإنّما يتوافق معه بما يحقّق غرض الطلب بنفاذه، وهو ما أطلق عليه اسم استعلاء؛ ويعدّ دور الأمر داخل النّص من الأدوار الكامنة في تنوّع الخطاب، ويحقّق بذلك الدلالات المتنوّعة التي تمكّن من

1- الكهف: 24، 27، 28، 45.

2- الكهف: 16، 19.

استنباط الأحكام.أو مع ذي القرنين في قوله تعالى: [﴿**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ**﴾، ﴿**آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**﴾][1].

2- جملة الدّعاء:

يدخل ضمن الأمر (الجملة الدعائيّة) وهي قليلة في سورة الكهف[2]، والدّعاء هو: «طلب فعل شيء أو الكفّ عنه بشرط أن يكون من أدنى لأعلى»[3]، ويكون فعل الأمر الدّال على الدعاء، أو بالمصدر النائب عن فعله أحيانًا، أو بالفعل المضارع المسبوق بـ (لام الأمر) أو بـ (لا النّاهية) مع قصد الدّعاء نحو (ربّ اغفر لي ولا تعذّبني).

ومنها ما جاء في السورة على لسان أصحاب الكهف، عندما أووا إلى الكهف، فدعوا ربّهم: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾[4] فالأصل في الآية الكريمة (يا ربَّنا) وقد حذفت أداة النداء في الآية الكريمة «إشعارًا بالقرب أكثر من الله»[5]، وإنّ تكرير الدعاء بتتالي فعلي الأمر (آتنا، هيّئ) فيه إشعار بالحاجة الملحّة له عزّ وجلّ، وإنّ في قولهم (من لذلك) معنى العندية والانتساب إليه سبحانه و«ذلك أبلغ ممّا لو قالوا:

1- الكهف، 96.

2- لعلّ مردّ هذه القلّة، أنّ الجملة الدعائيّة أكثر ما جاءت في القرآن الكريم على ألسنة الرّسل والأنبياء عليم السّلام، والكهف وإن كانت احتوت قصّة النبيّ موسى (عليه السّلام) إلاّ أنّ قصّته كانت مع الرّجل الصالح الخضر وجاءت في إطار تربوي شخصي على غرار قصص قومه.

3- الكهف: 10.

4- الإعجاز اللّغوي في القصّة القرآنيّة، محمّد حسين مصطفى، ص213.

آتنا رحمة، لأنّ الخلق كلّهم بمحلّ الرّحمة من الله، ولكنّهم سألوا رحة خاصة»[1] كما ورد أسلوب الدّعاء في ردّ الرّجل على أصحاب الجنّتين في قوله تعالى: ﴿**فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ**﴾[2] فيه دعاء لنفسه وعلى صاحبه الذي كفر بالنعمة وتكبّر، في قوله تعالى: ﴿**أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾[3]. أي فقال هذا الذي له جنّتين من أعناب، لصاحبه الذي لا مال له وهو يخاطبه، أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفرًا، بمعنى أنّه أعزّ عشيرة ورهطًا.

3- جملة النداء:

النداء هو تنبيه المخاطب وحمله على الالتفات والاستجابة[4] وهو أسلوب من أساليب الطلب ويتمّ النداء بأدوات خاصّة أشهرها الهمزة و(أي) لنداء القريب قربًا حسيًّا أو معنويًّا، و(يا) و(هيا) و(أيا) لنداء البعيد حسيًّا أو معنويًّا وأكثر أدواته استعمالاً هي (يا) لنداء القريب والبعيد[5]. وحكم المنادى هو النصب إن كان مضافا، أو شبيها بالمضاف، أو نكرة غير مقصودة، أو في محلّ النصب إذا كان اسم علم مفرد أو نكرة مقصودة ويكون ذلك على تقدير فعل محذوف يقدّر بـ: (أدعو)، أو أنادي عند بعضهم.

1- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص266.
2- الكهف: 40.
3- الكهف: 34.
4- شرح المفصّل، ابن يعيش، ج8، ص120.
5- ينظر الإتقان، السيوطي، ج2، ص 82، 83.

وقد يخرج النّداء عن غرضه الأصلي إلى أغراض أخرى: كالدعاء أو التّرجي أو الالتماس أو الندبة أو التّعظيم أو التّحقير أو التنبيه، أو الاستغاثة وغالبًا ما يصحب بأمر أو نهي. ومن أساليب النداء التي وردت في السورة، نداء مستعمل في التّلهف على لسان صاحب الجنّتين بعد أن أحيط بجنّتيه في قوله تعالى: ﴿**يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**﴾[1] و(ليتني) مراد بها التندّم، وهذا ندم على الإشراك فيما مضى، وهو يؤذن بأنّه آمن بالله وحده حينئذ[2]، وقد أحاط به الهلاك، والجوائح بثمره، وهي صنوف ثمار جنّته التي كان يقول لها: ما أظنّ أن تبيد هذه أبدًا فأصبح الكافر صاحب الجنّتين، يقلّب كفّيه ظهرًا لبطن، تلهّفًا على ذهاب نفقته التي أنفق في جنته وهي خاوية على عروشها يقول: وهي خالية على نباتها وبيوتها.

نداء آخر ورد في السورة، وهو نداء الويل في قوله: ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا**﴾[3] فنداء الويل ندبة للتوجّع من الويل، وقد «أنّثت الويل للمبالغة»[4] فالمجرمون ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصّة من بين الهلكات[5].

نداء آخر أفاد الاستغاثة في قول القوم المتخلّفين لذي القرنين ﴿**قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ**

1- الكهف: 42.
2- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص327.
3- الكهف: 49.
4- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص338.
5- الكشاف، الزمخشري، ص94.

خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[1] فقد نادوه نداء المستغثين المضطرين، ونداؤهم إيّاه بلقب ذي القرنين يدلّ على أنّه مشهور بذلك اللّقب بين الأمم المتاخمة لبلاده[2].

4- جملة الاستفهام:

الاستفهام بنية طلبيّة تُقدَّم صيغته (استفعال) مؤثّر على دلالته الوضعيّة في طلب (الفهم) بأدوات مخصوصة، فيخرج بذلك مثل قولنا (استفهم عن كذا) أو (فهمني كذا) برغم دلالتها على طلب الفهم، لأنّ الأولى خبريّة لا طلبيّة والثانية أمر لا استفهام[3].

وتتّجه الدلالة في الاستفهام من الخارج إلى الذهن، أي من السّطح إلى العمق، فالمقصود من قولنا: هل قام محمّد؟ حصول القيام الذي في الخارج إلى ذهن المتكلّم، والمستهدف الإنتاجي من الاستفهام إدراك وقوع نسبة أو علاقة بين أمرين في الخارج أو تصوّر موضوع[4].

ويتعلّق الاستفهام إمّا بالمسند وإمّا بالإسناد، ويكون بإحدى أدواته؛ وهي الهمزة، وأم، وهل، وأي، وكم، وكيف، وأين، ومتى، وأيّان، ومنها ما يختصّ بطلب التّصديق ومنها ما هو لطلب التصوّر دون التّصديق، ومنها ما هو مشترك بينهما.

1- الكهف: 94.

2- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص32.

3- البلاغة العربيّة قراءة أخرى، محمّد عبد المطّلب، الشركة المصريّة للنشر، 1997، ص 284، 285.

4- ينظر المرجع نفسه، ص66.

وتشكّل جملة الاستفهام غالبًا قسمين هما: جملة الاستفهام وجملة الجواب، هذا إن كان الاستفهام حقيقيًّا، أمّا إن خرج عن معنى الاستفهام إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام: كالتعجّب مثلاً، أو التّقرير، أو التمنّي، أو الإنكار، أو التوبيخ...فإنّه لا يحتاج إلى جملة الجواب[1]، وفي سورة الكهف تعدّدت معاني الاستفهام بتعدّد الأدوات والسّياقات، تماشيًا مع السّياق القرآني، وكانت أدوات الاستفهام: أي، كم، الهمزة، ما، من، هل،... هي التي تصدّرت الجمل الاستفهاميّة في السورة.

ولقد استعملت بعض أدوات الاستفهام للاستفهام ذاته، مثل ذلك (أي) في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا**﴾[2] و(أيّ) جاءت تفيد «طلب تعيين واحد من المضاف إليه»[3] كما جاءت (كم) أداة استفهام لطلب بيان العدد، كما جاء على ألسنة أصحاب الكهف ﴿**كَمْ لَبِثْتُمْ**﴾[4] وإذا استعملت بعض أدوات الاستفهام للاستفهام ذاته في سورة الكهف، فباقي أدوات الاستفهام – وهي كثيرة – خرجت إلى غير الاستفهام لتؤدي أغراضًا إضافية، حيث جاءت لتفيد: التعجّب، في قوله: ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**﴾[5] و(أم) هذه هي «أم المتقطّعة بمعنى (بل) وهي ملازمة لتقدير

1- ينظر علوم البلاغة البيان والبديع والمعاني، أحمد مصطفى المراغي، دار الأفاق العربيّة، القاهرة، ط1، 2000، ص66.

2- الكهف: 12.

3- الإعجاز اللّغوي في القصة القرآنيّة، محمّد السيّد حسين مصطفى، ص2.

4- الكهف: 19.

5- الكهف: 09.

الاستفهام معها، يقدّر معها حرف استفهام، والاستفهام المقدّر بعد (أم) تعجّبي، والتقدير هنا: أحسبت أنّ أصحاب الكهف كانوا عجبا من بين آياتنا»[1].

كما جاءت صيغة التعجّب بـ (ما) الاستفهاميّة في قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً**﴾[2] فجاء الاستفهام في قول المجرمين يوم القيامة "ما لهذا الكتاب" مستعمل في التّعجب (وجملة "لا يغادر" في موضع الحال هي مثار التّعجب وقد جرى الاستعمال بملازمة الحال لنحو: مالك لا تفعل؟ ومالك فاعلاً؟)[3].

وجاء الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾[4] فأداة الاستفهام من أفادت الإنكار، بمعنى: ألا أظلم ممّن افترى على الله كذبا. والملاحظ إنّ الهمزة هي أكثر أدوات الاستفهام ورودًا في سورة الكهف، وقد جاء الاستفهام بهذه الأداة لأغراض مختلفة إذ جاء:

أ- بغرض التّعجب والإنكار في الآيتين: [﴿**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ**﴾، ﴿**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي**﴾][5] «الخطاب موجّه لآدم وذريّته والهاء في الموضعين لإبليس، أولياء من دوني أي تطيعونهم وهم لكم عدوّ»

1- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص259.
2- الكهف: 49.
3- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص338.
4- الكهف: 15.
5- الكهف: 50، 37.

ب- بغرض التّعجب والإنكار في قصة موسى حين أغرق الخضر السّفينة وحين قتل الغلام: [﴿**أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا**﴾، ﴿**أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً**﴾][1] فالاستفهام في (أخرقتها) و(أقتلت) لإنكار ومحل الإنكار هو العلّة بقوله في الأولى (لتغرق أهلها) لأنّ العلّة ملازمة للفعل المستفهم عنه، وأكّد إنكاره بقوله: ﴿**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا**﴾[2] وإنكار موسى (عليه السّلام) الثاني على نسق كلامه في إنكاره خرق السّفينة[3]، و«إذا كانت الأوّلى خرق السّفينة واحتمال غرق من فيها، فهذه نفس قتل عمدٍ لا مجرّد احتمال، وهي فظيعة كبيرة لم يستطع موسى أن يصبر عليها على الرّغم من تذكّره لوعده، فقال: أقتلت نفسًا زكيّة بغير نفس؟ لقد جئت شيئًا نكرًا، فليس ناسيًا في هذه المرّة ولا غافلاً، ولكنّه قاصد، قاصد أن ينكر هذا النكر الذي لا يصبر على وقوعه ولا يتأوّل له أسبَابًا والغلام في نظره بريء لم يرتكب ما يوجب القتل»[4].

3- كما أفاد الاستفهام بالهمزة تقرير وتعريض في خطاب الخضر لموسى: [﴿**أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾، ﴿**أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا**﴾][5] فهذا استفهام تقرير وتعريض باللّوم على عدم الوفاء بما التزم موسى، أي: أتقرّ أنّي قلت إنّك لن تستطيع معي صبرًا؟[6].

1- الكهف: 71، 74.
2- الكهف: 71.
3- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص373.
4- في ظلال القرآن، سيّد قطب، دار الشروق، مج4، ص2280.
5- الكهف: 72، 75.
6- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص373.

هذا ولقد جاءت صيغة الاستفهام بغرض التّهكم في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا**﴾[1] بمعنى: أتحبّون أن ننبّئكم عن الأخسرين أعمالاً، وهو غرض تهكم لأنّه بذلك دون توقّف على رضاهم[2].

5- جملة النّهي:

النّهي نوع من أنواع الإنشاء الطلبي، و«هو طلب الكفّ عن فعل شيء»[3] على وجه الاستعلاء والإلزام وله صيغة واحدة هي المضارع المقرون بـ (لا) النّاهية التي تقع على فعل الشاهد والغائب[4]. ويلاحظ البلاغيون أنّ التعامل مع بنية النهي «يستدعي حالة شعوريّة وذهنيّة تبدأ فاعليتها من منطقة (الإثبات) لأنّ (الكفّ) فعل يحصل بشغل النّفس بضدّ المنهي عنه، وهو ما يستدعي تقدّم الشعور بالمكفوف عنه، لأنّنا لا نطالب أحدًا بعدم الفعل، أي تركه – إلاّ وعنده عزم على هذا الفعل، أو على الأقلّ وعي بإمكانيّة وقوعه، إذ لا يعقل أن يكون هناك إنسان لا يعي شيئًا عن فعل ما ولا يعتزم فعله ثمّ أمر بتركه.»[5].

وقد تخرج صيغة النّهي عن معناها الحقيقي «إلى معان أخرى تفهم بالقرائن من سياق الكلام»[6] وقد سبق وأن أشرنا إلى أنّ للنهي صيغة واحدة

1- الكهف: 103.

2- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج1، ص377.

3- شرح الكافية، الأستراباذي، ج2، ص252.

4- المصدر نفسه، ج2، ص252.

5- البلاغة العربيّة قراءة أخرى،محمد عبد المطلب، الشركة المصريّة العالميّة للنشر، 1997، ص297.

6- ينظر الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص92.

واحدة هي (لا) الجازمة مقترنة بالفعل المضارع، وبلغ عدد الآيات التي ورد فيها النّهي في السورة ثلاث مرات، فقد ورد هذا الأسلوب بقلّة مقارنة مع صيغتي الأمر والاستفهام، وكان أكثره موجّها للرّسول (صلى الله عليه وسلّم) وذلك في قوله تعالى: [﴿**فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا**﴾ ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا**﴾][1] قال الزمخشري: فلا تمار فيهم، فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلاّ جدًّا ظاهرًا متعمّق فيه وهو أن تقصّ ما أوحى الله إليك فحسب و(لا تستفت)، ولا تسأل عنهم عن قصّتهم له حتّى يقول شيئًا فتردّه عليه:... ولا سؤال مسترشد لأنّ الله قد أرشدك بان أوحي لهم، و(لا تقولنَّ لشيء) تعزم عليه (أنّي فاعل ذلك) الشيء (غدا) (إلاّ أن يشاء الله) متعلّق، لا بقوله إنّي فاعل، لأنّه لو قال: «إنّي فاعل كذا إلاّ أن يشاء الله، متعلّق، لا بقوله إنّي فاعل، لأنّه لو قال: إنّي فاعل كذا إلاّ أن يشاء الله، كان معناه: إلاّ أن يعترض الله دون فعله، وذلك ممّا لا مدخل فيه للنّهي وتعلّقه بالنّهي»[2]. قال العلماء عاتب الله تعالى نبيّه عليه السّلام على قوله الكفّار حين سألوه عن الرّوح والفتية وذي القرنين، غدًا أخبركم بجواب أسئلتكم، ولم يستثنى في ذلك... وقوله إلاّ أن يشاء الله: في الكلام حذف يقتضيه الظاهر ويحسنه الإيجاز، تقديره: إلاّ أن تقول إلاّ أن يشاء الله.

وقد بدا واضحا من تتبعنا لبنية جملة الطلب في هذا التّطبيق من سورة الكهف أنّ الأسلوب القرآني قد وظّف كلّ إمكانات التعبير المحتملة والموجودة في اللغة لإيصال رسالته الاعتقاديّة التّشريعيّة في أحسن صورة وفي

1- الكهف: 22، 23.
2- الكشاف، ج2، ص386.

أروع تعبير، كما بدا ذلك الثراء الدلالي والبلاغي الذي يقف المرء مبهورًا حياله، حتّى أنّه بإمكاننا القول إنّ مجمل بنى الجمل الطلبيّة التي وردت في السورة قد خرجت إلى معان بلاغية، وقد كثرت صيغ الأمر والاستفهام بأغراض مختلفة، وأبرز ما يلاحظ في هذا الصدد كثرة مجيء الجمل الخبرية المؤكّدة وغير المؤكّدة، عقب الصيغ الإنشائيّة في الأمر والنّهي أو الاستفهام، وهذه الجمل تضمّنت التعليل والبيان لما يتضمنه السياق القرآني، خاصة القصصي منه، من صور الإنشاء، فيبدو الأثر اللّغوي جليًّا بين أجزاء الكلام.

III- ظواهر تركيبية في السّورة:

1- الحذف:

يعدّ الحذف من أساليب الإيجاز البلاغيّة وإن اعتبر أيضًا ظاهرة نحوية، وقد عرّفه الرّماني على أنّه : «إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام»[1] وقد دلّ كلام الرّماني على أنّ الحذف لا يأتي جزافًا لأنّه «من سنن العرب ألاّ تحذف شيئًا إلاّ إذا أبقيت في النّص ما يدلّ عليه»[2] وإنّما يكون يُصار إلى الحذف حينما يكون ذلك أبلغ من الذّكر، لأنّ النّفس تذهب حينها كلّ مذهب ولو ذكر المحذوف لقصر المعنى على الذي تضمنه البيان.

1- النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، الرمّاني، ص76.

2- التوجيه النّحوي للقراءات في سورة البقرة، الطاهر قطبي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1991، ص196.

وينبّهنا ابن هشام إلى أنّ الحذف نوعان: أحدهما غير صناعي وينقسم إلى حالي ومقالي، والثاني: صناعي وهذا يختصّ بمعرفته النّحاة، وهو «ما اقتضته الصناعة وذلك بأنّ تجد خبرًا بدون مبتدأ أو العكس، أو شرطًا بدون جزاء أو بالعكس، أو معطوفاً بدون معطوف عليه»[1]. ثمّ يحدّد شروطًا، منها أن يكون طبق المحذوف، وأن لا يكون ما يحذف كالجزء، وأن لا يكون مؤكّدًا، وان لا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر، وان لا يكون عاملاً ضعيفًا كما لا يكون عرضًا في جملة، وأن لا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه، ولا إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القويّ ثمّ قطعه عنه.

أمّا النوع الثاني من الحذف فهو الذي يلزم المفسّر والبياني، واللّغوي، ويصوّر لنا عبد القاهر الجرجاني الحذف على أنّه: «باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنَّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتمّ ما تكون بيانًا إذا لم تبنى»[2].

وفرّق بعضهم بين الحذف والإيجاز فذكر: "أن يكون في الحذف ثمّ مقدّرٌ نحو: ﴿**وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ**﴾[3] بخلاف الإيجاز فإنّه عبارة عن اللّفظ القليل

1- مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ج2، ص394، 395.

2- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص146.

3- يوسف: 82.

الجامع للمعاني الجمّة بنفسه"[1] وتعدّدت صور الحذف في السّورة فجاءت على الأنواع التالية:

حذف للأدوات كحرف الاستفهام وأداة النداء في قوله تعالى: ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾[2] فالأسلوب نداء من الفتية المؤمنين إلى الله الأحبّ إليهم والأقرب إلى قلوبهم، وشعورهم بهذا القرب من الله لم يحتاجوا إلى أداة النداء، فالله أقرب إليهم من حبل الوريد، ولحذف الأداة غاية «ربّما كان ذلك لأنّ الله سبحانه يدعي أن يعتاد عباده مناجاته ونداءه بغير وساطة»[3] وفي نداء الله تعالى له خصوصيّة إذ هو: «دلالة على التّعظيم والتنزيه والثناء الحسن، فيزول معنى الأمر ويتمعّض التّعظيم، والإجلال ويحمل على معنى الدّعاء»[4].

ومن الحذف قوله تعالى: ﴿**لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[5] الفعل ينذر ينصب مفعولين، ولكن حذف أحدهما على أنّ المقصودين في الإنذار هم الكفّار، ولكن لقلّة شأنهم وهوانهم واستكراهًا لذكرهم حذف اللّفظ الدّال عليهم، وعلى العكس فإنّ التبشير ظهر (المؤمنون) وفي هوازنة جماليّة تتجلّى لنا معالمها وإشاراتها في المقارنة بين (بأسًا شديدًا) و(أنّ لهم أجرًا حسنا) فإنّ التلميح والأسلوب الإشاري

1- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3، ص102.
2- الكهف: 10.
3- الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز، عطيّة مختار، مؤسسة شباب الجامعة، 1981 الإسكندريّة، ط1، ص277.
4- الإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم، مصطفى محمود السيّد، ص329.
5- الكهف: 2.

يعطي منعة للتعبير. وممّا حذف منه الفعل ما جاء في قوله: ﴿**وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾[1]، (فلقد جئتمونا) يحتاج إلى إضمار فعل، أي فقيل لهم لقد جئتمونا.

ومن حذف الصفة والبقاء على الموصوف ما ورد في قوله: ﴿ **وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾[2] أي كلّ سفينة صالحة ولذا كان خرقها إنقاذًا لها من الملك، وتتبيّن ما يمكن أن يحقّقه الحذف في العبارة السابقة، يمكن أن نكشفه في إجراء أسلوب استبدالي، وهو العودة بالمحذوف، كلمة صالحة. ومن أمثلته أيضًا ليضفي على الموقف جوًّا من الرهبة وما يشعر بالخطر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾[3] أي وزنًا نافعًا، ينتفعون به في يومهم هذا، فذكر (الموصوف) وزنًا وحذفت الصفة.

وقد يحذف من الجملة أحد ركنيها الأساسيين المسند أو المسند إليه، ومن أمثلة حذف المبتدأ وقد شاع في سورة الكهف نحو قوله تعالى: ﴿**سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ**﴾[4] والتّقدير هنا: هم ثلاثة...هم خمسة...هم سبعة[5]، وقوله تعالى: ﴿**وَقُلِ**

1- الكهف: 48.
2- الكهف: 79.
3- الكهف: 105.
4- الكهف: 22.
5- مشكل إعراب القرآن، ج1، ص439.

الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾[1] التّقدير هو الحقُّ، وقوله أيضًا: ﴿**قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾[2] بإضمار هو المبتدأ أي الأمر الذي شاء الله.

ومواضع حذف الخبر في السّورة هي: بعد القول في قوله عزّ وجلّ: ﴿**قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾[3] يجوز أن يكون قوله (ما شاء) مبتدأ وخبره محذوف، فيكون التّقدير: ما شاء الله كائن. وبهذا فقد تنوّعت أشكال الحذف في سورة الكهف كما تجلّى ذلك الدّلالة، بحيث أضفى الحذف في كلّ صنف من هذه الأصناف إلى أسرار بلاغيّة، بعضها عام، وبعضها خاص حسب سياق الآية فقد يدلّ الحذف على التّعظيم، والتفخيم، أو لعلم المخاطبين بالمحذوف، أو لقصد المبالغة والتّهويل.

2- التّقديم والتأخير:

هو أحد الأساليب البلاغية، وقد أتى العرب به دلالة على تمكّنهم في الفصاحة، وملكتهم وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق. وقد اختلفت في عدّة من المجاز؛ إذ به يتمّ نقل كلّ عنصر نحوي عن رتبته وموضعه كتقديم المفعول وتأخير الفاعل، والصحيح أنّه ليس من المجاز نقل ما وضع له في الأصل إلى ما لم يوضع له. وللقواعد النّحويّة أثر في تحديد الترتيب من تقديم وتأخير، فتنتظم مفردات النّص الأدبي من خلالها

1- الكهف: 29.
2- الكهف: 39.
3- الكهف: 39.

فيذكر الجرجاني: «أنّ ليس النظم شيئا إلاّ توخي معاني النّحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيها بين معاني الكلم»[1].

وإذا تأمّلنا هذه الظاهرة في سورة الكهف نجدها متنوّعة وفيما يلي بعض الأمثلة: في مثل قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا**﴾[2] فالتّقديم في (ولم يجعل له عوجا) على (قيّمًا) له من الأسرار ما تستحق البحث والكشف عن جمالها ومدى تأثيرها على نفس المتلقي وعلى بناء النّص فيها، لقد شغلت هذه الآية علماء النحو والقرّاء، وعلماء الصّوت في سرّ تركيبها، ونأخذ في هذا المقام جانب الترتيب الذي تمثّل بين الآيتين، فالربط المعنوي واضح بينهما فدلالة المعنى الذي يعطيه (ولم يجعل له عوجا) و(قيّما) معنى متقارب جدّا. والسؤال ما سبب تقديم أسلوب على آخر؟ فجاء النفي بداية وتبعه الإثبات، إنّ الدّين الجديد جاء على امّة عقائدها باطلة ولا أساس لها، والدّين الجديد لا يمكن أن يقوم على ما كان موجودًا فلابدّ من إزالة الأباطيل والبناء على أرض صالحة، وعلى هذا تقدّم أسلوب التخلية للإزالة والتمهيد، ومن ثمّ التجلية في البناء والتحلية في إظهار الدّين.

وهذا التّقديم والتأخير لا يظهر فيه تعلّقه بالمسائل النّحويّة المباشرة، وإنّما له تعلّق خفيّ بالمعنى إذ من خلاله يمكن أن نصل إلى نكث تقديم بعض المفردات أو الجمل على بعض. ومثل ذلك في التقديم قوله تعالى:

1- دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص106.
2- الكهف: 01.

﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ**﴾[1] فقد تقدّم المتعلّق شبه الجملة (عليك) على المفعول به نبّأهم، وكان من الممكن أن تكون (نقصّ نبأهم عليك بالحقّ) فكان علماء أهل الكتاب يظنّون أنّهم يعلمون الحقّ وغيرهم لا علم لهم، فقط خصّ الله سبحانه وتعالى نبيّه بالعلم الحقّ دون سواه فقدّم ذكره على غيره إذ المقدّم هو الرّسول (صلى الله عليه وسلّم) وهو أهمّ بالذكر من نبئهم.

ودراسة هذا العنصر تشتمل على أمرين: أحدهما تقديم اللّفظ على عامله، والآخر تقديم اللّفظ على غير عامله لعلّة ذكرها النحويون والمفسّرون. والأوّل تقديم اللّفظ على عاملة ومواضعه في السّورة تقديم الخبر على المبتدأ، مثل قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[2] قدّم الخبر جوازًا، لأنّ المبتدأ لم يكن نكرة محضة أو غير مقيدة، فهي نكرة خصّصت بالإضافة. وذلك من المسوّغات التي اصطلح عليها النحويون للابتداء بالنكرة، فقد ذكر عبّاس حسن أنّ النحويين أوّلوا مواضع النكرة الواقعة مبتدأ إلى نحو أربعين موضعًا[3].

وقوله تعالى: ﴿**هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ**﴾[4] يجوز أن يكون هنالك خبرٌ مقدّمٌ والولاية مبتدأ والعامل في (هنالك) الاتقرار المحذوف الذي قام

1- الكهف: 13.
2- الكهف: 26.
3- ينظر النّحو الوافي، ج1، ص213.
4- الكهف: 44.

(هنالك) مقامه[1]. وقوله تعالى: ﴿**لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا**﴾[2] فالخبر واجب التّقديم، لأنّ المبتدأ أنكره محضة ومخبر عنها، بالجار والمجرور (لهم)، وبنحوه أشار ابن جنيّ إلى أنّ قولنا: لك مال وعليك دين، فالمال والدّين هنا مبتدآن قبلهما خبر عنها، إلاّ أنّك لو أردت تقديمهما إلى المكان المقدّر لهما لم يجز لقبح الابتداء بالنكرة في الواجب، فلمّا جعلنا ذلك في اللّفظ أّروا المبتدأ وقدّموا الخبر، وكان ذلك سهلاً عليهم مصحّحًا لما فسد عنهم، وإنّما كان تأخّره مستحسنًا من قبل إنّه لما تأخّر وقع موقع الخبر، ومن شرط أن يكون نكرة، فلذلك صلح به اللّفظ...[3].

وقوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى**﴾[4] فلقد جاز تقديم الخبر لأنّه شبه جملة والمبتدأ نكرة مضافة، والثاني تقديم اللّفظ على غير عاملة، ويرد لعلّة يذكرها النّحويون وأصحاب البيان تدلّ على عظمة التّعبير القرآني في استعمال الكلمة في سياقها، ونَلمس هذه المسألة في المواضع الآتية: في الأعداد في قوله تعالى: ﴿**سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ**﴾[5] وكذلك جميع الأعداد وكلّ مرتّبة هي متقدّمة على ما فوقها، ف الثلاثة على الأربع وهكذا.

1- مشكل إعراب القرآن، ج1، ص442، وينظر البيان في غريب إعراب القرآن، ج1، ص202.

2- الكهف: 58.

3- ينظر الخصائص، ابن جنيّ، ج2، ص317.

4- الكهف: 88.

5- الكهف: 22.

وفي قوله تعالى: ﴿**مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا**﴾[1] فقدّم الصغيرة على الكبيرة، والغرض هنا التدلّي من الأعلى إلى الأدنى، أو التنقّل من الأقرب إلى الأبعد، ومنه قوله: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا**﴾[2] قدّم على ما بعده وهو مؤخّر عنه في المعنى، لأنّ ذلك يحصل للتوافق. وارتبط التّقديم في الألفاظ بما يناسب ما قبله من الآيات، ونحو قوله تعالى: ﴿**مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي**﴾[3] قدّم الهداية على الضلال ليناسب قوله: ﴿**يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته**﴾[4] والرّحمة لا تكون إلاّ للخير والهداية فيها كلّ الخير.

وأمّا التّقديم لعلاقة السبب بالمسبّب فنجد أمثلة كثيرة في سورة الكهف، ولكن سنكتفي في الرّسالة بإيراد بعض الحالات دون استقصائها منها: قوله تعالى: ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا**﴾[5] فتقدّمت رحمة الله لهم على غيرها من النعم التي منّ الله عليهم بها، فالرّحمة هي أساس النعم وسبب بقائها، وعلى هذا الفهم فالفتية المؤمنون في دعائهم وطلبهم من الله قدّموا طلب الرّحمة: ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾[6].

1- الكهف: 49.
2- الكهف: 79.
3- الكهف: 17.
4- الكهف: 16.
5- الكهف: 16.
6- الكهف: 10

ومنه أيضا قوله: ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾[1] فحاجة الإنسان إلى الرّحمة من الله أوّلاً، ومن ثمّ تتجلّى آثارها على العبد رحمة وعلما ويقينًا. وإنّ الرّحمة من الله هي أساس كلّ نعمة التي منها هبة العلم وتمكينه، وهذه الرّحمة التي تتجلّى رحمة عامة لكلّ المخلوقات ورحمة خاصة لمن اتّصفوا بالطهر والزّكاة والإيمان كما يظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿**فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا**﴾[2].

ومن هذا النمط أيضا قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[3] ترتيب الجملة أمام اختيارات تتيحها قواعد اللّغة، فيجوز تقديم المبتدأ أو تقديم الخبر، فتقديم الخبر خلافًا للأصل لابدّ أن يكون لفظيًا ومعنويًا أو جماليّة فنيّة يحقّقها الجانب الأدبي للخطاب القرآني، فمن المعلوم أنّ هنالك مغيّبات عن الإنسان لا يدركها بعلمه المحدود، وقد يظنُّ أنّ هنالك من يصل إلى علم الغيب، وهذا محال لأنّ علم الغيب خاص بالله تعالى، ولذا تقدّم اللّفظ المتعلّق بجلال الله لإفادة الاختصاص[4].

وممّا تضمّنه التّقديم والتّأخير من الدلائل البلاغيّة في قوله تعالى: ﴿**لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا**﴾[5] ففي عملية كشف واستبدال من تقديم وتأخير تجيزها قواعد اللّغة (لعجّل العذاب لهم) فكان يظهر من الآية أنّ العذاب

1- الكهف: 65.
2- الكهف: 81.
3- الكهف: 26.
4- ينظر البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج3، ص119.
5- الكهف: 49.

محقّق ولا شكّ فيه ويشعر بذلك الكفرة والفسقة، ولكن حتّى لا يظن ظانٌ منهم أنّ هذا العذاب بعيد عنهم، فقد قدّم ذكرهم ليدلّ على أنّ العذاب خاصّ بهم.

كما قدّم أيضًا حال الشمس على البشر الذين تطلع عليهم في قوله: ﴿**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا**﴾[1]، وهكذا تتّضح قيمة التّقدم ببعض الحقائق النّحو كما تتّضح ببعض فلسفة البلاغة فيكفي أنّ سبب تقديم المبتدأ على الخبر أنّ المبتدأ معلوم للمتكلّم والسّامع لأنّه الموضوع الذي يجري الكلام عنه والمرء لا يتكلّم إلاّ بما يعرف، أمّا الخبر فمجهول للسّامع وإلاّ ما استحقّ أن يساق إليه، وفوق ذلك أنّ الفرق بين الجملتين الاسميّة والفعليّة في صورتهما النموذجيّة هو فرق تقديم وتأخير بسبب العلم والجهل في بعض الحالات، أمّا في عرف البلاغيين فإنّ سبب التّقديم هو الاهتمام بالشيء وإعلاء شأنه وذلك أنّ التّقديم هو نوع من التأكيد والدّلالة على المراد.

على أنّ التقديم في الآيات التي مرّت بنا فاق هذا الأمر إلى معان خفيّة لم تكن لتظهر إلاّ من خلال استنطاق دلالات تلك الآيات والبحث في بنياتها، فأكسبها من الحلل ما لا يمكن لحظه في كلام البشر.

3- الالتفات:

يعدّ الالتفات ظاهرة أسلوبيّة جارية في الكلام العربيّ، وهو إحدى خصائص العربيّة إذ هي ملتفتة، وقلّما نجد ذلك في اللّغات الأخرى، وقد

1- الكهف: 90.

عرّفه البلاغيون على أنّه: «نقل الكلام من أسلوب إلى آخر أو من معنى إلى معنى آخر وهو الاعتراض عند القوم، وسمّاه آخرون الاستدراك وهو من نعوت المعاني»[1]. ويرد الالتفات على ثلاثة أضرب:[2]

الضرب الأوّل: ما يرجع إلى مقامات الخطاب الثلاثة: الغيبة والخطاب والتكلّم، نحو الانتقال من ضمير الخطاب إلى ضمير التكلّم أو الغيبة أو العكس وهو على ستّة أوجه.

الضرب الثاني: وهو ما يعود إلى الرجوع من خطاب إلى خطاب التثنية أو الجمع أو العكس وهو كسابقة في عدد أوجهه.

الضرب الثالث: وهذا النّوع مختص بالأفعال وهو على قسمين:

- **القسم الأوّل:** ويكون الانتقال فيه من أسلوب الخبر إلى أسلوب الإنشاء أي صيغتي الماضي أو المستقبل إلى الإنشاء.
- **القسم الثاني:** وفيه يتمّ الانتقال من صيغة المضارع إلى صيغة الماضي أو العكس. غير أنّ أهمّ ضرب ورد في السورة بشكل ملفت للانتباه هو الضرب الأول، وهو أشهرها، لذلك آثرنا الاقتصار على شرحه وهو الالتفات من الغائب إلى المتكلّم وهو من المستويات التي يظهرها الالتفات ما يمثّل في الغياب والحضور، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ**

1- البرهان، الزركشي، ج3، ص119.

2- وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (53) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**﴾ (هود، 53، 54) فلم يقل (إنّي أشهد الله وأشهدكم) لأنّ إشهاد الله على البراءة من الشرك صحيح، ينظر الكشاف للزمخشري، ج3، ص43.

يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[1] في أسلوب في منتهى الدّقة، يكون الانتقال وخاصّة فيما يتعلّق بالنفس البشريّة، انتقل الأسلوب من الغائب (فقال له صاحبه) فالضمائر المتتابعة للغائب تنتقل إلى الحضور (المتكلّم) في إحساس من التّعاظم الذي أخذ يسيطر على نفس الكافر.

ومثله في الانتقال من مستوى لآخر في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾[2] تناسب في غاية الدّقة، بين حالتين يمرّ بهما الكافر، في الدنيا كان يظنّ أنّ الله بعيد عنه، فكان الأسلوب غياب (بربّهم) فانتقل الأسلوب بعد (لقائه) إلى الحضور (فلا تقيم) في موقف مهيب ومفاجئ ينتقل من حال الدنيا إلى مشهد يوم القيامة[3].

ب- الالتفات من المخاطب إلى المتكلّم:

من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[4] بدأ الخطاب في الآية بلفظة من (ربّكم) وانتقل بعد ذلك إلى الخبر في ضمير المتكلّم (إنّا) وفي الحالتين الضمير عائد على الله، ويلاحظ تفاوت الأسلوب في كلا الحالتين، فكانت البداية حريّة تامّة للبشر بين الإيمان والكفر والخطاب يوجّه إليهم (من ربّكم) ولكن لن يبقى الأمر

1- الكهف: 34.
2- الكهف: 105.
3- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص374.
4- الكهف: 29.

متروكًا هكذا على إطلاقه، فلابدّ من نتيجة لذلك الاختيار فانتقل الأسلوب إلى الحضور (المتكلّم) وبضمير الجمع (إنّا) الذي يفيد التّعظيم ليلفت الانتباه وليوقظ الغافلين، وإذا بهم يقفون بين يدي ربّهم ليلاقوا جزاء ما اختاروا[1].

ومن الالتفات لتغير المكان أو بعض العناصر قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾[2] انتقل أسلوب الإخبار من الخطاب (عند ربّك) إلى المتكلّم (يوم نسيّر) (وحشرناهم فلم نغادر) فربط الأسلوب بداية العبادة بلفظ (ربّك) وتخصيص العبادة لله، وينتقل من مشهد من مشاهد القيامة وفيه تتجلّى قدرة الله ويزيد من عظم وهول ذلك اليوم.

وفي ذكر هذه الأنواع كفاية فقد هذه الأنواع كفاية أضافت في كلّ آية وجدت بها مضامين جديدة من شأنها أن تتوغّل إلى قلوب وعقول المدعوين وأفئدتهم لتصل إلى الإقناع التّام الذي لا يقوى عليه أحد من البشر مهما بلغ من قوّة اللّسان.

4- الحروف ودلالاتها:

يقول عبد الفتّاح لاشين متحدّثًا عن الاستعمال القرآني لحروف المعاني: "واستعمال حروف المعاني في اللّغة العربيّة، ووصفها في مواضعها من الأمور الدّقيقة المغزى اللّطيف المأخذ، ولقد استعملها القرآن الكريم في أخصّ مواضعها، فلم توجد في مكان إلاّ ولها معنى طريف، ولم تحذف منه

1- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص339.
2- الكهف: 47.

إلاّ في حذفها غرض مقصود، وهدف مراد"[1] ونحن إذ نستعرض للاستعمال القرآني لأهمّ ما جاء من حروف المعاني في سورة الكهف، سنقف عن بعض معانيها وأسرارها البديعة.

4- 1- حروف العطف:

ومن ذلك حروف العطف (الواو) و(الفاء) و(ثمّ) فقد اختلف العلماء والنحويون حول دلالة حرف العطف (الواو) فذهب بعضهم أنّها تفيد الجمع من غير ترتيب، وقال آخرون أنّها للترتيب[2]، أمّا الفاء فهي تدلّ على الترتيب والتعقيب، لذلك اختلف موضع (الفاء) من موضع (الواو) في التعبير القرآني على العموم، وفي سورة الكهف على وجه الخصوص، حيث نجد ذلك في قصة أصحاب الكهف: ﴿**قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا**﴾[3].

فالملاحظ أنّ الآية الكريمة أربع جمل، ثلاث معطوفات بالفاء وواحدة بالواو، وقد عطفت الثلاث الأولى بـ "الفاء"، لأنّ المعنى المراد هو الترتيب مع

1- من أسرار التّعبير في القرآن (حروف القرآن) عبد الفتّاح لاشين، شركة عكاة للنشر والتوزيع، ط1، 1983، ص68.

2- يرى بركات يوسف أنّ خلاصة القول في هذه المسألة "أنّ الواو العاطفة، تدلّ على المعيّة والمصاحبة بكثرة، كما تدلّ على الترتيب غالبًا، وأمّا دلالتها على عكس الترتيب فقليل، ينظر شرح قطر الندى وبلّ الصدى، بركات يوسف، دار الفكر، ص404.

3- الكهف: 19.

التعقيب، فالإتيان بالرّزق مرتّب على النظر فيه، والنظر فيه مرتّب على التوجّه في طلبه، والتوجّه في طلبه مرتّب على قطع الجدال في المسألة عن مدّة البث بتسليم العلم له سبحانه، ولما انقطع نظام التّرتيب عطف بالواو فقال تعالى: (وليتلطّف) إذ لم يكن (التلطّف) مرتّبا على الإتيان بالطعام، بخلاف ما قبلها من الجمل المعطوفة بالفاء[1].

ونظير هذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا**﴾[2] فالملاحظ أنّ الفاء في الآية الكريمة، أضافت معنى آخر، إضافة إلى الترتيب والتعقيب، وهو تصوير السرعة الخاطفة التي تمضي بها الحياة على وجه الأرض، فتؤول إلى الزوال، فالحياة الإنسانيّة قصيرة جدّا في الحساب الإلهي، وكما يقول السيّد قطب: هذا المشهد يعرض قصيرًا خاطفًا ليلقي في النّفس ظلّ الفناء، والزّوال، فالماء ينزل من السّماء فلا يجري ولا يسيل، ولكن يختلط به نبات الأرض، والنبات لا ينمو ولا ينضج، ولكنّه يصبح هشيما تذروه الرّياح، وما بين جمل قصار ينتهي شريط الحياة.

ولقد استخدم النسق اللّفظي في تقصير عرض المشاهد بالتعقيب الذي تدلّ عليه الفاء: (ما أنزلناه من السماء) ف (اختلط به نبات الأرض) ف (أصبح هشيمًا تذروه الرّياح) فما أقصرها حيات وما أهونها حياة[3]، هذا وإنّنا نجد الزمخشري في الكشّاف يتساءل حول قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا رَكِبَا**

1- ينظر، من أسرار التعبير القرآني، عبد الفتّاح لاشين، ص76.
2- الكهف: 45.
3- في ظلال القرآن، سيّد قطب، ج17، ص388.

فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾[1] و﴿**حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ**﴾[2] لماذا (اخترقها) بغير الفاء و (فقتله) بالفاء؟ يقول الزمخشري في ذلك: "...وقد خولف بينهما لأنّ خرق السفينة لم يتعقّب الركوب، وقد تعقّب القتل لقاء الغلام"[3]. فكان للفاء في السياق القرآني دورًا دلاليًّا بارزًا، فهي مكّنت من التفرقة بين زمن حدوث فعلي خرق السّفينة وقتل الغلام.

ونظير هذا ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور في قوله تعالى: ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾[4] أنّ الفاء في كلمة (فقالوا) دلّت على أنّهم لما أووا إلى الكهف بادروا بالابتهال إلى الله تعالى[5]. وإذا كانت (الفاء) تفيد الترتيب والتعقيب، ف (ثمّ) تفيد الترتيب والتراخي، لذلك ناسب استعمالها في قوله تعالى: ﴿**أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا**﴾[6] ففي هذه الآية إشارة إلى بداية الخلق الأوّل، وهو خلق آدم من تراب، ولما عطف عليه الخلق الثاني، وهو – خلق التناسل – عطفه بـ (ثمّ) لما بينهما من التراخي، ثمّ عطف التسوية بـ (ثمّ) لما بين الخلق من نطفة إلى التّسوية التامة إلى أن يصير رجلاً راشدًا.

1- الكهف: 71.
2- الكهف: 74.
3- الكشّاف، الزمخشري، ص398.
4- الكهف: 10.
5- ينظر التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص266.
6- الكهف: 37.

وردت (لولا) في سورة الكهف في سياقين مختلفين: ﴿ **لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ**﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ**﴾[2] ف (لولا) لم ترد حرف شرط لأنّ وقع بعدها فعل[3]، بل جاءت في كلتا الجملتين تفيد التبكيت والتغليظ والتوبيخ، ومع أنّ لولا حرف شرط حقيقته الحثّ على تحصيل مدخولها، لكن هذا الحرف انصرف إلى التبكيت والتغليظ في قوله تعالى: ﴿ **لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ**﴾[4] **بَيِّنٍ**﴾[4] وعلى لسان أصحاب الكهف، وهذا لما كان الإتيان بسلطان على ثبوت الإلهية للأصنام التي اتّخذوها آلهة متعذّر بقرينة أنّهم أنكروه عليهم، أي اتّخذوا آلهة من دون الله لا برهان على آلهتهم[5].

وممّا يلفت النظر في القرآن الكريم من خلال هذا السّياق أنّه يقدّم حقيقة قاطعة، ويقرّر قاعدة قرآنيّة ضروريّة في موضوع العقائد والأفكار والآراء، فالقرآن يرد من النّاس جميعًا أن يكونوا عملين منهجيين، موضعيين في عقائدهم وأفكارهم وآرائهم، فلا يقبلوا فكرًا ورأيًا لا يتّفق مع الصّواب، ولا تتوفّر فيه العلميّة والمنهجيّة والموضوعيّة.

واو الثمانية: جاءت هذه الواو في السورة في قوله تعالى: ﴿**سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ**

1- الكهف: 15.

2- الكهف: 39.

3- المعروف أنّ لولا إذا وقع بعدها فعل كانت حرف حثّ وتحضيض بمعنى هل، وإذا وقع بعدها اسم كانت حرف شرط.

4- الكهف: 15.

5- ينظر التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص275.

وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[1] الملاحظ في الآية الكريمة أنّ القولين الأوّليين لم يفصلا الفتية وكلبهم، بينما الثالث – وهو الرّاجح – فصل بينهم وبين كلبهم بالواو وهي المذكورة في قوله: ﴿**وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**﴾ وهذه الواو هي التي تأتي بعد عدد سبعة وتذكر قبل العدد الثامن، ولهذا سمّيت بواو الثمانيّة[2]، أمّا معناها: فإنّها تذكر إذا كان المعطوف بعدها ليس داخلاً في جملة المعطوف عليه بأنّ القول الثالث في عدّة أصحاب الكهف غير القولين الذين قبله، بل هو مغاير لهما، فإذا كانا قولين مرفوضين باطلين، فإنّ واو الثمانية تشير إلى صحّة وصواب القول الثالث واعتماد القرآن له.

حرفي الجرّ (من، اللاّم):

يفيد حرف الجرّ (من) ابتداء الغاية، كقولك (خرجت من الدار) وقد ورد بهذا المعنى في سورة الكهف في العديد من المواطن من ذلك في قوله تعالى: ﴿**قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ**﴾[3] فالبأس منطلق من الله ينزل بالمشركين والكفّار، وجاءت (من) بنفس المعنى على لسان ذي القرنين:

1- الكهف: 22.

2- جاءت واو الثمانية في أربعة مواضع في القرآن الكريم، في التوبة: 112، التحريم: 05، الزمر: 73، والكهف: 22، محلّ دراستنا في هذا البحث، هذا وقد أسهب المفسّرون واللّغويون الكلام في واو الثمانية وتفرّقوا بين مؤيّد يقرّ (واو الثمانية) في القرآن، وبين رافض لهذه الواو في القرآن الكريم، ينظر من أسرار التعبير في القرآن، عبد الفتّاح لاشين، ص 81، 85.

3- الكهف: 2.

﴿**هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي**﴾[1] فالرّحمة مصدرها من الله تعالى يصيب بها عباده الصالحين، ويفيد حرف (من) معنى آخر وهو التّبعيض، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**﴾[2] و(من) في الآية الكريمة، تفيد التبعيض، بمعنى أنّ ليست قصة الكهف منفردة بالعجب من بين الآيات الإلهيّة الأخرى.

آية أخرى جاءت فيها (من) في قوله تعالى: ﴿**قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا**﴾[3] فمن هنا هي (من التبعيضيّة) ودلالتها في الآية الكريمة أنّ الرّسول (صلى الله عليه وسلّم) لن يقدّم لهم كلّ تفصيلات وحوادث قصّة ذي القرنين بل سيقدّم بعضها.[4] وسنكتفي بحروف العطف وحروف الجرّ لعدم التطويل ولأنّها أكثر استعمالاً في السّورة الكريمة.

1- الكهف: 98

2- الكهف: 9.

3- الكهف: 83.

4- تشير كلمة (سنه) في الآية الكريمة إلى منهج القرآن في عرض أحداث قصصيّة لا يعرضها مفصّلة تفصيلاً دقيقًا، بل إنّ الذي يعني القرآن هي مواطن العبرة والعظة.

توطئة:

يتشكل نظام اللغة العربية من الأصوات أو الفونيمات، في أصولها الثنائية والثلاثية والتنوع في التوزيع البنائي، للأفعال والصفات. يجري ذلك في براعة النظم والترتيب، وحسن السبك والتأليف، وإحكام التركيب الدقيق، تشده لغة القرآن الكريم، التي جعلت منه نهجا خاصا في الكلام مغايرا للمألوف، ولذلك انطلق التأليف والبحث في العربية وفي جميع مستوياتها فأنتجت علوم مرتبطة بها كمفردات اللغة والنحو والصرف والبلاغة وغيرها.

ومن المعلوم أن الدرس الصرفي من جملة العلوم التي خدمها القرآن الكريم وخدمته، وهو مستوى من مستويات التحليل اللغوي، يتناول دراسة البنية التي تمثلها الصيغ والعناصر الصوتية التي تؤدي إلى معان صرفية واشتقاق الكلمات وتغيير أبنية الألفاظ للدلالة على المعاني المختلفة.ويطلق الدارسون المحدثون على هذا الدرس مصطلح المورفولوجيا:morphologie وهو يشير عادة إلى دراسة الوحدات الصرفية أي المورفيمات(morphime).

كما تتموضع البنية الصرفية أو الإفرادية كحلقة وصل بين البناء الصوتي، والتركيب النحوي، إذ تفضي إلى معرفة البناء الصوتي للنص إلى التمكن من الولوج إلى بنائه الصرفي، ومن ثم إلى فهم العلاقات التركيبية فيه .فليس لأي عنصر لغوي قيمة دون وجود علاقة تجمع بينه وبين غيره من العناصر.

والكلمة أصغر وحدة لغوية ذات معنى في البنية تتألف من أصوات أصلية تكون جذرها ، ومن أصوات ثانوية تشكل الملحقات الصرفية التي تغير معناها الوظيفي في السياق "وقد تنبه علماؤنا القدامى إلى الصلة الوثقى بين الأصوات والتغييرات الصرفية، حيث قدموا لأبواب الإدغام والبدل ونحوهما بغرض للأصوات العربية ومخارجها وصفاتها وما يتألف منها في التركيب وما يختلف"[1] ، وكانت دراستهم الصرفية المرتكزة على الأصوات قائمة على الوصف "ما يطرأ على بنية

1- مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، 2008، ص 186.

الكلمة العربية المعربة من تغيرات: إما في تصرفاتها المختلفة من إفراد وتثنية وجمع، وتذكير وتأنيث، وتصغير، ومبالغة ونسب، وماض، ومضارع، وأمر..."[1] وهي مباحث تقوم على المعرفة العميقة بالأصوات اللغوية وخصائصها كأول خطوات الدراسة اللغوية، تتبعها خطوة ثانية هي معرفة الصياغة الصرفية للكلمات وعلاقتها فيما بينها.

وبناء على ما سبق نرى ونجد الدراسات اللسانية الحديثة قد رغبة عن مصطلح الكلمة لصعوبة تحديده لذلك اختارت بدلا منه"مصطلح الوحدة الدلالية الذي يتشعب إلى مصطلحيين آخرين يدلان على قسمي تلك الوحدة، وهما الوحدة:(الوحدة الدلالية المعجمية) و(الوحدة الدلالية الصرفية) ثم يكتفي عادة باصطلاح الوحدة الدلالية للقسم الأول، واصطلاح الوحدة الصرفية للقسم الثاني"[2].

والكلمة مجموعة من الأصوات الموضوعة في قالب أو شكل صرفي، وهو مبناها، أما ما تدل عليه من أفكار وأحداث أو كائنات أو تصورات أو صفات ونحوها فهو معناها[3].

ويسمي علماء اللغة المحدثون أصغر عنصر ذا معنى في البنية الصرفية بـ"المورفيم"[4]، ويمكننا أن نعرفه بأنه" أصغر وحدة لغوية ذات معنى في لغة ما"[5].

1- علم اللغة، محمود السعرات، ص95.
2- مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ص 195.
3- ينظر المرجع نفسه، ص196.
4- المورفيم في الدراسات والترجمات العربية الحديثة مقبلات متعددة، ينظر: مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، ص 56. ومبادئ اللسانيات: أحمد محمد قدور، ص189.
5- المصطلح الصرفي مميزات التذكير والتأنيث، عصام نور الدين، دار الكتاب العالمي، ص86.

أو بأنه"أصغر وحدة لغوية ذات معنى يمكن أن تصلح أساسا لتحليل جميع اللغات"[1] ثم أضاف المحدثون أن النظر في المورفيمات يسمى المورفولوجيا[2]، وانطلقوا من مقولة أن الإنسان يفكر بجمل لحللوا العلاقات التي قد تنشأ بين حروف الكلمة الواحدة، وبين الكلمة والكلمات الباقية في الجملة سواء من حيث تأثيرها فيها أو تأثرها بها...[3]. وقد قسموا المورفيم إلى ثلاثة أنواع:

1-**المورفيم الحر**: وهو الذي يمثل وحدة مستقلة يمكن أن تستعمل بمفردها، نحو: رجل، قائم.

2-**المورفيم المقيد**: هو الذي يستعمل منفردا، بل متصلا بمورفيم آخر كتاء التأنيث، وباء النسبة، والألف والنون اللذين للتثنية، الخ.

3-**المورفيم الصفري**: وهو مورفيم محذوف أو مقدر نحو الضمائر المستترة[4].

وقد نادى بعض الباحثين العرب إلى الاستعاضة عن البنية الصرفية بالمورفيم في دراسة اللغة العربية[5]، وهذا ما فعله تمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها، فالفكرة التي جاء بها تعتمد مفهوم المورفيم اعتمادا واضحا، وهو الذي يقوم بدور العلاقة الرابطة بين عناصر الكلام، وبدونه تبدو الكلمات كوحدات معجمية متناثرة المعاني، بدون رابطا يوحد معناها ويجمعها"فالمورفيمات تعبّر على العلاقات بين السيمونتيمات، وهذه الأخيرة عناصر موضوعية من الأفكار،

1- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف حزما، عالم المعرفة، 1987، ص276.
2-ينظر علم اللغة، محمود السعران، ص216، 217.
3- ينظر المصطلح الصرفي مميزات التذكير التأنيث، عصام نور الدين، ص86.
4- ينظر: أسس علم اللغة، ماريو باي، ص53.
5- ينظر دراسات في علم اللغة العام، كمال بشر، دار المعارف، مصر، 1969، ص11. ص11.

فالمورفيم في عمومه عنصر أصواتي(صوت أو مقطع أو عدة مقاطع) يدل على العلاقات بين الأفكار في الجملة"[1].

فالبنية الصرفية تقوم على عنصر المورفيم، وما يضفيه من معان صرفية ونحوية، تجمع بين الكلمات المختلفة لتشكيل جمل تساهم بدورها في صنع البناء اللغوي تتجلى في بيان العلاقة بين الكلمات ذوات الدلالة المعجمية، وتحديد أشكال الصيغ ومعانيها الوظيفية، وتوضيح المقولات الصرفية والنحوية الرئيسية[2].

وموقع المورفيمات في الكلمة يتغير حسب ما تؤديه من وظيفة، وما تضطلع به من علاقة بين الكلمة وغيرها، "فالصدر ما ألحق بأول الكلمة يؤدي معنى صرفيا معينا فيها، أي ليعبر عن مورفيم أو وحدة صرفية معينة وهي وظيفته، والعجز ما ألحق بآخر الكلمة فأدى معنى وظيفيا نحويا أو صرفيا، بتغييره عن مورفيم خاص، يعبر عن باب من أبواب النحو أو الصرف"[3] فالمعنى الصرفي الذي يؤديه المورفيم يفرق بين كلمات من جذر واحد، ومثال ذلك:"حذف اللين في قاتل، وقوتل، فالحروف الأصلية في هذين الفعلين هي القاف والتاء واللام، وأما حرف المد فقد جيء به ليعبر عن قيمة خلافية شكلية موازية لقيمة خلافية في المعنى، وتفوق القيمة الخلافية هنا بين"قتل" و"قاتل" وبين"قتل" و"قوتل" من جهة أخرى، وهو تفريق يقتضيه الفرق في المعنى بين الصيغتين"[4] فكل صفة أو مخرج في الحرف تجعله يختلف عن حرف آخر وتصنع القيمة الخلافية بينهما، وتؤدي وظيفة في البناء الصوتي، فكذلك فإن اختلاف أو زيادة حرف في كلمة يجعلها تختلف عن أخرى مقاربة لها في الحروف، تضع القيمة الخلافية بينهما من الناحية الصرفية، وتفضي هذه القيم الخلافية معاني صرفية ونحوية على الصيغ المتقاربة المنحدرة من جذر لغوي واحد.

1- مناهج البحث، تمام حسان، ص205.

2- مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ص197.

3- منهاج البحث تمام حسان، ص221، 222.

4- المرجع نفسه، ص218.

ويسهم المورفيم في بناء الصيغة الصرفية، فصيغة"ف.ع.ل" مثلا تدل على أي جذر ثلاثي في اللغة العربية، وأي مورفيم مهما كان بسيطا كحركة بسيطة مثلا تغير المعنى الصرفي للصيغة فتتحول مثلا من صيغة"فعل" الدالة على الفعل الثلاثي الماضي، الدالة على معنى المصدر مثلا(ضَرَبَ–ضَرب).

ومع أن المورفيم هي التي تشكل الصيغة، فإن الصيغة بدورها هي علامة صرفية تمنح المورفيم معناه الوظيفي وهو المعنى النحوي أو الصرفي الذي يضطلع به في السياق، فالصيغة لا تحتمل معنى معجميا، لكنها تجمع تحتها باعتبارها ميزانا صرفيا، فهي"بالنسبة إلى المورفيم علامة، وبالنسبة إلى أمثلتها المختلفة ميزان صرفي، فلها هذان النوعان من التسمية، وهي بالاعتبار الثاني ملخص شكلي لطائفة من الكلمات، تقف منها موقف العنوان من التفضيل الذي تحته، ثم إنها باعتبارها علامة لابد لها أن تدل على معنى المورفيم غير أن هناك فرقا بين معنى العلامة الصرفية التي هي الصيغة، وبين معنى الكلمة التي هي المثال، فالمعنى الأول وظيفي، والثاني معجمي"[1].

والوزن وضعه علماء اللغة العرب لمعرفة أحوال أبنية الكلمة، واصطلحوا على تسميته بالميزان الصرفي أو التمثيلي، وقد تبين أن أكثر الكلمات العربية ثلاثية الأحرف، فجعلوه كذلك مركبا من ثلاثة أحرف أصلية، هي: الفاء، العين، واللام (فعل) وجعلوه مقابل الكلمة المراد وزنها[2] لكن توحد في اللغة العربية أبنية كثيرة لا تقبل الوزن لعدم وجود صيغة تشتق منها هذه الأبنية كالحروف والأدوات النحوية والأسماء الجامدة، والصيغة هي تنظير صرفي يستعان بها على تقسيم الأبنية في اللغة العربية إلى أقسام ذات معان نحوية وصرفية تختص بها. وقد تتشابه صيغتان، ولذا فإن"الصيغة الصرفية قد لا تكون بمفردها كافية للدلالة على المورفيم لوجود الغموض فيها فهي إذا في حاجة إلى المثال ليوضح ما فيها من غموض، كصيغة فَعْل مثلا نجدها مشتركة بين الصفة المشبهة، وبين المصدر، ونجد من

1- مناهج البحث، تمام حسان، ص207.

2- ينظر علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص44.

أمثلتها"سهم"" و"ضرب" " فإذا وقع الغموض في الصيغة، فلن يقع في الأمثلة...فإذا جاء هذا الغموض في المثال كما جاء في الصيغة، اضطررنا إلى الاستغاثة بوسيلة نحوية في تحديد معاني صرفية، تلك الوسيلة النحوية هي السياق"[1].

وتسهم الصيغة الفردية في حفظ الكلمات داخل قوالب لغوية، وبذلك يسهم تقسيم الكلمات حسب ما تنتمي إليه من أبواب نحوية وصرفية"فأما اتخاذا الصيغة الصرفية أداة من أدوات خلف الحدود بين الكلمات في السياق فميزة للغة العربية من كبريات ميزاتها التي تفاخر بها"[2] إذ لا نجد في اللغات الأجنبية هذه الخاصية الصرفية التي تعين على حفظ أبنية الكلمات ومعانيها الصرفية والنحوية من الغموض والاختلاط.

قسم علماء اللغة القدماء أبنية العربية إلى ثلاثة أقسام هي: الاسم والفعل والحرف، وتعين الصيغة على تحديد بناء الاسم والفعل، ويبقى الحرف دون صيغة تحده، لعدم قبوله للاشتقاق، ذلك أن"اللغة العربية من اللغات الاشتقاقية التي تصوغ للمعاني المختلفة أبنية متنوعة من المادة الواحدة، وقد عني النحويون، والصرفيون، واللغويون لهذه الأبنية، ودلالاتها، وتصرفاتها، منذ وقت مبكر"[3] فقسموا صيغ للحروف لعدم اكتمال معانيها دون وجود الأفعال أو الأسماء "الاسم عندهم هو ما دل على مسمى، والفعل ما دل على ما حدث، والحروف ما ليست كذلك أي ما لم يكن ذا معنى في نفسه ويعرف الاسم بعلامات هي الجدّ والتنوين، وقبول النداء ودخول الألف ولام التعريف وجواز الإسناد"[4]، وهذا التقسيم العربي القديم لأبنية اللغة العربية يقترب من التصنيف الحديث لأبنية

1- مناهج البحث، تمام حسان، ص208.

2- المرجع نفسه، ص200.

3- تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن، محمد سالم محسن، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1987، ص17.

4- مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ص207.

الكلمات، فهو تقسيم مجمل، حيث إن الاسم مثلا تنطوي تحته كل الفئات الصرفية التي تدل مبنى خال من الحدث كالماضي والمضارع والأمر. أما التصنيف الحديث فهو تصنيف مفصل موسع يقوم على إفراد كل فئة صرفية بباب خاص بها.

وأبنية اللغة العربية تكون ثلاثية الأصل، وهي كثيرة جدا في اللغة إلى درجة أن ميزان الصرفي"ف.ع.ل" ابتكر بناء عليها وهذه"الأصول الثلاثة، إلى جانب استعمالها من الناحية الصرفية، تتخذ مادة للكلمة من الناحية المعجمية،... ولكن نجد في اللغة العربية صيغا رباعية يقول النحويون عن بعضها إنه من مزيد الثلاثي، ويقولون عن بعضها الآخر أنه أصلي"في حروفه الأربعة".

وتصل الأبنية من حيث الزيادة إلى سبعة أحرف في الأسماء، كما في كلمة"استشراق" كما تصل إلى ستة أحرف في الأفعال، كما في فعل"استبشر"، وللعربية طبعا وسائلها وطرقها الخاصة في صوغ هذه الأبنية عن طريق الزيادة على الحروف الأصلية للكلمة.

وسندرس في هذا الفصل البنية الصرفية في سورة الكهف من خلال تقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسية: البنى الفعلية، والبنى الاسمية، والبنى الوصفية.

1- البُنى الفعلية ودلالاتها:

الفعلُ هو أحد أقسام الكلام في اللغة العربية، وتعبر بنية الفعل عن معنى الحدث، وهو «الهيئة العارضة للمؤثر في غيره بسبب التأثير أولا، كالهيئة الحاصلة للقاطع بسبب كونه قاطعًا»[1].

وقد قدَّم النحاة تعريفات كثيرة للفعل منها ما قدمه سيبويه؛ حيث يقول: «وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع، فأما بناء ما مضى، فذهب، وسمع، ومكث، وحمد، وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمرا: اذهب، واقتل، واضرب، ومخبراً يقتل، ويذهب، ويضرب، ويقتل»[2]. نلاحظ أن سيبويه يشير من خلال تعريفه هذا إلى فعلية الفعل في اشتقاقه، فهو مأخوذ من المصدر، وهو المذهب البصري، كما أشار إلى دلالته على الحدث، إضافة إلى دلالته على الزمن ماضيًّا وحاضرًا واستقبالًا.

وقد تبع النحاة سيبويه في هذا التعريف، كقول ابن الحاجب: «الفعل ما دلَّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة»[3]. وعرفه ابن هشام بقوله: «والفعل في الاصطلاح ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، وفي اللغة نفس الحدث الذي يحدثه الفاعل من قيام أو قعود أو نحوهما»[4].

وفي التعريفات، الفعلُ: «ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، وقيل: الفعل كون الشيء مؤثرًا في غيره، كالقاطع ما دام قاطعًا، والفعل العلاجي: ما يحتاج حدوثه إلى تحريك عضو، كالضرب، والشتم. والفعل الغير العلاجي: ما لا يحتاج إليه، كالعلم، والظهر. والفعل الاصطلاحي: هو لفظ ضرب

---

1 - معجم التعريفات، أبو الحسين علي بن محمد الجرجاني، دار الفضيلة، القاهر، ص141.

2 - الكتاب، سيبويه، 12/1.

3 - شرح الكافية، ابن الحاجب، 223/2.

4 - شرح شذور الذهب، ابن هشام الأنصاري، ص14.

القائم بالتلفظ، والفعل الحقيقي: هو المصدر، كالضرب مثلًا»[1]. ونلاحظ أن التعريفات على اختلاف ألفاظها لا تخرج عمَّا سطره سيبويه في التعريف السابق.

والفعل بالمفهوم السابق الذي يضم الحدث والزمن يعتبر قطب الرحى في التواصل اللغوي، فهو النواة التي تحرك الوقائع اللغوية وتبعث فيها الحركة والتجدد، وتؤطرها في إطار زمني معين.

ونشير هنا إلى أنَّ الفعل قد قسمه العلماء إلى تقسيمات مختلفة باعتبارات مختلفة، فهو ينقسم:

- باعتبار الزمن: إلى (ماض، ومضارع، وأمر).
- وباعتبار هيئته التصريفية: إلى (مجرد ومزيد).
- وباعتبار نوع حروفه إلى (صحيح ومعتل).
- وباعتبار وظيفته النحوية إلى (لازم ومتعد).
- وباعتبار بنائه مع فاعله إلى (مبني للمعلوم ومبني للمجهول).

وسندرس بنية الفعل في سورة الكهف انطلاقا من معايير ثلاث: الزمن، والصيغة، والبناء للمعلوم أو للمجهول.

1 –1 – الفعل ودلالة الزمن:

ينقسم الفعل باعتبار الزمان إلى ثلاثة أقسام: الماضي، والمضارع، والأمر.

فالماضي: هو «ما دل على معنى في نفسه مقترن بالزمان الماضي»[2]. وعلامته البناء على الفتح، وقد علَّل سيبويه فتحَ آخره بأن فيه بعض المضارعة، ولذلك كان يقع موقع اسم الفاعل والمضارع جمعياً، تقول: هذا رجل ضرب محمداً ،كما تقول: هذا رجل ضارب محمداً، وتقول :إن فعل فعلت كما تقول: إن يفعل

1 – معجم التعريفات، أبو الحسين علي بن محمد الجرجاني، ص141.

2 – جامع الدروس العربية، الغلاييني، 30/1.

أفعل، ولذلك فارق الماضي السكون إلى الفتح ولم يعرب إعرابا كاملاً مثل المضارع ،لأن مضارعته ناقصة إذ لا تدخل عليه لام الابتداء[1].

والفعل الماضي كما هو واضح من اسمه دلالته الزمنية هي الماضي، أي الزمن المنقضي قبل زمن التَّكلم، وهذا الزمن يدلُّ عليه الفعل بصيغته الصرفية كما أوضح ذلك العلماء، وقد ينصَرِفُ إلى: الحالِ بمعنى (أفْعَلُ) وذلكَ إذا قَصَدْتَ به الإنشاءَ، كما في ألفاظ العُقود، نحو: (بِعْتُ، اشْتَرَيْتُ، زوَّجْتُ، قَبِلْتُ). أو إلى المستقبَلِ، بوجود قرائن منها:

- أن يدلَّ بسياقهِ على الطَّلَبِ، نحو: (غَفَرَ اللهُ لكَ)، (عَزَمْتُ علَيْكَ إلَّا فعَلْتَ).
- أن يُفْهَمَ من سياقهِ الوَعْدُ، نحو: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ**﴾.[2]
- أن يقعَ في سياقِ كلامٍ عُلِمَ أنَّه مُستقبَل، نحو قوله تعالى: ﴿ **يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ** ﴾[3]، ونحو قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ** ﴾[4].

فالسياقُ عنصرٌ مهم في توجيه دلالة الفعل الزمنيَّة.

و**المضارع**: «ما قرن به الحاضر من الأزمنة ويصلح للمستقبل ،إلا أن الحال أولى به من الاستقبال، فأن أردت إخلاصه للاستقبال أدخلت فيه السين وسوف»[5].

1 – ينظر: الكتاب سيبويه، ج 3/1.
2 – الكوثر: 1.
3 – هود: 98.
4 – النمل: 87.
5 – اللمع، ابن جني، ص23.

وقد نجدُ للعلماء في دلالة المضارع الزمنية خمسة آراء: أحدها أن يكون للحال، وهو لابن الطراوة، والثاني للمستقبل، وعليه الزجاج، والثالث رأي الجمهور وسيبويه أنه صالح للحال والاستقبال، والرابع أنه حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال، وينسب للفارسي، والخامس أنه حقيقة في الاستقبال ومجاز في الحال، ويُعزى لابن الطاهر النحوي[1].

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف، فإنَّه لا خلاف في دلالة المضارع على الحال والاستقبال، ويبقى السياق هو الفيصل، كما القرائن.

فيُعيِّنه للحال: لام الابتداء، و"لا" و"ما" النافيتان، نحو: ﴿ **إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ** ﴾[2]، ﴿ **لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا** ﴾[3]، ﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[4]، وكذلك إذا وُجِدَت قَرينةٌ أخرى تدلُّ على كونِهِ للحالِ، كأَن يقتَرِنَ بلفْظٍ صَريحٍ لإرادةِ الحال، نحو: ﴿ **وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآَنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا** ﴾[5].

ويُعيِّنُه للاستقبال: السينُ، وسوفَ، ولن، وأنْ، وإنْ...، نحو: ﴿ **سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[6]، ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ**

1 – ينظر: همع الهوامع، السيوطي، 7/1.
2 – يوسف: 13.
3 – النساء: 148.
4 – لقمان: 34.
5 – الجن: 9.
6 – البقرة: 142.

فَتَرْضَى ﴾[1]، ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾**[2]، ﴿ **وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾**[3]، ﴿ **إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾**[4].

وقد ينصرفُ إلى الدَّلالة على المُضيِّ، إذا سُبِقَ ببعض الأدوات أو الظروف، مثل: (لم) النَّافية، نحو: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا**﴾[5]، و(إذْ)، نحو: ﴿**وإِذْ تَقولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عليهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ**﴾[6].

والأمر: هو ما يُطْلَبُ به حصول حدَثٍ بعد زمن التكلم[7]، فهو مركَّبٌ من: من: الدلالة على الطَلَب (طلب حصولِ حَدَث ما)، والدلالة على الزمن، وهو المستقبَل (بعدَ زمن التَّكلُّم). **وعلامته التي يُعرَفُ بها** علامةٌ واحدةٌ مركَّبة من شَيئين: 1 – دلالتُهُ على الطَّلَب، 2 – وقَبولُهُ ياءَ المخاطَبَة، أو نون التَّوكيد.

وزمن فعل الأمر المستقبل في أكثر حالاته، وقد يكون الزمن في الأمر للماضي إذا أريد في الأمر الخبر[8]. فهو بذلك راجع للسياق.

1 – الضحى: 5.
2 – آل عمران: 92.
3 – البقرة: 184.
4 – آل عمران: 160.
5 – الأنعام: 6.
6 – ينظر: شذا العرف في علم الصرف، الحملاوي، ص 17، 18. النحو الوافي، عباس حسن، 61/1.
7 – ينظر: شذا العرف في علم الصرف، الحملاوي، ص18.
8 – ينظر: النحو الوافي، عباس حسن 65/1.

– إحصاء الأفعال في السورة :

	الفعل الماضي	الفعل المضارع	فعل الأمر	جميع الأفعال
العدد	235	169	25	429
النسبة	%54.77	%39.48	%5.82	% 100

نلاحظ جليًّا أنَّ الفعل الماضي أكثر أنواع الفعل ورودًا، فمن جملة 429 فعلا نجدُ 235 منها ماضيًّا، بنسبة 54.77% وهي نِسبَةٌ مرتفعة نوعًا ما إذا ما قُورِنت بالفعل المضارع الذي ورد 169 مرة بنسبة تقترب من 40%، أمَّا فعلُ الأمر كما هو واضحٌ من الجدول فكان أقل الأنواع تواترًا في السورة بنسبة لم تتجاوز 6%.

وما يمكنُ أن نستنتجه مبدئيًّا من هذه النسب هو توافقُها مع البنية القصصية لسورة الكهف، فالسورة كما أسلفنا القول تتضمَّن أربع قصص، تتموقع على مساحة كبيرة من السورة يتخللها توجيهات وإرشادات بين القصة والأخرى، والقصَّة تعتمدُ على السرد والحَكي، والذي يكون في الغالب الأعم بالزمن الماضي، من هنا كان الماضي الأكثر تواترًا في السورة، ثم المضارع الذي يتناسب أكثر مع الحركة والتجدد وهما عنصران فاعلان في بنية القصة القرآنية، لذا نجدُ الفعل المضارع قد قارب الأربعين بالمائة، بينما جاء الأمر (وهو طلب) بنسبة متواضعة جدًّا، لأنَّنا لا نجدُ للطلب شأنًا كبيرًا في بناء الهيكل السردي الأساسي للقصة.

أ – الفعل الماضي والفعل المضارع:

كما قلنا سابقًا لقد ناسب الفعلُ الماضي البنية السردية للقصة، لذلك كان أكثر الأفعال ورودًا في السورة، حيثُ يكونُ الزمن الماضي أكثر ملائمةً لحَكي أخبار السابقين وسَردِ قصصهم وتسجيل ما دار بينهم.

وهنا نشيرُ إلى فعلين كانا أكثر توترًا من غيرهما، وهو الفعل (قال) حيث ورد بصيغة الماضي دالًّا على الزمن الماضي 25 مرَّة، والفعلُ الناقص (كان) والذي

ورد 21 مرةً. أمَّا الفعل (قال) فقد كان يُصطنعُ بصيغته الماضية لحكاية الحوار القائم أو الذي جرى بين شخوص القصَّة القرآنيَّة، والحوار كما نعلمُ ركنٌ من أركان القصَّة، إلى جانب السَّرد. من هنا تواتر استعمالُ هذا الفعل ليكون بذلك مفصحًا عن كلِّ الحوارات والجدالات التي كانت بين شخوص القصص الأربعة في السورة.

إضافة إلى فعل القول، نجدُ الفعل الناقص (كان)، وهو فعلٌ أو عنصر يدلُّ على الزمن الماضي مسلوبًا من الحدث، ولذلك سُمِّي بالفعل الناقص، فهو يُصطنعُ في الجملة الاسمية لغرض إضفاء دلالة الزمن عليها، فهو بذلك يُؤطِّر الجملة الاسمية ضمن الإطار الزمني الماضويِّ الذي هو الفضاء الأرحب للسرد القصصي.

إضافةً إلى هذين الفعلين نجدُ قائمةً من الأفعال الأخرى، تختلف في تواترها، غير أنَّها في الغالب الأعمِّ تُصطَنعُ للدلالة على أعمال وحركات الشخوص داخل القصَّة، في الزمن الماضي.

إلى جانب الفعل الماضي نجدُ الفعل المضارع، وقد كان يُصطنعُ في السورة لحكاية وقائع القصَّة مسجَّلة أثناء حدوثها، فينتقلُ الزمن من المضي إلى الحاضر، فيحدثُ نقلُ المتلقي من زمنه الحاضر إلى زمن حاضر لكن في بُعده الماضوي، ويتَّحُ هذا الأمرُ أكثر إذا ما تأمَّلنا سلسلة تواتر الأفعال بين الماضوية والمضارعية في قصة أهل الكهف:

﴿حَسِبْتَ، كَانُوا، أَوَى، فَقَالُوا، آتِنَا، وَهَيِّئْ، فَضَرَبْنَا، بَعَثْنَاهُمْ، لِنَعْلَمَ، لَبِثُوا، نَقُصُّ، آمَنُوا، وَزِدْنَاهُمْ، وَرَبَطْنَا، قَامُوا، فَقَالُوا، نَدْعُوَ، قُلْنَا، اتَّخَذُوا، يَأْتُونَ، افْتَرَى، اعْتَزَلْتُمُوهُمْ، يَعْبُدُونَ، فَأْوُوا، يَنْشُرْ، وَيُهَيِّئْ، وَتَرَى، طَلَعَتْ، تَزَاوَرُ، غَرَبَتْ، تَقْرِضُهُمْ، يَهْدِ، يُضْلِلْ، تَجِدَ، وَتَحْسَبُهُمْ، وَنُقَلِّبُهُمْ، اطَّلَعْتَ، لَوَلَّيْتَ، وَلَمُلِئْتَ، بَعَثْنَاهُمْ، لِيَتَسَاءَلُوا، قَالَ، لَبِثْتُمْ، قَالُوا، لَبِثْنَا، قَالُوا، لَبِثْتُمْ، فَابْعَثُوا، فَلْيَنْظُرْ، فَلْيَأْتِكُمْ، وَلْيَتَلَطَّفْ، يَظْهَرُوا، يَرْجُمُوكُمْ، يُعِيدُوكُمْ، تُفْلِحُوا، أَعْثَرْنَا، لِيَعْلَمُوا، يَتَنَازَعُونَ، فَقَالُوا، ابْنُوا، قَالَ، غَلَبُوا، لَنَتَّخِذَنَّ، سَيَقُولُونَ، وَيَقُولُونَ، وَيَقُولُونَ، قُلْ،

يَعْلَمُهُمْ، تُمَارِ، تَسْتَفْتِ، تَقُولَنَّ، يَشَاءَ، وَاذْكُرْ، نَسِيتَ، وَقُلْ، عَسَى، يَهْدِيَنِ، وَلَبِثُوا، وَازْدَادُوا، قُلِ، لَبِثُوا، أَبْصِرْ، وَأَسْمِعْ، يُشْرِكُ﴾[1].

نلاحظُ أنَّ بداية القصَّة كانت حافلة بالفعل الماضي، لأنَّ المقام مقامُ سردٍ استفتاحيٍّ، يتمُّ من خلاله تأطيرُ الفضاء الزمني الذي أطَّر مجريات وأحداث هذه القصَّة، بينما نجدُ الفعل المضارع في وسط القصة يزاحمُ الماضي من حيث الورود، لأنَّه أقدرُ على بيانِ ونقل الحادثة كأنَّها تقع في زمنها الحاضر.بينما نجدُ الأمر في مواضع قليلة، وإن كان يكثر في خاتمة الصورة، فهو في الحقيقة قد لا يكون من ضمن البنية المكونيَّة لهيكل القصَّة الزمني، إذا اصطناعه يكونُ أثناء حوار الشخوص، أو في خاتمة القصة، ليضطلع ببيان الأوامر والإرشادات الإلهية، التي ينبغي أن تستخلص من الصورة.

ب – فعل الأمر:

وكما رأينا سابقًا فإنَّ فعل الأمر لم يرد بكثرة في السورة مقارنة بالماضي والمضارع، وذلك، في نظرنا يعودُ للأسباب التالية:

– أنَّ الأمر فعلٌ طلبيٌّ يُصطنعُ للدَّلالة على طلب حصول حدثٍ معيَّن، توقيتُه يكونُ في الغالب بعد زمن التكلم، وهو ما يُعتبرُ لسانيًّا استقبالًا، ومن هنا فعنصر الزمن فيه ليس مُرادًا لذاته، بل امراد هو الحدث المطلوب.

– أنَّ القصَّة لطبيعتها السردية معتمدة على عنصر الزمن، ولذلك فهي لا تحفل كثيرًا بفعل الأمر باعتباره عنصرًا فاعلًا في توجيه الزمن، ولا يكون استخدامُ الأمر على هذا إلى في حدودٍ تخدم القصَّة من حيث تبيان الأحداث المطلوبة، إمَّا في الحوار بين شخوص القصة، وإمَّا في ختام القصَّة ليكون بذلك إرشادًا وتوجيهًا إلهيًّا للمتلقِّي.

1 – الأفعال مجتزأة من سورة الكهف من الآية 9 إلى الآية 26.

ثمَّ أفعال الأمر الوارد في السورة إمَّا حقيقية كما في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**﴾[1]، وإمَّا مجازية.

ويُمكنُ تصنيف أفعال الأمر إلى أربع مجموعات:

أولها: موجَّخة من البشر إلى بعضهم، بصرف النظر عن إيمانهم أو كفرهم، في الأفعال الثمانية التالية: «أووا، ابنوا، آتنا، أعينوني، آتوني، انفخوا، آتوني».

ثانيها: أوامر موجّهة من الله تعالى إلى الرسول الكريم واختصَّ الأمر بالقول في الغالبية، كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا**﴾[2].

ونلاحظُ أنَّ أغلب الأفعال موجَّهة إلى النبي ﷺ، وهذا يُحيلنَا إلى محورية النبيِّ ﷺ في العملية الإبلاغية، إذ الأمر الموجَّه إليه ﷺ هو موجَّه إلى أتباع رسالته من باب أولى، باعتبار النبيِّ ﷺ هو القدوة.

وثالثها: هو الفعل الموجه من الله تعالى إلى المشركين في مناسبة واحدة فقط، وفيه إلماحٌ إلى تحقيرهم وعدم الاهتمام بهم، لذا لم يُوجَّه إليه الأمر إلا مرَّة واحدة على سبيل التوبيخ والتوعد[3].

ورابعها: فأفعال موجَّهة من العباد الصالحين إلى الله تعالى على سبيل الدعاء لا الأمر كما هو متقرِّر في أصول البلاغة العربية، وقد ورد في هذه المجموعة

1 - الكهف: 24.

2- الكهف: 22-24.

3 - ينظر: روح المعاني، الألوسي، 275/15.

فعلان «آتنا، هيِّء»، وهي تشير إلى استحضار العباد الصالحين لقرب الله تعالى منهم، واستحضارهم لقوته وعظمته، فهو وجهتهم في الدعاء والطلب[1].

وبعدما قدَّما حول دلالة الفعل الزمنية في السورة، اتَّضح لنا أنَّ البنية السردية للقصة تطَّلبت الصيغة الماضوية كأعلى نسبة من الأفعال، لتليها الأفعال المضارعة والتي اضطلعت بحركية الأفعال والأحداث في القصة، ثم كان الأمرُ في غالبه إمَّ آلية من آليات الحوار أثناء القصة، أو آلية اختتامية، دلالتها الإرشاد والتوجيه.

1- 2- الفعل ودلالة الصيغة:

يقسم الصرفيون الفعل باعتبار معيار البنية إلى: «مجرد ومزيد»[2]، فالأفعال المجردة: هي ما كانت جميع حروفها أصلية ولا يسقط من بنائها حرف في تصريف من تصاريفها، وهي في اللغة العربية نوعان: (ثلاثية ورباعية)، ويذكر ابن أنَّ الفعل لا يبلغ خمسة أصول لعلَّة لفظيه وهي «أنَّ الَفعال لم تكن على خمسة أحرف كلها اصول، لأن الزوائد تلزمها للمعاني، نحو: حروف المضارعة، وتاء المطاوعة، وألف الوصل...، فكرهوا أن يلزمها ذلك على طولها»[3].

وإذا نظرنا إلى الفعل المجرد الثلاثي في صيغة الماضي وجدنا له ثلاثة أوزان، حسب حركة عينه مفتوحة، ومضمومة، ومكسورة هي (فعل، وفعل ، وفعل)، وباعتبار مضارعه له ستة أوزان معروفة تسمى الأبواب، وكلها سماعية، والفعل الرباعي ليس له إلا وزن واحد، هو: (فعلل) مثل: (زلزل).

وللفعل الثلاثي المجرد معان كثيرة تختلف على حسب السياق، والرباعي كذلك؛ لذلك لم يحاول الصرفيون استقصاءها، بل نظروا إليها نظرة عامة، من هنا

1 - ينظر روح المعاني، الألوسي، 275/15.
2 - ينظر: المصنف، ابن جني، 17/1.
3 - المصنف، ابن جني، 28/1.

نجد الرضي يقول: «اعلم أنَّ باب (فعل) لخفته لم يختص بمعنى من المعاني، بل استعمل في جميعها، لان اللفظ اذا خف كثر استعماله، واتسع التصرف فيه»[1].

وسنورد في الجدول الآتي إحصاءً عاما للأفعال في سورة الكهف مقسمة على حسب أوزانها:

المجرد		**المزيد**				
		الثلاثي			الرباعي	
الثلاثي	الرباعي	مزيد بحرف	مزيد بحرفين	مزيد بثلاثة أحرف	حرف	خرفان
270	-	111	28	15	-	-
62.93%	-	25.87%	%6.52	%3.49	-	-

429
100%

إضافةً إلى ما ورد في الجدول، فإنَّنا نجد خمسة أفعال جامدة قد ورت في السورة وهي: ﴿بِئْسَ، بِئْسَ، عَسَى، عَسَى، نِعْمَ﴾. وهي لجمودها لم تدخل في جدول التصريف.

وما نلاحظه على الجدول الإحصائي طغيان الفعل الثلاثي على المزيد، وهذا يرتدُّ بنا إلى الملاحظة التي ينبِّه إليه علماء الصرف واللغويون من أنَّ الفعل الثلاثي هو الأكثر في اللغة العربية، ومن هنا اعتبرت اللغة العربية ثلاثية الأصول، وعليه جعلوا الميزان الصرفي ثلاثيا، ولم يجعلوه أقل من ذلك ولا أكثر.

1 - شرح الشافية، الرضي، 70/1.

إضافة إلى الملاحظة الأولى، نجد ملاحظةً أخرى أجدى بالتسطير، وهي خلو أفعال السورة من الفعل الرباعي مجردًا ومزيدًا، فما وجد إنَّما هو ثلاثي مجردٌ ومزيد بحرف أو بحرفين، لتكون بنية الأفعال في السورة كلها مرتدَّة إلى البنية الثلاثية الأصول.

وفيما يلي حديث مفصل حول الأبنية التي وردت عليها الأفعال في السورة.

1 -2 -1 – الفعل المجرد:

1-2-1-1- الثلاثي:

والفعل الثلاثي المجرد كما سبق ذكره له باعتبار ماضيه ثلاثة أبنية هي:

- **فَعَلَ**: وقد ذكر علماء الصرف أنَّه ورد في اللغة لمعان كثيرة لا تحصى لذلك لم يحاولوا استقصاءها كاملة[1]، يقول الرضي: «اعلم أن باب فَعَل لخفته لم يختص بمعنى من المعاني، بل استعمل في جميعها، لأن اللفظ إذا خف كثر استعماله واتسع التصرف فيه ومما يختص بهذا الباب بضم مضارعه المغالبة، ونعنى بها أن يغلب أحد الأمرين الآخر في معنى المصدر، فلا يكون إذن إلا معتديا»[2]. وإنما كانت نظرتهم الدلالية إليها عامة؛ فذكروا معاني يمكن اعتبارها في الغالب معانيَ ألفاظ لا معاني أوزان، وذلك نحو: دلالة الجمع في الفعل جمع، على أنَّ بعض اللسانيين المحدثين يرون أنَّ معاني الألفاظ غيرُ معاني الأوزان الصرفية، إذ إن معنى الوزن زيادة لم تكن موجودة في اللفظة نفسها[3].

- **فعِلَ**: يأتي هذا البناء للدلالة في الغالب على العلل والعواطف، نحو: الفرح، والحزن، والأدواء وما شابهها، وفي الشبع والامتلاء وضدهما، والألوان والحِلْية

1 – دروس التصريف، محي الدين عبد الحميد، ص62-63.
2 – شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الأستراباذي، 1/ 70.
3 – المرجع نفسه، ص63، 64.

والعيوب[1]، يقول ابن الحاجب: «وَفَعِلَ تَكْثُرُ فِيهِ الْعِلَلُ وَالأَحْزَانُ وأَضْدَادُها نَحْوَ سَقِمَ وَمَرِضَ وحزن وفرح، ويجئ الألوان وَالْعُيُوبُ وَالحُلى كُلُّها عَلَيْهِ»[2].

– **فعُلَ**: يذكر علماء الصرف أن هذا البناءَ يأتي للدلالة على الغرائز وما جرى مجراها من الخصال الخَلقية الغريزية، أو ما كان كذلك[3].

وإذا ما عدنا إلى الأفعال الواردة في السورة نجدها قد وردت على الأبواب الثلاثة، كما يتبين ذلك من خلال الجدول التالي:

الفعل المجرد في سورة الكهف (الثلاثي)	العدد	النسبة
أَبْرَحُ ابْعَثُوا أَبْلُغَ ابْنُوا أَبَوْا اتْلُ أَتَيَا أَجِدَنَّ أَجْعَلْ خَرَقْتَهَا اذْكُرْ أَذْكُرَهُ رَأَيْتَ اسْجُدُوا اصْبِرْ اضْرِبْ اضْرِبْ أَظُنُّ أَظُنُّ أَعْصِي أَعِيبَهَا قَتَلْتَ كَفَرْتَ أَمْضِيَ انْفُخُوا أْوُوا أَوَى أَوَيْنَا بَعَثْنَاهُمْ بَعَثْنَاهُمْ بَلَغَ بَلَغَ بَلَغَ بَلَغَا بَلَغْتَ تَأْتِيَهُمْ تَبِيدَ تَجِدَ تَجِدَ تَجْرِي تَجْعَلَ تَحْسَبُهُمْ تَخْرُجُ تَدْعُهُمْ تَذْرُوهُ تَرَكْنَا تَرَنِ تَرَى تَرَى تَرَى تَسْأَلْنِي تَصْبِرُ تَطْلُعُ تَظْلِمْ تَعْدُ تَغْرُبُ تَقْرِضُهُمْ تَقُولَنَّ تَكُنْ تَنْفَدَ جَاءَ جَاءَهُمُ جَعَلْنَا جَعَلْنَا جَعَلْنَا جَعَلْنَا جَعَلْنَا جَعَلَهُ جَعَلَهُ جَمَعْنَاهُمْ جِئْتَ جِئْتَ جِئْتُمُونَا جِئْنَا حَبِطَتْ حَسِبَ حَسِبْتَ حَسُنَتْ حَشَرْنَاهُمْ حَفَفْنَاهُمَا خَرَقَهَا خَشِينَا خَلَقَكَ خَلَقْنَاكُمْ دَخَلَ دَخَلْتَ رَأَى رَبَطْنَا رُدِدْتُ رَكِبَا زِدْنَاهُمْ زَعَمْتُمْ زَعَمْتُمْ سَاءَتْ سَأَتْلُو سَأَلْتُكَ سَتَجِدُنِي سَجَدُوا سَنَقُولُ سَيَقُولُونَ شَاءَ شَاءَ شَاءَ شِئْتَ ضَرَبْنَا ضَلَّ طَلَعَتْ ظَلَمَ ظَلَمُوا ظَنُّوا عَرَضْنَا عُرِضُوا عَمِلَ عَمِلُوا عَمِلُوا عَمِلُوا غَرَبَتْ غَلَبُوا فَسَقَ فَعَلْتُهُ قَالُوا قَالَ قَالَ قَالَ قَالَ قَالَ قَالَ قَالَ قَالَ قَالَ قَالَ قَالَ قَالَ قَالَ قَالَ قَالَ قَالَ قَالَ قَالَ قَالَ قَالُوا قَالُوا قَالُوا قَالُوا قَالُوا قَالُوا قَالُوا قُلِ قُلْ قُلْ قُلْ قُلْ قُلْ قُلْتَ قُلْنَا قُلْنَا قُلْنَا يَقُولُ يَقُولُ يَقُولُونَ يَقُولُونَ يَقُولُونَ يَقُولُونَ أَقُلْ أَقُلْ قَامُوا قَتَلَهُ كَانَ كَانَ كَانَ كَانَ كَانَ كَانَ كَانَ كَانَ كَانَ كَانَ كَانَ كَانَ كَانَ كَانَتْ كَانَتْ كَانُوا كَانُوا كُنَّا كُنْتُ كَبُرَتْ كَسَبُوا كَفَرُوا كَفَرُوا كَفَرُوا لَبِثْتُمْ لَبِثْتُمْ لَبِثْنَا لَبِثُوا لَبِثُوا لَقِيَا لَقِينَا يَأْتِكُمْ يَعْلَمُوا يَعْمَلْ يَنْظُرْ مُلِئْتَ مَنَعَ نَبْغِ نَبْلُوَهُمْ نَجْعَلَ نَجْعَلُ نَجْعَلْ نَدْعُوَ نَسِيَا نَسِيتَ نَسِيتُ نَسِيتُ نَعْلَمَ نُفِخَ نَفِدَ نَقُصُّ وَجَدَ وَجَدَ وَجَدَا	270	%62.93

1 – ينظر: دروس التصريف، محمد محي الدين عبد الحميد، ص57–60.

2 – شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الأستراباذي، 1/ 71.

3 – ينظر: المرجع نفسه.

وَجَدَا وَجَدَهَا وَجَدَهَا وَجَدُوا وُضِعَ وَنَسِيَ يَأْتُونَ يَأْتِيَهُمْ يَأْخُذُ يَبْغُونَ يَبْلُغَا يَجِدُوا يَجِدُوا يَجْعَلْ يَحْسَبُونَ يُحْسِنُونَ يُدْحِضُوا يَدْعُونَ يَرْجُمُوكُمْ يَرْجُو يُرَدُّ يَسْأَلُونَكَ يَشَاءَ يَشْوِي يَظْلِمُ يَعْبُدُونَ يَعْلَمُهُمْ يَعْمَلُونَ يَعْمَلُونَ يَفْقَهُونَ يَفْقَهُوهُ يَكَادُونَ يَكْفُرْ يَلْبَسُونَ يَمُوجُ يَنْشُرْ يَنْصُرُونَهُ يَهْدِ يَهْدِيَنِ يَظْهَرُوا يَظْهَرُوهُ		

هذه هي كل الأفعال الثلاثية المجردة الواردة في السورة، وكثيرٌ منها على باب فعَلَ، يليه فعِل، ثمَّ فعُل، وهذا الترتيب هو نفسه الذي ذكره علماء الصرف واللغة في ترتيب أفعال هذه الأبواب من حيث كثرتها في اللغة، وقد يُعزَى كثرة أفعال فعَل –بالفتح– إلى خفَّة الفتحة، وفي مقابل ذلك، قد يُعزَى قلَّة بناء فعُل –بالضم– إلى ثقل الضمة.

ولعلَّ الملاحظة التي تلفت الانتباه هي كثرة ورود الفعل (قال) حيث تكرَّر حوالي: (46) مرة. وبهذا يكون فعلًا مركزيًّا في السورة، وذلك باعتباره مفتاح السرد والحي، فهو الخيط الذي يربط بين تفاصيل القصة ووقائعها. وراتكازُ القصة بصفة عامة على فعل القول يُجلِّي الطبيعة السردية لهذا النوع الأدبي. كما يعطي للأشخاص الفاعلين في القصة مجالًا للتعبير عن مواقفهم وآرائهم، ومن هنا نجدُ القصص الأربعة في سورة الكهف قد شكَّل الحوارُ بين شخوص القصة ملمحًا بارزًا، على سبيل المثال الحوار الذي جرى بين صاحب الجنَّة، وصاحبه المؤن الفقير الصابر:

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ

السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42)﴾[1].

نلاحظُ أنَّ القصَّة غلب فيها الحوارُ على السرد، وكان الفعل (قال) مفتاحًا مركزيًّا في هذا الحوار، باعتبار القول مفصحًا عن عقيدة الرجلين ومبيِّنًا رؤيتهما إلى الحياة، فكان لابد من تسجيل أقوالهما لتكون شاهدة عليهما، وحتى يكون في ذلك عبرة للمعتبر.

و"قال" من الناحية الصرفية يعودُ إلى باب فعَل، ونجدُ من الأبواب الأخرى أفعالًا كثيرة لكنَّها تختلف من حيثُ تواتر ذكرها في السورة، كالفعل (لَبِثَ) الذي هو على وزن "فعِل" فقد ورد حوالي ستّ مرات، أغلبها في قصَّة أهل الكهف، وذلك له دلالة قويَّة مرتبطة مع القصَّة، التي كان إعجازُها مرتبطًا بالناحية الزمنيَّة، حيثُ فاقت مدة نوم أهل الكهف العادة البشرية، لتصل إلى مئات السنين، فكان الفضاء الزمني الممتد متطلبًا لأفعال تدلُّ عليه، من هنا تكرَّر الفعل لبث الذي يدلُّ على طول المدَّة والبقاء لفترات طويلة تفوق العادة.

1-2-1-1- الرباعي:

وأمَّا الرباعي المجرَّد فلم نعثر على شيء منه في السورة على حسب تتبعنا وإحصائنا، فكلُّ الأفعال المجرَّدة الواردة هي أفعال ثلاثية.

وهذه النتيجة تظهر مركزية الفعل الثلاثي في اللغة العربية، وتؤكِّد على قول العلماء السابقين، حيث اعتبروا الثلاثي أكثر مواد اللغة.

---

1 - الكهف: 35 - 42.

1 -2 -2 – الفعل المزيد:

الفعل المزيد: هو ما زيد فيه حرف أو أكثر على حروفه الأصلية، نحو: أخرج، وتشارك، واستغفر. فالثلاثي يزادُ فيه حرف، أو حرفان، أو ثلاثة أحرف، والرباعي يزاد فيه حرف، أو حرفان[1].

وحديثنا هنا سيقتصرُ على مزيد الثلاثي لأنَّ مزيد الرباعي لم نجد له ذكرًا في أفعال السورة، فعلى حسب إحصائنا لم نجد فعلًا واحدًا يدخل ضمن أوزان الرباعي المزيد.

وأوزان الأفعال الثلاثية المزيد فيها يمكن تقسيمها إلى:

1- الثلاثية المزيد فيها للإلحاق بصيغ الأفعال الرباعية المجردة والمزيد فيها، فيزاد على أصول الأفعال الثلاثية المجردة، حرف واحد أو حرفان أو ثلاثة كما سبق ذكره، ويشمل ذلك نوعي الزيادة، وهي التَّضعيف والتَّكرير لأصل أو أكثر من أصولها، وزيادة بعض أحرف (سألتمونبها).

2- صيغ الأفعال الثلاثية المزيدة فيها لغير الإلحاق، وتلحقها أيضًا زيادة واحدة، أو زيادتان، أو ثلاث زيادات[2].

وقبل تفصيل القول في الأوزان مزيدة التي وردت في السورة، نقدِّم جدولًا إحصائيا مفصلًا للأفعال المزيدة في السورة، على النحو التالي:

قائمة الأفعال الثلاثية المزيدة		
المزيد بحرف	**المزيد بحرفين**	**المزيد بثلاثة أحرف**
1- أفعَلَ:	**4- افتَعَلَ:**	**7- استفْعَلَ:**

1 - ينظر: الموجز، سعيد الأفغاني، ص36 وما بعدها.

2 - ينظر: شرح الشافية، الرضي، 84/1.

أَبْصِرْ أَتْبَعَ أَتْبَعَ أَتْبَعَ أَحَاطَ أَحَطْنَا أُحِيطَ أُحْدِثَ أَحْسَنَ أَحْصَاهَا أَسْمِعْ أَشْهَدْتُهُمْ أَصْبَحَ أَصْبَحَ أُشْرِكُ أُشْرِكْ أَعْتَدْنَا أَعْتَدْنَا أَعْثَرْنَا أَعْرَضَ أَعِينُونِي أَغْفَلْنَا أُفْرِغْ أَقَامَهُ أُنْذِرُوا أَنْزَلَ أَنْزَلْنَاهُ أَنْسَانِيهُ أَنْفَقَ أَهْلَكْنَاهُمْ أُوحِيَ تُحِطْ تُرْهِقْنِي تُصْبِحَ تُطِعْ تُغْرِقَ تُفْلِحُوا نُرْسِلُ نُضِيعُ نُقِيمُ يُبْدِلَهُمَا يُرْسِلَ يُرْهِقَهُمَا يُشْرِكُ يُشْرِكْ يُصْبِحَ يُضْلِلْ يُعِيدُوكُمْ يُغَاثُوا يُنْذِرَ يُنْذِرَ يُوحَى أَرَادَ أَرَدْتُ أَرَدْنَا تُرِيدُ يُرِيدُ يُرِيدُونَ	اتَّبَعَ اتَّبَعْتَنِي أَتَّبِعُكَ اتَّخَذَ اتَّخَذَ اتَّخَذَ اتَّخَذْتَ اتَّخَذُوا اتَّخَذُوا اخْتَلَطَ ارْتَدَّا ازْدَادُوا اطَّلَعْتَ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ تَتَّخِذُونَهُ افْتَرَى تَتَّخِذَ نَتَّخِذَنَّ يَتَّخِذُوا يَهْتَدُوا	اسْتَطَاعُوا اسْتَطْعَمَا اسْطَاعُوا تَسْتَطِعْ تَسْتَطِيعَ تَسْتَطِيعَ تَسْتَطِيعَ تَسْطِعْ تَسْتَفْتِ يَسْتَجِيبُوا يَسْتَخْرِجَا يَسْتَطِيعُونَ يَسْتَغْفِرُوا يَسْتَغِيثُوا
2– فاعَلَ:	**5– انفَعَلَ:**	
آتَتْ آتِنَا آتِنَا آتُونِي آتُونِي آتَيْنَاهُ آتَيْنَاهُ آمَنَ آمَنُوا آمَنُوا آمَنُوا يُؤْمِنْ يُؤْمِنُوا يُؤْمِنُوا تُصَاحِبْنِي تُمَارِ تُؤَاخِذْنِي جَاوَزَا سَاوَى نَادُوا نُغَادِرْ يُجَادِلُ يُحَاوِرُهُ يُحَاوِرُهُ يُغَادِرُ يُؤَاخِذُهُمْ يُؤْتِيَنِ	انْطَلَقَا انْطَلَقَا انْطَلَقَا يَنْقَضَّ	
3– فعَّلَ:	**6– تَفَاعَلَ:**	
تُعَذِّبَ تُعَلِّمَنِ ذُكِّرَ سَأُنَبِّئُكَ سَوَّاكَ صَرَّفْنَا عَجَّلَ عُلِّمْتَ عَلَّمْنَاهُ فَجَّرْنَا يُعَذِّبُهُ قَدَّمَتْ يَتَلَطَّفْ مَكَّنَّا مَكَّنِّي نُسَيِّرُ نُعَذِّبُهُ نُقَلِّبُهُمْ نُنَبِّئُكُمْ هَيِّئْ وَلَّيْتَ يُبَشِّرَ يُحَلَّوْنَ يُضَيِّفُوهُمَا يُقَلِّبُ يُهَيِّئْ	تَزَاوَرُ يَتَسَاءَلُوا يَتَنَازَعُونَ	

1-2-2-1- أفعَلَ:

هذا الوزن زيدت فيه الهمزة قبل الفاء، ويُعتبرَ البناء الوحيد بين الأفعال الثلاثية المزيد فيها، الذي همزته للقطع، وتسكن الفاء من كل فعل ثلاثي صحيح حين زيادة الهمزة قبلها ليصبح على وزن "أَفْعَلَ"[1].

ويردُ هذا البناء في العربية لمعانٍ ودلالاتٍ مختلفة، يذكر العلماء منها[2]:

التعدية: أي: يصير الفعل بالهمزة ويتعدى إلى المفعول بعد أن كان لازماً، والتعريض: وهو تعريض المفعول للفعل كقولنا: (أقتلته) أي عرضته للقتل. والصيرورة: أي إنَّ الفاعل صار صاحب الشيء، كقولهم ألحم أي: صار ذا لحم. وكذا الحينونة والاستحقاق)، ودخول الفاعل في مكان الفعل أو زمانه، والإزالة والسلب، والمبالغة، والتكثير، وغيرها من الدلالات الكثيرة.

وقد ورد على هذا الوزن 58 فعلًا، بدلالات مختلفة ولعلَّ أبرزها هو دلالة التَّعدية، وهي كما يُعرِّفها الرضي: «أن يجعل ما كان فاعلا للازم مفعولا لمعنى الجعل، فاعلا لأصل الحدث على ماكان فمعنى (أذهبت زيداً)، جعلت زيداً ذاهباً، فزيد (مفعول) لمعنى الجعل الذي استفيد من الهمزة فاعل للذهاب، كما كان في (ذهب زيد)»[3]. وقد ذكر علماء الصرف أن معنى التعدية أشهر معاني "أفعل"[4].

ومن الأفعال الواردة بهذا المعنى في السورة ﴿أَسْمِعْ، أَشْهَدْتُهُمْ، أَنْزَلَ، أَنْزَلْنَاهُ، تُغْرِقَ﴾.

1 - ينظر: شرح الشافية، الرضي، 83/1.
2 - ينظر: شرح الشافية83/1، ودروس التصريف/70-72.
3 - شرح الشافية، الرضي، 86/1.
4 - المرجع نفسه.

1-2-2-2- فاعل:

بزيادة الألف بعد فاء (فاعل)، ويأتي هذا البناء للدلالة على عده معان منها، لعلَّ أشهرها هو الدلالة على المشاركة بين اثنين في القيام بالفعل، يقول سيبويه: «اعلم أنك إذا قلت (فاعلته) فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه حين قلت (فاعلته)...»[1].

وقد ورد 27 فعلا على هذا البناء في السورة، وهي ﴿آتَتْ. آتِنَا. آتُونِي. آتُونِي. آتَيْنَاهُ. آتَيْنَاهُ. آمَنَ. آمَنُوا آمَنُوا. آمَنُوا. يُؤْمِنْ. يُؤْمِنُوا. يُؤْمِنُوا. تُصَاحِبْنِي. ثُمَارِ. تُؤَاخِذْنِي. جَاوَزَا. سَاوَى. نَادُوا. نُغَادِرْ. يُجَادِلُ. يُحَاوِرُهُ. يُحَاوِرُهُ. يُغَادِرُ. يُؤَاخِذُهُمْ. يُؤْتِيَنِ﴾.

1-2-2-3- فعَّلَ:

بتضعيف العين، وله دلالات متعدِّدة منها: التكثير والمبالغة في الفعل، كقولنا (قطعته إرباً) أي: أكثرت فيه التقطيع، والتعدية، والدعاء له وعليه، والتحويل والصيرورة: أي صيرورة الفاعل وتحوله إلى ما أخذ منه الفعل أو إلى ما يشبهه، نحو: روَّض المكان، أي: صار روضاً. وكذا السلب والإزالة ...وغيرها من الدلالات[2].

وقد ورد 26 فعلا على هذا الوزن بدلالات مختلفة: ﴿تُعَذِّبَ. تُعَلِّمَنِ. ذُكِّرَ. سَأُنَبِّئُكَ. سَوَّاكَ. صَرَّفْنَا. عَجَّلَ. عُلِّمْتَ. عَلَّمْنَاهُ. فَجَّرْنَا. يُعَذِّبُهُ. قَدَّمَتْ. يَتَلَطَّفْ. مَكَّنَّا. مَكَّنِّي. نُسَيِّرُ. نُعَذِّبُهُ. نُقَلِّبُهُمْ. نُنَبِّئُكُمْ. هَيِّئْ. وَلَّيْتَ. يُبَشِّرَ. يُحَلَّوْنَ. يُضَيِّفُوهُمَا. يُقَلِّبُ. يُهَيِّئْ﴾.

1-2-2-4- افتعل:

وهو بناء زيدت الألف في أوله و(التَّاء) بعد فائه، وزيادة ألف الوصل في أول البناء إنما جاءت توصلاً إلى النطق بالحرف الساكن بعدها، يقول ابن جني:

---

1 - الكتاب68/4.

2 - ينظر: شرح الشافية، الرضي، 26/1.

«واعلم أن هذه الهمزة إنما جاء بها توصلاً إلى النطق بالساكن بعدها لما لم يكن الابتداء، وكان حكمها أن تكون ساكنة إلا أنها حرف جيء لمعنى»[1].

ولهذا البناء عدَّة دلالات منها:

المطاوعة: ويطاوع الثلاثي كثيراً والرباعي قليلاً، نحو: أنصفت المظلوم فانتصف. والاتخاذ: وذلك باتخاذ الفاعل الشيء الذي يدل عليه الفعل كقولنا: "اشتوى اللحم" أي: اتخذه شواء. وكذا المشاركة، والاجتهاد في تحصيل الفعل، والدلالة على إظهار ما اشتق الفعل منه، وكذا الاختيار[2].

وقد ورد من هذا البناء في السورة 21 فعلًا، وهي ﴿اتَّبَعَ. اتَّبَعْتَنِي. أَتَّبِعُكَ. اتَّخَذَ. اتَّخَذَ. اتَّخَذْتَ. اتَّخَذُوا. اتَّخَذُوا. اتَّخَذُوا. اخْتَلَطَ. ارْتَدَّا. ازْدَادُوا. اطَّلَعْتَ. اعْتَزَلْتُمُوهُمْ. تَتَّخِذُونَهُ. افْتَرَى. تَتَّخِذَ. نَتَّخِذَنَّ. يَتَّخِذُوا. يَهْتَدُوا﴾.

1-2-2-5- انفعَلَ:

بزيادة الهمزة والنون في أوله، والغالب في هذا البناء أن يجيء مطاوعًا للفعل الثلاثي المتعدي لواحد، لتمكين المطاوعة، فيأتي (انفعل) لذلك غير متعدٍ، واشترط العلماء أن يكون مختصاً بالعلاج والتأثير؛ أي: بالأفعال الظاهرة؛ لأنَّ المطاوعة هي قبول الأثر، فتكون أولى وأوفق في الأفعال الظاهرة للعيون كـ "الكسر، والقطع" من الأفعال غير الظاهرة، كـ "العلم، والفهم". ثمَّ إنَّ هذا لايعني اطراد هذا البناء في مطاوعة (فعل) في كل علاج وتأثير فلا يقال: (طردته فانطرد)، بل (طردته فذهب) كما يشير إليه الرضي[3].

وقد ورد من هذا البناء في السورة أربعة أفعال، وهي ﴿ انْطَلَقَا. انْطَلَقَا. انْطَلَقَا. يَنْقَضَّ﴾.

---

1 - سر صناعة الاعراب، ابن جني، 127/1.

2 - ينظر: شرح الشافية، الرضي، 100/1-101.

3 - ينظر: شرح الشافية، الرضي، 108/1.

1-2-2-6- تفاعلَ:

بزيادة تاء وألف، وقد ذكر له العلماء عديد الدلالات، منها:

المشاركة بين اثنين فأكثر في الفعل نحو: (تشارك) و(تخاصم، والتَّكلف: وهو التظاهر بالفعل وليس الفاعل متصفاً به في الحقيقة، كقولك: تَعامى فلان نحو كذا، أي: أظهر العمى يوم رؤيته وهو ليس أعمى. وكذا التدرج في حصول الفعل فإن الفاعل في كل منها لم يقع الفعل فيه مرة واحدة، ولكنه وقع متوالياً، وغيرها من الدلالات[1].

ولم يرد على البناء في السورة سوى ثلاثة أفعال: ﴿تَزَاوَرُ. يَتَسَاءَلُوا. يَتَنَازَعُونَ﴾.

1-2-2-7- استفعَلَ:

بكسر الهمزة وسكون السين وفتح التاء وسكون الفاء وفتح العين واللام، يعتبر هذا البناء من أبنية الفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف، وقد زيدت الهمزة والسين والتاء في أوله، يقول سيبويه مبيِّنًا طريقة الزيادة: «وتلحق السين أولا والتاء بعدها ثم تسكن السين فتلزمها ألف الوصل في الابتداء ويكون الحرف على استفعل، يستفعل»[2].

ويأتي هذا البناء كغيره من الأبنية الصرفية لعدَّة دلالات، وأكثرها دورانًا في الكلام هو الطَّلب، ثمَّ هناك دلالات أخرى منها: الوجود على صفة نحو: (استكرمت الرجل)، أي: وجدته كريماً، والتحول والصيرورة، أي: انتقال الشيء من حال إلى حال، نحو: (استحجر الطين)، أي تحوَّل إلى حالة الصلابة.

1 - ينظر: شرح الشافية، الرضي، 108/1.

2 - الكتاب، سيبويه، 283/4.

واختصار المركب، نحو: (استرجع) إذ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. والاتخاذ، والاعتقاد، والمطاوعة.وغيرها من المعاني[1].

وقد جاء خمسة عشر فعلا على هذا البناء في السورة، وهي: ﴿اسْتَطَاعُوا. اسْتَطْعَمَا. اسْطَاعُوا. تَسْتَطِعْ. تَسْتَطِيعَ. تَسْتَطِيعَ. تَسْتَطِيعَ. تَسْطِعْ. تَسْتَفْتِ. يَسْتَجِيبُوا. يَسْتَخْرِجَا. يَسْتَطِيعُونَ. يَسْتَغْفِرُوا. يَسْتَغِيثُوا﴾.

وقد ورد الفعل (استطاع) لوحده عشر مرات، اختلفت أحواله بين النفي والإثبات والمضي والمضارعة، وقد نشير إلى ظاهرة وقعت في استعمال هذا الفعل في السورة، وهي ظاهرة الحذف؛ حيث ورد مرَّة تامًّا ومرَّة محذوفًا في قوله تعالى: **﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾**[2].

ولا شكَّ أن الاختلاف في البنية يدلُّ على اختلاف في الدلالة ولو أنَّ البناء واحدٌ وهو (استفعل) في الأصل، وقد أكثر العلماء في الفرق بين هذين الاستعمالين، من ذلك أنَّ زيادة التاء في الفعل استطاع تجعل الفعل مناسباً للحث، والصعود على السدّ أهون من إحداث نقب فيه؛ لأن السدّ قد صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس المذاب لذا استخدم اسطاعوا مع الصعود على السد، واستطاعوا مع النقب. فحذف مع الحدث الخفيف أي الصعود على السد، ولم يحذف مع الحدث الشاق الطويل بل أعطاه أطول صيغة له، وكذلك فإن الصعود على السدّ يتطلّب زمنا أقصر من إحداث النقب فيه فحذف من الفعل وقصّر منه ليجانس النطق الزمني الذي يتطلبه كل حدث. وهذا ما يُفهم من كلام الشيخ الطاهر بن عاشور؛ حيث يقول: « واسطاعوا تخفيف استطاعوا، والجمع فبينهما تفنن في فصاحة الكلام كراهية إعادة الكلمة. وابتدئ بالأخف منهما لأنه وليه الهمز وهو حرف ثقيل لكونه من الحلق، بخلاف الثاني إذ وليه اللام وهو خفيف. ومقتضى الظاهر أن يبتدأ بفعل استطاعوا ويثنى بفعل اسطاعوا لأنه يثقل

1 – ينظر: شرح الشافية، الرضي، 1/ 110.

2 – الكهف: 97.

بالتكرير، كما وقع في قوله آنفا ﴿ **سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا** ﴾[1] ثم قوله: ﴿ **ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا** ﴾[2].

ومن خصائص مخالفة مقتضى الظاهر هنا إيثار فعل ذي زيادة في المبنى بموقع فيه زيادة المعنى لأن استطاعة نقب السد أقوى من استطاعة تسلقه، فهذا من مواضع دلالة زيادة المبنى على زيادة في المعنى»[3].

وبهذا نلاحظُ أنَّ الاستعمال القرآني للبنية الفعلية ينطوي على أسرار ودقائق دلالية تحتاج إلى تعمق وحسن قراءة.

1 –3 – الفعلُ ودلالة البناء للفاعل أو المفعول:

ذكرنا سابقًا أنَّ الفعل في العربية ينقسم باعتبارات متعدِّدة، وذكرنا من تلك الاعتبارات البناء للفاعل أو المفعول، فيُقسَّمُ الفعلُ إلى فعل مبنيٍّ للفاعل (ويُسمَّى مبنيًّا للمعلوم)، وفعلٍ مبنيٍّ للمفعول (ويسمَّى مبنيًّا للمجهول). فالمعلوم ما ذُكرَ معه فاعلُه، نحو: حَفِظ محمد الدرس. والمجهول هو ما حُذف فاعله وأُنِيبَ عنه غيرهُ، نحو: حُفِظ الدرسُ. وفي هذه الحالة يجب أن تغيَّر صورة الفعل عن أصلها[4]. فأما الماضي فيُكْسَر ما قبل آخره ويُضَمُّ كل متحرك قبله، وأَما المضارع فيضم أَوله ويفتح ما قبل آخره[5].

والأصلُ اللغوي هو ذكر الفاعل، ويتمُّ حذفُه لدواعٍ دلالية مختلفة، تُستنبطُ من القول وسياقه، ومن هنا نجدُ أنَّ الأفعال المبينة للمعلوم أكثر من الأفعال المبنية للمجهول بكثير، وهذا ما يتَّضحُ من خلال الجدول الإحصائي التالي:

1- الكهف: 78.

2 – الكهف: 82.

3 – التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 16/ 38.

4 – ينظر: شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي، ص41.

5 – ينظر: الموجز، سعيد الأفغاني، ص52.

	المبني للمعلوم	المبني للمجهول	جميع الأفعال
العدد	419	10	429
النسبة	%97.66	%2.33	% 100

نلاحظُ جليًّا أنَّ بنية الفعل المعلوم هي الغالبة على أفعال السورة بنسبة تكاد تصل إلى 98%، وهو ما يؤَكِّدُ أصالة هذا الاستعمال، بينما نجدُ بنية الفعل المجهول حوالي 2.33%، وهي نسبة تُؤَكِّدُ خصوصيَّة هذا الاستعمال من حيث الدلالة. ومن الآيات التي وردت فيها هذه الأفعال قوله تعالى:﴿**لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا**﴾[1].

حُذفَ الفاعل في هذه الآية وأقيمَ المفعول مُقامه، وذلك لغرضٍ بلاغي كبير، وهو تحويل الفاعل إلى تمييز، وهذا أسلوب عربيٌّ بليغ، والمعنى: لو اطلعت عليهم ولم تكن علمت بقصتهم لحسبتهم لصوصا قطاعا للطريق، إذ هم عدد في كهف وكانت الكهوف مخابئ لقطاع الطريق، ففررت منهم وملكك الرعب من شرهم، وليس المراد الرعب من ذواتهم إذ ليس في ذواتهم ما يخالف خلق الناس، ولا الخوف من كونهم أمواتا إذ لم يكن الرعب من الأموات من خلال العرب، على أنه قد سبق وتحسبهم أيقاظا وهم رقود[2].

1 – الكهف: 18.

2 – ينظر التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 15/ 282.

2)-البنى الاسمية، ودلالاتها في السورة:

نعنى في هذا المطلب بالاسم من حيث هو قسم من أقسام الكلم العربية ونتناوله من جوانب متعددة، كالعدد، والجنس، ومن حيث الصيغة وكلها على صلة وطيدة بالمعنى.

ومن المعلوم أن الأسماء العربية تنقسم من حيث الجمود والاشتقاق إلى قسمين: الجامد وهو ما لم يؤخذ من غيره كأسماء الأجناس المحسوسة مثل رجل وشجر وبقر، وأسماء الأجناس المعنوية، كنصْر وفَهْم وضَرْب، والمشتق وهو ما أُخذ من غيره، كناصر من النصر[1].

2-1-الاسم ودلالة العدد:

ينقسم الاسم باعتبار دلالته العددية إلى مفرد ومثنى وجمع، وفي الجدول التالي إحصاء للأسماء في السورة موزعة على الأقسام السابقة:

	المفرد	المثنى	الجمع	جميع الأسماء
العدد	40	15	83	138
النسبة	28.98%	10.86%	60.14%	100 %

2-1-1-الاسم المفرد:

المفرد هو ما دل على واحد، كرجل أو امرأة، وقلم وكتاب، أو هو ما ليس مثنى أو مجموعا، ولا ملحقا بهما، ولا من الأسماء الستة، وقبل أن نلج البحث في جوانب الاسم ودلالة العدد، وفي جوانب التركيز الثنائي(المثنى)، نسجل ما ذهب

1- ينظر شذا العرف في فن الصرف، ص89.

إليه تمام حسان من أن العدد في منظومة الحساب لا يتطابق مع العدد في منظومة اللغة الصوتية[1].

" والمراد بالمفرد ما يدل على جزء معناه"[2]، وقد دل المفرد على حقيقة الإفراد في مواضع، خير ما يمثل لها لفظ الجلالة حينها وجد، لأن الإفراد فيه لفظ ومعنى، وأهم دلالاته التعبير عن التفرد والوحدانية في الذات الإلهية، وفي مواضع أخرى يدل على المثنى كلفظ"كلتا" من قوله تعالى ﴿**كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آَتَتْ أُكُلَهَا**﴾[3].

لأن كلتا الاسم مفرد اللفظ مثنى المعنى عند البصريين وأصله عند سيبويه كلوا[4] وأهم ما أفاده اللفظ هنا التناهي في الثقة أي الجنتين معا آتتا أكلها دون نقصان، كما تؤكد الجملة في قوله تعالى:﴿ **وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا** ﴾[5].

والمفرد أصل المثنى والجمع، وذهب إلى ذلك المبرد[6]، وابن الأنباري[7]، وابن يعيش[8]، والسيوطي[9] وآخرون غيرهم، جريا وراء أصلية الأنظمة النحوية وفروعيتها وهذا أمر طبيعي لأن الواحد في الحساب أصل الأرقام.

ولعل عبارة ابن الشجري ما يؤكد هذا المنحى حيث يقول:"قد يعبر عن المثنى بتكرار اللفظ كما في أعطيتك ألفا ألفا وقد صفحت لك عن جرم وجرم"[10].

1- مناهج البحث تمام حسان، ص220.

2- قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام، ص11.

3- الكهف 33.

4- روح المعاني، الألوسي، 274/152.

5- الكهف33

6- المقتضي، المبرد، ج103/2.

7- أسرار العربية، ابن الأنباري، ص98.

8- شرح المفصل، ابن يعيش، ج1، ص51.

9- همع الهوامه، السيوطي، ج1، ص22.

10- الأمالي الشجرية، ابن الشجري، ج2، ص 11، نقلا عن علم الصوت الصرفي، عبد القادر عبد الجليل، ص369.

وإشارته هنا إلى عطف المتماثلين، أو تكرار لفظهما، وهو دليل التوالي، ويبدو ذلك من أساليب اللغة العربية ولها وظائف دلالية تعجز صيغ المثنى أن تنهض بها، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم، في قوله تعالى:﴿ **كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾[1].

كما يستعمل الجمع بدلالة المفرد، أي يدل على الجمع، كما في قوله تعالى:﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ** ﴾[2] لأن كلمة بمعنى الكلام وهو كثير كثير في اللغة ومنه كلمة صفّا من قوله تعالى: ﴿ **وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا**﴾[3] حيث يدل لفظ(صفّا) على الصفوف المتعددة، حيث قيل فيها"الأنبياء –عليهم السلام– صف، والأولياء صف، وسائر المؤمنين صف، والمنافقون صف، والكافرون صف، وهم آخر الصفوف"[4].

لصيغة الإفراد معاني وأغراض أخرى، متنوعة منها اشتمال العدد والجنس وجاء في السورة الكريمة لقوله تعالى:﴿**وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**﴾[5] حيث يستوي في الولد الواحد الجمع والأنثى والمذكر، وقد قال ابن إسحاق:"إن المقصود مشركوا العرب في قولهم نحن نعبد الملائكة وهن بنات الله"[6].

وفي لفظ (ولدا) إيجاز بليغ لأن الله تعالى منزه عن الولد والأولاد، وعن الإناث والذكور.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا**﴾[7] فكلمة (أحد) كلمة مفردة دالة على العموم لأن"أحدا في معنى جميع الناس، على حكم النكرة

1- الفجر: 21-22.
2- الكهف: 5.
3- الكهف: 48.
4- روح المعاني، الألوسي، ج15، ص 310.
5- الكهف: 04.
6- تفسير ابن الكثير، ج7، ص 135.
7- الكهف: 19.

في سياق شبه النهي"[1] فالمحذور هو إطلاع أي من الناس يصرف النظر عن الجنس والعدد، ويتفق أيضا أثر إيقاعي لتساويه موسيقيا مع"أبدا" فاصلة الآية الموالية.

ونفس التعبير نجده في الآية الأخيرة وبشكل أعم: {ولا يشرك بعبادة ربه أحدا}[2] حيث يمتد مشمول"أحدا" إلى كل معبود غير الله حيا كان أم جمادا، ولها تأثير إيقاعي كذلك لتساويهما الموسيقي مع الفاصلة التي قبلها "مددا".

كما تدل صيغة الإفراد على غير العدد والجنس في قوله تعالى:﴿ **وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ**﴾[3] حيث اختلفت قراءات المفسرين لدلالة الإفراد في لفظ لفظ الجنة، فرأى الزمخشري أن الإفراد بعد التثنية لأنه"لا جنة له غيرها، ولا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون، فما ملكه في الدنيا هو جنته"[4] ورأى الألوسي أن معناه"كل ما هو جنة له يتمتع بها على أنه الإضافة للاستغراق والعموم"[5]ورأى ابن ابن حيان أن الإفراد للترتيب أي أنه دخل جنة قبل جنة[6].

وإلى مثل ذهب الطاهر بن عاشور حيث قال:"وجملة"دخل جنته" في موضع الحال من الضمير(قال)، أي دخل جنته بصاحبه...وإنما أفرد الحنة ضاوهما جنتان لأن الدخول إنما يكون لإحداها لأنه أول ما يدخل إنما يدخل إحداهما قبل أن ينتقل منها إلى الآخر، فما دخل إلاّ إحدى الجنتين[7] والذي نراه أنه لا تعارض بين هذه الآراء إذ لا يمتنع أنه دخل جنة قبل جنة وكلا الجنتين مما يتمتع به وأنه لاحظ له في جنة الآخرة لكن الذي نؤكد عليه في هذا المقام هو أن الذي تشترك

1- التحرير والتنوير، الزمخشري، ج2، ص390.
2- الكهف: 35.
3- روح المعاني، الألوسي، ج15، ص275.
4- الكشاف ، الزمخشري، ج2، ص340.
5- روح المعاني، الألوسي، ج15، ص275.
6- المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
7- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص320.

فيه كل الآراء تجاوز الدلالة المعجمية والعددية إلى دلالات إضافية مرادها تركيز المعنى في اللفظ الواحد وهو عين البلاغة والإعجاز.

2-1-2-الاسم المثنى:

المثنى هو لغة: أصله المعطوف، من ثنيت العود: إذا عطفته[1]، وفي الاصطلاح: لفظ دال على اثنين بزيادة في آخره، صالح للتجديد، وهو ضم اسم نكرة إلى مثله بشرط اتفاق اللفظين والمعنيين[2].

وهو "جعل الاسم القابل دليل اثنين، متفقين في اللفظ غالبا، وفي المعنى على الرأي بزيادة ألف في آخره دفعا وياء مفتوحا ما قبلها وجرا ونصبا تليها نون مكسورة"[3] والغرض منه الاختصار والإيجاز، والإغناء عن التكرار والعطف.

أما شروط الاسم الذي يراد تثنيته، فقد أجمع النحاة على ما يلي:

1- أن يكون الاسم مفردا أو صالحا للتثنية، فلا يثنى المثنى ولا المجموع، فلا يقال: رجلان، ولا رجالان.

2- أن يكون معربا لا مبنيا، نحو: من، كيف، متى، كم، وأما الذان وهذان، فليس بمثنين، وكذا مؤنثهما، وإنما هما على صورة المثنى كما يرى بعض العلماء.

3- أن يدل على اثنين متفقين لفظا ومعنى.

4- أن يكون منكرا فلا يثنى العلم باقيا على علميته.

5- أن يكون له مماثل فلا يثني الشمس والقمر العدم المماثلة، وقولهم القمران للشمس والقمر، فهو من باب التغليب.

1- مختار الصحاح، محمد بن أبي عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان، بيروت، 1986، ص 37.

2- المقرب، علي بن مومن المعروف بابن عصفور، تح: أحمد عبد الستار، ج2، ط1، ص40.

3- شرح التسهيل، جمال الدين بن مالك، تح: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي، هجر للطباعة والنشر، ط1، 1990، ص 59.

6- ألا يستغني بتثنيته غيره عن تثنيته، أي ألا توجد تثنية أخرى تغني عنه فإن وجدت فلا توجز التثنية نحو: سواء، وبعض لأنهم استغنوا عنهما ب(سي) و(جزء) فقالوا: سيان وجزءان[1] وغيرها مما أفاد به النحاة وذهبوا به مذاهب شتى.

أما عن كيفية التثنية، فإذا ثنيت الصحيح الآخر كرجل وامرأة، أو شبهه كضبي ودلو، أو المنقوص كالقاضي والداعي، ألحقت بآخره علامة التثنية بلا تغيير فيه، فتقول: رجلان، امرأتان، ضبيان، وإذا ثنيت مقصورا، فإن كان ثلاثيا قلبت ألفه واوا إن كان أصلها الواو وباء إن كان أصلها الياء فتقول في تثنية عصا: عصوان وفي تثنية فتى: فتيان.

وقد يكون للألف أصلان فيجوز فيها وجهان، وذلك كالرحى، فإنها يائية في لغة من قال: رحيت، واوية في لغة من قال: رحوت فيجوز أن يقال في تثنيتها: رحيان ورحوان[2].

أما تثنية المحذوف الآخر(اللام) فهو على قسمين، فالأول ما يرد إليه المحذوف عند الإضافة، رد إليه عند التثنية، نحو: أب وأخ تقول في تثنيتها: أبوان وأخوان، لأنك تقول في الإضافة أبوك، أخوك.

والثاني ما لا يرد أليه المحذوف عند الإضافة، فلا يرد إليه عند التثنية، بل يثنى على لفظه، فتقول في تثنية يد ودم، يدان ودمان[3].

أما عما ورد من المثنى في السورة الكريمة، فقد جاء على ثلاثة أنواع: الأول من مثنى اصطلاحي في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[4]، العينان التعبير عن الأعضاء(في المعنى)، وفي قوله أيضا: ﴿**وَنَسِيَ مَا**

1- ينظر شذا العرف في فن الصرف، ص: 122.
2- ينظر جامع الدروس العربية، الغلايين، ج14/2 وهداية السالك، ج97/1.
3- ينظر وضح المسالك، ج2/ص268، 271.
4- الكهف: 28.

قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾[1] و﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ**﴾[2] وفي هذه الآية التعبير هنا عن الذات، كما في قوله تعالى:﴿**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا**﴾[3] فالضمير المتصل عائد على موسى عليه السلام وفتاه، وكل الضمائر مرتبطة به في سياق القصة.

والتعبير عن الأعضاء في قوله تعالى:﴿ **وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ**﴾[4]، وفي بسط الذراعين معا تصوير لهيئة الكلب التي توحي بأنه قائم على الفتية يحرسهم، وهي صورة تشترك مع غيرها في وصف الهيبة والرعب الذي يحيط بالمكان، فتكون صيغة التثنية الرامزة إلى الحراسة قد أسهمت في المعنى المطلوب وهو الهيبة والرهبة من المكان ومن فيه.

كما جاء بالمثنى الاصطلاحي ما يدل في معناه يعبر عن الطبيعة في الألفاظ البحرين، السدين، الصدفين من الآيات(60، 93، 96) على الترتيب وكل هذه الألفاظ من مظاهر الطبيعة دلت على الخير والنعمة في الجنتين، والمعلم والتعيين المكاني مع الإشارة إلى الإيجاز في اجتماع الماءين المختلفين في لفظ البحرين، والحماية والدفاع في لفظ السدين والصدفين وفي كل هذا إشارة إلى وجود الاستفادة من الطبيعة المسخرة للإنسان، ويجمع هذه الاستعمالات أن الإنسان وهو ذات يمكنه الاستفادة من الطبيعة.

أما عن كلمة الجنتين في قوله تعالى:﴿**كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آَتَتْ أُكُلَهَا**﴾[5] فقد ذهب المفسرون إلى أن "أصل الجنة مفردة، وإنما ثني هنا للإشعار بأن لهما وجهين، والناظر عن يمينه وشماله يرى في كلتا الناحيتين ما يملئ عينيه قرة، وصدره مسرة"[6].

1- الكهف: 57
2- الكهف: 32
3- الكهف: 61
4- الكهف:18.
5- الكهف: 32
6- البرهان في علوم القرآن، الزكرشي، ج3، ص05.

وقوله تعالى أيضا:﴿**حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ**﴾[1]و(الصدفين): صدف جانب الجبل ونقل في الكشف أنه لا يقال للمنفرد صدف حتى يصادفه الآخر...فهو من الأسماء المتضايقة كالزوج وأمثاله"[2]

النوع الثاني: المثنى المعنوي، وقد جاء منه قوله تعالى:﴿**كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آَتَتْ أُكُلَهَا**﴾[3].

النوع الثالث: مثنى مجازي، وهو ما جاء تغليبا لأحد الشيئين، وقد جاء منه في السورة قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ**﴾[4] "وأبواه معنى أبوه أبوه وأمه، وفيه تغليب"[5]، وإنما كان أبواه مؤمنين من قبل التغليب لأن مفرديهما ليس متحدا في التذكير والتأنيث إذ أحد الأبوين أب والآخر أم، كما أحد المؤمنين مؤمن والآخر مؤمنة، فالأول منهما وصف للمذكر والآخر وصف للمؤنث فغلب المذكر لأنه الأصل، والأخف المؤنث لأنه الفرع وأثقل، وهذه هي عادة العرب في باب التغليب حيث تغلب الأخف على الأثقل.

والعدول عن الجمع من باب الخفة لفظا، والتقليل من شأن المضلين لفظ(عضد) في قوله تعالى:﴿**مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا** ﴾[6] السياق في هذه الآية كان عند المضلين فيقتضي التعبير بالجمع، ولكنه سبحانه عدل عن الجمع إلى المفرد ليحقق بذلك البلاغة القرآنية، فالمضمون على اختلاف توجهاتهم وكثرة عددهم فهم عند الله شأنهم قليل.

1- الكهف: 96.

2-روح المعاني، الألوسي، ج6، ص40.

3- الكهف: 32

4- الكهف: 80.

5- روح المعاني، الألوسي، ج10/16.

6- الكهف: 51.

ما ورد من المثنى في السورة الكريمة على ثلاثة أنواع أحدهما المثنى الإصطلاحي وهو مرفوع في الآيات(28، 57) ومنصوب في (32،42) ومجرور في (12، 33، 66، 82، 83، 86، 94) والثاني المعنوي في كلتا في الآية 32 والثالث المجازي في الآية(80).

2-1-3-الاسم المجموع (الجموع):

النوع الثالث في فصيلة العدد اللغوي(أعني المفرد والمثنى) هو الجمع لغة: من الجذر جمعَ و"الجيم ، الميم، والعين أصل واحد يدل على تضارم الشيء يقال جمعت الشيء جمعا"[1] أو هو ما دل على أكثر من اثنين بزيادة معينة في آخره(واو ونون) في حالة الرفع و(ياء نون) في حالة النصب والجر[2] وفي التنزيل العزيز: ﴿**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ**﴾[3] ويفيد هذا الجمع عطف المفردات المتماثلة في المعنى، كأن تقول (فاز العلويين) بدل من أن تقول: فاز علي وعلي وعلي و...، ويجمع الاسم جمعا سالما بشرطين:

العلم بشرط أن يكون علما لمذكر عاقل، فإن لم يكن علما فلا يجمع الجمع السالم نحو: رجل، وإن كان علما لكنه مؤنث لا يجمع أيضا نحو: زينب، التأنيث نحو: حمزة فلا يجمع إلا شذوذا، نحو: حمزون، وطلحون.

الصفة (مشتقة) ويكون على الشروط الآتية:

ليس على وزن (أفعل) ومؤنثة(فعلاء)، نحو:أخضر ومؤنثة (خضراء) ولا على (فعلان) ومؤنثة(فعلى)، نحو: سكران وسكرى، ولا يستوي فيه المذكر والمؤنث والصيغ التي يستوي فيها المذكر والمؤنث هي(مهذار) على وزن(مفعال) و(مفعل)

1- مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1، ص: 279، مادة الجمع
2- ينظر الكتاب، سيبويه، ج3، ص343.
3- الهمزة: 02.

نحو: (مخشم) و(فعول) بمعنى فاعل نحو: (صبور)، و(فعيل) بمعنى(مفعول) نحو(قتيل)[1].

وهذه النسب تمثل أعداد الجموع المذكورة في السورة الكريمة:

	جمع المذكر السالم	جمع المؤنث السالم	جمع التكسير	المجموع
العدد	23	18	42	83
النسبة	28%	22%	51%	100%

1-جمع مذكر السالم:

هو ما سلم بناء مفرده من التغيير عند الجمع، ودل على أكثر من اثنين بزيادة نون وياء في آخره، وهو مذكور بكثرة في السورة الكريمة، وهذا الجمع قياسي لا صعوبة في تحديده ومما لا شك فيه أ، تلك الزيادة التي تتمثل في الولو والنون في الرفع، والياء والنون في النصب والجر ضرب من الإيجاز في العربية حيث استغنت العرب بهذه الطريقة عن طول الكلام بتلك المعطوفات التي قد لا تنتهي عن قرب زمنا وعددا، فعللوا عن ذلك كراهية التطويل والتكرار ولا يجوز الرجوع إليه.

ومن شروطه أن الذي يجمع هذا الجمع إما يكون جامدا أو مشتقا، ولكل منهما شروط، فالجامد يشترط فيه أن يكون علما لمذكر عاقل، خاليا من أثناء، ليست على وزن أفعل الذي مؤنثه فعلاء، ولا فعلان الذي مؤنثه فعلى، ولا ممن يستوي فيه المذكر والمؤنث[2].

1- ينظر شذا العرف، في فن الصرف، ص71-72.

2- ينظر شذا العرف، ص: 100-101، وجامع الدروس العربية، الغلابين، ج2، ص18-19

ما ورد منه في السورة على سبيل المثال قوله تعالى:﴿ **وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا** ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا**﴾ [2].

والملاحظ أن جمع المذكر السالم الذي ورد في السورة قياس، لأنه كله صفة، أما الملحق به فقال ابن السراج: والمؤنث لا يجمع بالواو والنون إلا أن يكون منقوصا كمئة وثبة وقلة وكرة لابد أنها كانت هاء في الأصل فلذلك جاءت الواو والنون عوضا[3]. ونفهم قول ابن السراج أنه علة جمع (سنين) و(بنين) وغيرهما بالواو أو بالياء مع النون أنه عوض المحذوف، إذ الأصل في مفرد السنين (سنهة) أو (سنوة) وفي المفرد(البنين) بنو.

ما ورد منه في السورة:

(بالواو والنون) المجرمون 53/49، جاعلون8، مفسدون94، مواقعوها53، وبالياء والنون: مؤمنين2، الأولين55، مبشرين46، الأخسرين105، خالدين108، المرسلين56، مشفقين49، المضلين51، الظالمين50/29، الكافرين102/100، ماكنين3، منذرين56، متكئين31، والملحق به: البنون46، سنين25/11.

2-جمع المؤنث السالم:

يختلف عن جمع المذكر السالم بإضافة ألف وتاء في آخره وهو ما سلم بناء مفرد، عند الجمع، أو هو ما دل على أكثر من اثنتين بزيادة ألف وتاء على مفرده[4] واتفق الصرفيون على أن هذا الجمع يصاغ بزيادة ألف وتاء بلا تغيير في صورته وهيأته وبنائه، نحو: (زينب) (زينبات)، ويطرد هذا الجمع في المواضع الآتية:

1- الكهف: 08

2 -الكهف: 03

3- الأصول في النحو، ابن السراج، ج2، ص414.

4- ينظر شذا العرف في فن الصرف، ص71.

- أعلام إناث نحو: زينب وسعاد
- ما ختم بتاء التأنيث نحو: حمزة وطلحة ويستثني امرأة وشاة وشقة وأمة.
- ما ختم بألف التأنيث المقصورة أو الممدودة ك(حبلى) و(صحراء)، ويستثني ما كان على وزن(فعلى) مؤنث(فعلان)، ك(عطشى) و(عطشان) فإنه لا يجمع جمع مؤنث السالم.
- مصغر غير عاقل نحو: (بويب) و(نهير).
- وصف غير عاقل ك(شامخ) صفة للجبل.
- كل خماسي لم يسمع له جمع تكسير، نحو(حمام) و(سرادق)
- ما صدر ب(ابن) و(ذي) من أسماء ما لا يعقل نحو: (ابن آوى)، و(ذي القعدة)
- المصدر فوق ثلاثة أحرف ك(تعريف) و(إحسان).

والجمع المؤنث الوارد في السورة الكريمة: السماوات- آيات الصالحات- جنات-الباقيات-كلمات.

وقد ذكر في قوله تعال على سبيل المثال:﴿**وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ**﴾[1] وقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا**﴾ [2] فالصالحات في الآيتين جمع مؤنث السالم وهي جمع صالحة وهي من الأعمال الحسنة المستنتجة من الله عز وجل.

ما ورد في السورة: آيات(9، 17، 56، 57، 105، 106)، والباقيات(46)، الجنات(31، 107)، السماوات(14، 26، 51)، الصالحات(2، 30، 46، 107) الكلمات(27، 109) وكلها جاءت على قياس.

1- الكهف: 02.

2- الكهف :30.

3-جمع التكسير:

هو أحد ألوان الجموع، وهو ما دل على أكثر من اثنين مع تغير تركيب المفرد الصرفي عند الجمع والتكسير لغة من الفعل كسر و" الكاف والسين والراء أصل صحيح يدل على هشم الشيء وهضمه"[1]وعرفه ابن مالك اصطلاحا بقوله" الجمع جعل الاسم القابل دليل ما فوق الاثنين كما سبق بتغيير ظاهر أو مقدر وهو التكسير، أو بزيادة في الآخر مقدرا انفعالها لغير تعويض وهو الصحيح"[2].

وعرفه وحصنهم بقوله:"هو ما تغير فيه بناء واحد، لفظا بزيادة كصنو وصنوان، أو بنقص، كتخم وتخم، أو بتعديل شكل كأسد وأسد، أو بزيادة وتبديل شكل كرجل ورجال، أو بنقص وتبديل شكل كرجل ورجال، أو بنقص وتبديل شكل كرسول ورسل، أو بهن كغلام وغلمان أو تقديرا كهجان، فإن لفظه حال الإفراد كلفظه حال الجمع يقال: ناقة هجان ونوق هجان..."[3].

وجمع التكسير نوعان: جمع قلة ومدلوله بطريق الحقيقة الثلاثة فما فوقها إلى العشرة، وقد جمعها ابن مالك في ألفيته، وجمع كثرة وهي ما سوى الأبنية الأربعة المتقدمة، ومدلول الكثرة بطريق الحقيقة ما فوق العشرة إلى ما لا نهاية، وقيل: أن هذه الجموع من الثلاثة إلى ما لا نهاية وقيل قد يستعمل أحدهما مكان الآخر"[4]وسمي مكسرا على التشبيه بتكسير الأبنية ونحوها لأن تكسريها إنما إزالة التئام الأجزاء التي كانت لها قبلا، فأزيل النظم وفك النضد في هذا الجمع أيضا عما كان عليه وأكثر أبنية من هذا اللون من الجموع سماعية لأن طبيعة نسجها

1- معجم مقياس اللغة، ابن فارس، ج2، ص180

2- شرح التسهيل، ج1، ص103.

3- نفسه، ج1، ص103.

4-شرح ألفية ابن المالك، ابن الناظم، ص548.

تتطلب السماع وإن ذهب نحاة آخرون إلى أنها أوزان قياسية وتقع أوزان جمع التكسير بين دفتي القلة والكثرة[1].

وسندرج بعض النماذج في السورة الكريمة لجموع التكسير، ومنها ما جاء على وزن(أفعلة) في (آلهة) كما في قول الله تعالى:{هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة}قال الراغب:"وإله حقه ألا يجمع إذ لا معبود سواه لكن العرب لاعتقادهم أن هنا معبودات جمعوا فقالوا: الآلهة"[2].

أكنة في قوله تعالى:﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**﴾ [3] " ولكن ما يحفظ فيه الشيء، والجمع أكنة، نحو: غطاء وأغطية، وقالوا قلوبنا في أكنة، قيل معناه في غطاء عن تفهم ما تورده علينا"[4].

ومن جمع التكسير على وزن(أفعل)، ويطرد في كل اسم على زنة فعل بفتح الفاء وسكون العين، بشرط أن تكون العين الصحيحة، ومنها: أنفس وأعين، في قوله تعال:﴿ **مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ** ﴾[5] وقوله: ﴿**الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي**﴾[6]، قال ابن مالك:"فالقياس مالك:"فالقياس من(أفعل) ما كان جمعا لثلاثي مجرد، مفتوح التاء، ساكن العين، صحيحها، غير صفة"[7].

1- ينظر تصريف الأفعال والأسماء، فخر الدين تباوة، ص 160.
2- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأسفهاني، ص442.
3- الكهف: 57.
4- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تح: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة لبنان، ص442.
5- الكهف: 51.
6- الكهف: 101
7- شرح الشافية، ج4، ص1815.

وعليه فالأنفس قياسا لأن مفرده نفس توفر عليه شروط جمعه على أفعل، أما الأعين، فقد قال فيه ابن مالك:"وإن مان معتل العين لم يجمع على(أفعل) إلا أن يسمع فيحكم بشذوذه كأعين وأثوب"[1].

أشد في قوله تعالى:{فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما}[2]، قال أبو حيان:"أشدهما واحد جاء على بناء الجمع مثل آنك ولا نظير لهما ويقال: هو جمع لا واحد له من لفظه مثل أسال وأبابيل وعبابيد ومذاكير، وكان سيبويه يقول واحده شدة لأته يقال بلغ الغلام شدته ولكن لا يجمع فعله على أفعل"[3].

الجموع التي وردت على وزن أفعال، وقد ورد عند الصرفيين أن أفعال تدل على القلة، وقد وردت في السورة بكثرة(أعمال الآية 103، 105)، أعناب32، أفواه05، أنهار31، أيقاظ18.

أفواه في قوله تعالى:﴿ **مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآَبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**﴾[4] "فالأفواه جمع فم، وهو بوزن أفعال، لأن أصل فم فوه بفتحتين بوزن جمل، أو فيه بوزن ريح، الهاء من آخره لثقلها مع قلة حروف الكلمة بحيث لا يجد الناطق حرفا يعتمد عليه لسانه، ولأن ما قبلها حرف ثقيل وهو الواو المتحركة فلما بقيت الكلمة مختومة بواو المتحركة أبدلت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ولا يكون اسم على حرفين أحدهما تنوين فأبدلت الألف المنونة بحرف صحيح وهو الميم لأنها تشابه الواو التي هي الأصل في الكلمة لأنهما شفهيتان فصار فم ولا جمعوه ردوه إلى أصله"[5].

1- شرح الشافية، ج4، ص1815.
2- الكهف: 82
3- روح المعاني، الألوسي، ج16، ص14.
4- الكهف:05
5- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص253.

أيقاظ في قوله تعالى: ﴿**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ**﴾[1]، جمع على وزن(أفعال)، قال سيبويه: "إنهم كسروا أحرفا على أفعال، قالوا: نجد، أنجاد، يقظ، أيقاظ"[2]، "وأيقاظ جمع يقظ، كأنكاد في نكد"[3].

الجموع التي وردت على وزن فُعُل:

و"يطرد في فعول اسما أو صفة وفعيل وفعال وفعال اسمين غير مضاعفين ولا يقاس في فعال بالضم ويجب تسكين عينه إن كانت واوا كسوار سور"[4] مثل قوله تعالى:﴿**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾[5]، وقوله تعالى أيضا: ﴿**ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا**﴾ [6].

قيل في قوله:﴿**وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا**﴾ [7].

وعليه فالثمر والرسل وقبل قياس، لأن مفردهما: ثمار ورسول على فعول كعمود وفلوص، كما أن القبل قياس، لأن مفرده قبيل على وزن فعيل الجموع التي وردت على وزن: فعلة، مثل فتية في قوله تعالى:﴿ **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾[8].

1- الكهف: 18

2- الكتاب، سيبويه، ج2، ص206

3- البحر المحيط، أبوحيان الأندلسي، ج15، ص 124.

4- همع الهوامع، السيوطي، ج3، ص 312-313.

5- الكهف: 34.

6- الكهف: 106

7- الكهف: 55.

8- الكهف: 13.

الفتية جمع فتى، ولفظ الفتية يشعر بأنهم كانوا شبابا وهو على وزن فعلة، من جمع القلة أي وضع للعدد القليل[1].

جمع الكثرة، ومنه ما جاء على وزن(فعل في قوله تعالى:﴿ **وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ**﴾[2] وجاء على وزن(فعل) وزن(فعل) قوله:﴿ **آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ** ﴾[3] وهو جمع زبرة، ويجمع على وزن(فعل) كغرفة غرن، وذكر في اللسان أن زبر جمع زبور لا زبرة لأن فعلة لا تجمع فعل[4].

أما من الجموع التي وردت على وزن(فعائل) فقوله:﴿**مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾[5] الأرائك جمع أريكة وهي السرير، على على وزن(فعائل) وهو جمع لكل رباعي مؤنثة بمدة قبل آخره مختوما بالتاء أو مجرد منها[6] ويقول الألوسي:"الأرائك جمع أريكة وهو السرير في الحجلة فإن لم يكن فيها يسمى أريكة، الفرش في الحجال والظاهر أنها على سائر الأقوال العربية وحكى ابن الجوزي في فنون الأفنان أنها السرر بالحبشية وأياما كان الكلام على ما قاله بعض المحققين كتابة عن تنعمهم وترفههم فإن الاتكاء على الأرائك شأن المتنعمين المترفهين"[7].

والتي وردت على وزن(مفاعيل) مساكين في قوله: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ**﴾[8] قال الألوسي:"مساكين جمع مسكين بكسر الميم

1- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15،ص:270.
2- الكهف: 32
3- الكهف: 96.
4- ينظر اللسان ملدة ال(زبر).
5- الكهف: 31.
6- شرح الأنتموني، ج4، 147.
7- روح المعاني، الأولسي، ج15، ص275.
8- الكهف: 79.

الميم وفتحها، ويجمع على مساكين ومسكينون، وهو الضعيف العاجز وأخلاق مساكين عليهم من باب التغليب"[1].

2-2-الاسم ودلالة الجنس: المذكر والمؤنث

تنقسم الأسماء من حيث دلالة الجنس إلى أسماء مذكرة وأسماء مؤنثة، وأصل الاسم التنكير، وتؤكد المعاجم اللغوية على أن التذكير خلا من التأنيث، والجمع منه ذكور، وهو ما خلا من العلامات الثلاث التاء والألف والياء[2].

وأصل الاسم التذكير، لأنه ما من شيء إلا ويقع عليه اسم شيء، فقد جاء عن ابن يعيش:"أن أصل الاسم مذكرا، والتأنيث فرع من التذكير، ولكون التذكير هو الأصل، استغنى الاسم المذكر عن علامة تدل على التذكير"[3].

إحصاء الأسماء المذكرة والمؤنثة في السورة:

	المذكر	المؤنث	المجموع
العدد	101	108	209
النسبة	48%	52 %	100 %

أما المؤنث وهو فرع من المذكر"فلفظي وهو ما فيه علامات التأنيث، نحو: ضاربة، وحبلى، وحمراء، أو تقديرا التاء نحو: أرض وترجعها في التصغير كذلك بل يتعلق بالوضع والاصطلاح كالأرض والظلمة وغيرهما"[4]، وعلى من أن قدمى علماء اللغة قد ذكروا علامات التأنيث: الهاء، الألف المقصورة، والألف الممدودة، وأن قولهم"الهاء" إنها العلامة الأولى في التأنيث، تصبح(تاء) في الكلمة الواقعة في

1- روح المعاني، الألوسي، ج15، ص441.
2- ينظر علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص349.
3- شرح المفصل، ابن يعيش، ج3، ص352.
4- ينظر علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص353.

جملة في غير الوقف، هي واقفا، ليست ذات أصالة في التأنيث، لأنها موجودة في أسماء مذكرة، كالرواية والعلامة، وفي طائفة من أبنية جموع التكسير نحو الملائكة، والأساتذة وغيرها[1].

كما صنفت الألفاظ المؤنثة تصنيفا آخر هو:

أ-**المؤنث الحقيقي**: هو ما كان بإزائه ذكر من جنسه، سواء أكانت فيه علامة التأنيث كفاطمة وبشرى، أم لم تكن كزينب وسعاد.

ب-**المؤنث المجازي**: هو ما لم يكن بإزائه ذكر من جنسه، ختم بعلامة تأنيث كسفينة وصحيفة أو لم يختم نحو بئر وأرض.

ج-**المؤنث اللفظي**: ما اشتمل على علامة تأنيث كبشرى وعلياء وفاطمة، سواء أكان مؤنثا حقيقيا، أو معنويا كحمزة وطلحة.

د-**المؤنث الحكمي**: وهو ما كانت لفظه مذكرة، ولكنها اكتسبت التأنيث من حكم إعرابي[2].

علامات التأنيث:

مما لا شك فيه أن المؤنث لابد له من علامة تميزه من المذكر وهذه العلامة إما ظاهرة وإما مقدرة ولا تكون إلا تاء، وهي نوعان:

النوع الأول التاء، وهي الأصل في التأنيث بدليل توسع العرب فيهما حيث تدخل الأسماء مثل فاطمة، والأفعال نحو قامت هند، وتقوم هند، والحروف نحو ثمت ورتب، كما أنها لا تقدر من علامتي التأنيث سواها وشيء آخر وهو أنهم توسعوا فيها حيث جعلوها مع دلالتها على التأنيث تكون في الأمور التالية:

1- ينظر علم الصرف الصوتي،عبد القادر عبد الجليل،ص353

2- ينظر تصريف الأسماء والأفعال، فخر الدين قباوة، ص178.

الأول: دخولها على الصفات فرقا بين المذكر والمؤنث، وذلك إذا كانت جارية على الأفعال نحو قائم وقائمة وضارب وضاربة[1].

الثاني: دخولها على اسمين غير وصفين للفرق بين المذكر والمؤنث نحو قولهم: امرؤ وامرأة.

الثالث: دخولها على الاسم فرقا بين الجمع والواحد نحو قولهم: ثمر وثمرة وبقر وبقرة.

الرابع: ما لحقته التاء لتنكير اللفظ نحو غرفة وقرية وبلدة.

الخامس: ما لحقته التاء من صفات المذكر للمبالغة في الوصف لا للفرق بين المذكر والمؤنث نحو قولهم: رجل علامة[2].

والنوع الثاني: الألف وهي إما مقصورة وإما ممدودة وهذه الألف لا تخرج عن دائرة الأسماء فلا تلحق الأفعال ولا الحروف كما لا تدل على شيء غير التأنيث مما جاءت له التاء في العربية مثالا التأنيث بالألف المقصورة والممدودة مثل ليلى والصحراء، غير أن العلماء جعلوا التأنيث بالألف أبلغ من التأنيث بالتاء حيث الألف تقوم مقام التأنيثين[3].

كما أن الألف أبلغ في منع الصرف من التاء حيث تقوم الألف مقام العلتين ويمنع مصحوبها نكرة أو معرفة بينما التاء لا تمنع الصرف إلا بشرط اللزوم والألف المقصورة أوزان وممدودة أخرى لم نذكرها لعدم الإطالة.

ما ورد في السورة من المؤنث:

1- ينظر هداية السالك،ج1، ص351، 352.

2- ينظر المصدر نفسه.

3- ينظر شرح المفصل، ابن يعيش، ج59/1.

لم يرد في السورة مؤنث حقيقي، والذي ورد فيها مؤنث مجازي، وهو إما له علامة، كالألف المقصورة والألف الممدودة، الهاء، وإما لا علامة له، وما يذكر ويؤنث.

1- المؤنث المجازي:

1-ما له علامة:

1-الألف المقصورة: الحسنى88-6 الدنيا: 104/46/45/28.

2-الألف الممدودة، الذكاء:98.

3-تاء التأنيث: لأرائك: 31-6 الآيات: 106/105/57/56/17/9، البارزة:47، الباقيات:46، الثلاثة: 22، الجنة:40/43/35، والجنتين:33/32، الجنات:107/31، الحامئة: 86، الحياة:104/46/45/28، الخامسة: 22، الخاوية:42، الرحم:98/82/25/58/16/10، الزبر:96، الزكاة:81، الزكية:74، الزينة:46/28/07، السبعة:22، السفينة:79/71، السنة:55، السنين:25/11، الساعة:36/21، الصخرة:36، الصغيرة:49، الصالحات:107/46/30/2، الصور:99، العبادة:110، العدة:22، الغداة:28، الفئة:43، الفجوة:17، القرية:77، القرى:59، القائمة:36، القيامة: 105، القوة:95/39، الكبيرة:49، الكلمة:05، الكلمات:109/27، المائدة:25، المدينة:82/19، المرة:48، الملة:20، النطفة:97، الولاية: 44، الويلة:49.

2/ ما ليس له علامة:

الإذن:157/11، الأرض:95/84/51/47/45/26/14/7، الجن:50، جهنم:106/102/100، الرياح:45، الشمس:90/86/17،

الشمال:18/17، العقد:44، العين:86، العينان:28، الأعين:101، الكفين:24، اليدان:57/5، اليمين:18/17.

3- البنى الوصفية ودلالاتها في السورة(المشتقات):

الاشتقاق ظاهرة لغوية تميزت بها اللغة العربية قديما وحديثا، حيث وجدوا فيها وسيلة لنماء مفردات اللغة وصياغتها، وكما هو معلوم فإن أول من رمى البذرة الأولى في هذا الحقل، وتوسع هو أبو الفتح عثمان بن جني، حيث أورد في باب الاشتقاق الأكبر قوله:"هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا غير أن أبا علي-رحمه الله- كان يستعين به ويخلد إليه مع إعواز الاشتقاق الأصغر، لكنه مع هذا لم يسمه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة ويستريح إليه ويتعلل به، وإنما هذا التقليب لنا نحن"[1].

ونستنتج من هذا النص أن ظاهرة الاشتقاق كانت معروفة لدى القدامى، وأنهم لجؤوا إليها عند الضرورة، حيث قال السيوطي:"أجمع أهل اللغة-إلاّ من شذّ منهم- أن للغة العرب قياسا، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، واسم الجر مشتق من الجنتان، وأن الجيم والنون تدلان أبدا على الستر، تقول العرب للدرع، جنة، وأجنة الليل، وهذا جنين، أي هو في بطن أمه، وأن الإنس من الظهور يقولون، آنست الشيء: أبصرته، وعلى هذا سائر كلام العرب"[2] هذه الدقة في الملاحظة أدت باللغويين العرب القدماء إلى جمع كل تصاريف الكلمة تحت معنى واحد يضمها، مع اختلاف الكلمات المشتقة في معان فرعية، وهكذا عرفوا الاشتقاق لغة بأنه من "شق-يشق- شقا-شقوقا...شق الصبح إذ اطلع

1- الخصائص، بني جني، ج1، ص133.

2- المزهر في علوم اللغة، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرحه أحمد جاد المولى وآخرون، بيروت، دار الجيل، وط، دت، ج1، ص345، 346.

وشق البيت إذا خرج من الأرض ومنه فعل اشتق الشيء على وزن افتعل، بمعنى أخذ شقه، واشتق الكلمة من الكلمة لذا أخرجها منها"[1].

وهو في الاصطلاح" أخذ صيغة من صيغة أخرى مع اتفاقها معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها البدل بالثانية على معنى الأصل بزيارة مفيدة لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة، كضارب من ضرب، وحذر من حذر وطريقة معرفته تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة أطراد أو حروفا غالبا: كضرب فإنه دال على مطلق الضرب فقط أما ضارب، ومضروب، ويضرب، واضرب، فكلها أكثر دلالة وأكثر حروفا، وضرب الماضي مساو حروفا وأكثر دلالة، وكلها مشتركة في"ضرب" وفي هيئة تركيبها، وهذا هو الاشتقاق الأصغر به"[2] وبعضهم يعرف الاشتقاق بالمعنى العلمي"بأن تجد بين اللفظين تناسبا في المعنى وترتيب الحروف فترد أحدهما إلى الآخر. والاشتقاق بالمعنى العملي: وهو أن تأخذ من اللفظ ما يناسبه في تركيب الحروف فترد أحدهما إلى الآخر"[3].

يختص الاشتقاق إذا بالبحث في أصول الكلمات وفروعها، والعلاقة بينهما، وطرق توليد بعضها من بعض، وما يبدو منه صرخا، إنما مرده الارتباط الوطيد بين الصرف والاشتقاق، ومع ذلك يوجد فرق فاصل بين الطرفين، فكل واحد منهما له خصوصياته.

أقسامه وأنواعه:

يقسم ابن الجني الاشتقاق إلى قسمين حيث يقول:"الاشتقاق عندي على ضربين كبير وصغير، فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم كأن نأخذ أصلا من الأصول فتتقراه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه، وذلك

1-لسان العرب مادة شقق.

2-المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ج1، ص346،347.

3-علم أصول الفقه، محمد عبد الله أبو النجا، مؤسسة النشر والتوزيع ط4-(دت)، ص22.

كترتيب(س،ل،م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو: سلم يسلم وسالم وسلما وسلمى والسلامة والسليم"[1] وما يفهم من هذا القول أن هذا النوع أكثر انتشارا والسبيل إلى المعرفة أخذ كلمة من أخرى مع تغيير في الصيغة وتشابه بينهما في المعنى، واتفاق في عدد الأحرف الأصلية وترتيبها.

والاشتقاق الصغير هو الذي يتعلق بالصرف ويعالجه اللغويون في كتبهم، فيسميه بعض المحدثين"الاشتقاق الصرفي" وبعضهم سماه الاشتقاق العام، ولشهرته يطلق عليه الاشتقاق دون أي وصف[2].

وأما الاشتقاق الأكبر الذي هو أقل استخداما من سابقيه فهو ما كان التناسب فيه بين المأخوذ والمأخوذ منه في المعنى وأكثر الحروف، وكان باقي الحروف من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين نحو ثلب وثلم، ونعق ونهق، وهتن وهتل، ومدح ومده[3]، ويسمونه الإبدال اللغوي[4]، لأنه يعتمد أساسا عليه وطريقته تختلف عن الإبدال الصرفي.

أما أصل الاشتقاق قد هب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل وقوع عليه، نحو:(ضرب ضربا) و(قام قياما) لأن رتبة العامل قبل رتبة المعمول، والمصدر يذكر تأكيدا للفعل، ...ورتبة المؤكد قبل رتبة المؤكد، تله قد نجد أفعالا لا مصدر لها: كنعم-بئس-عسى-ليس-حبذا، فلو يكون المصدر فرعا لا أصلا لما خلا من هذه الأفعال لاستحالة وجود الفرع من غير الأصل[5].

1- الخصائص، ابن جني، ج2، ص134.

2- ينظر المصدر نفسه، ج2، ص146.

3- دروس في التصريف، محمد محي الدين عبد الحميد، ص:10-11.

4- ينظر المرجع نفسه، ص10، 11.

5- ينظر الإنصاف في مسائل الخلاق بين النحو بين المصريين والكوفيين، ابن الأنباري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد-مطبعة السعادة-القاهرة، ج1، ط4، 1961، ص235-239.

وذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه، استنادا إلى جملة من التعليلات منها أن المصدر يدل على زمان معين، فكما أن المطلق أصل المقيد، فكذلك المصدر أصل الفعل...والمصدر أعم، والاسم يقوم بنفسه ويستغنى عن الفعل، وأما الفعل فإنه لا يقوم بنفسه ويفتقر إلى الاسم...

وأن المصدر هو الأصل لأن له مثالا واحدا نحو الضرب، والقتل والفعل له أمثلة مختلفة...والمصدر ليس مشتق من الفعل لأنه لو كان مشتقا منه سكان يجب أن يجري على سنن في القياس، ولم يختلف كما لم تختلف أسماء الفاعلين والمفعولين، فلما اختلف المصدر اختلاف الأجناس كالرجل والثوب...دلّ على أنه غير مشتق من الفعل[1].

ولعل أفضل سبيل للخروج من هذا الخلاف الشبيه بجدلية نشأة اللغة، ما ذهب إليه تمام حسان من المحدثين، الذي رأى أن الجذر الثلاثي هو أصل الكلمة، فالبصريون نظروا إلى أن المصدر أصل الاشتقاق بحكم أنه لا يدل على معنى آخر إلى جانب الحدث، وأما الكوفيون فكانت نظرتهم من ناحية التجرد والزيادة، فالمجرد عندهم من الصيغ الأقرب الأصالة من المزيد، وما وجدوا ذلك إلا في الفعل الماضي الثلاثي المستند إلى المفرد الغائب وبذلك اعتبروه أصل الاشتقاق على صنيع المعجميين، فالمصدر مشتق منها، والفعل الماضي مشتق منها كذلك، وينتج عن هذا الفهم الجديد للاشتقاق، تقسيم الكلمات المشتقة إلى منصرفة وجامدة[2]، كما أن المعاجم اللغوية القديمة قد انشقت على هذا الأساس، فالجذر ثلاثيا كان أو رباعيا هو أصل الكلمة كما صنفت في المعاجم اللغوية.

وصيغ المشتقات التي سأتناولها بالدراسة هي (اسم الفاعل صيغ المبالغة، الصفة المشبهة، اسم المفعول، اسما الزمان والمكان، اسم التفضيل.

1- ينظر المصدر نفسه، ج1، ص235-239.

2- ينظر العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، (دط، دت)، ص168، 169.

جدول إحصائي للمشتقات(الأوصاف) المزمع دراستها:

	اسم الفاعل	اسم المفعول	الصفة المشبهة	اسم التفضيل	اسم المكان	اسم الزمان	جميع الأوصاف
العدد	39	06	25	27	12	04	113
النسبة	35%	5%	22%	24%	11%	4%	100%

3-1-اسم الفاعل:

هو اسم مشتق يدل على صفة فيها حدث غير ثابت، وبتعريف آخر"هو صفة تشتق من مصدر الفعل المتصرف المبني للمعلوم، للدلالة على من وقع منه الفعل حدوثا لا ثبوتا مثل(دافع)، (سائر)و(منطلق)، (مكرم)، (مجتدب)، (مستغفر)"[1] والملاحظ من هذا التعريف أن اسم الفاعل اسم مشتق يدل على صفة فيها حدث غير ثابت، وأن يكون من فعل مبني للمعلوم، ويدل"أيضا على من وقع منه الفعل حدوثا لا ثبوتا، بمعنى هو الذي يوقع الفعل وأن الفعل يقع منه، وأما التعريف الثاني الذي نورده لا يختلف عن الأول بكثير إلا أنه يركز على جانب الإعمال من جهة، والجانب المعنوي من جهة أخرى، ويحدد بين أنواع المشتقات الأصلية الأخرى التي تندرج تحت الاشتقاق الأصغر كاسم المفعول واسم التفضيل.

فاسم الفاعل ما اشتق من فعل لمن قام به على معنى الحدوث كضارب، فإن صغر أو وصف لم يعمل" فإن كان صلة (ال) عمل مطلقا، وإلا عمل وإن كان حالا أو استقبالا واعتمد على نفي أو استفهام أو مخبر عنه أو موصوف"[2] إذا يحدد عمل اسم الفاعل فيعمل عمل فعله سواء أكان محلي (ال) أم كان مضافا أم مجردا من(ال) والإضافة.

1- تصريف الأسماء والأفعال، فخر الدين قباوة، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ط2، 1981، ص 156.

2- شرح شذور الذهب في معرفة كلاملا العرب، ابن هشام الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت،(دط)، 1988، ص360.

ومع دلالة اسم الفاعل على التجدد والحدوث فهو يقع في موقع وسط بين الفعل والصفة المشبهة، فهو أدوم وأثبت من الفعل، ولكنه لا يوفي إلا ثبوت الصفة المشبهة مثل هادم، وقد يأتي من فعل لازم مثل جالس، وهو قليل لأن الأصل في اسم الفاعل أن يضع لما وقع الفعل منه على سواه، وهذا ما تكون عليه حالة التعدي[1].

ويصاغ من مصدر الماضي الثلاثي المتصرف على وزن فاعل بأن تأتي بهذا المصدر مهما كان وزنه، وندخل عليه من التغيير ما يجعله على وزن فاعل، ولا فرق في الماضي بين المتعدي واللازم ولا بين مفتوح العين ولا مكسورها ومضمومها[2] ويصاغ من غير الثلاثي على وزن مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة إن لم تكن مضمومة، وكسر ما قبل الآخر مطلقا، سواء كان مكسورا في المضارع، أم مفتوحا[3].

وتستعمل صيغ الفاعل لدلالات متنوعة فهي لا تقتصر على دلالة اسم الفاعل فحسب، وإنما تدل على الصفة المشبهة، واسم المفعول والاسم المنسوب والدلالة على الاسم فقط المجرد عن الحدث.

والملاحظ أنه اسم الفاعل من المشتقات التي يقترن به التنوين في كثير من الأحيان، ولكن ضمن غايات يحققها دلاليا مثل الدلالة المعنوية والجمالية الصوتية، وقد وردت صيغة اسم الفاعل في السورة الكريمة 39 مرة، وهذا التكرار له دلالة متميزة إذ أنه صيغة اسم الفاعل أمام اختيار بين الاسمية والفعلية وبين الثبات واللزوم، وبين التجدد والتحول، ونلمس ذلك من خلال الدراسة.

1- ينظر علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص287.

2- ينظر التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1973، ص77.

3- ينظر المصدر نفسه، ص78.

فاسم الفاعل(المؤمنين) في قوله تعالى: ﴿**وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ**﴾ [1] أفاد التعبير عن الثبات، وهي صلة الإيمان واستقرارها في قلوب المؤمنين بحيث لا ينتظر أي افتراق بين قلب المؤمن وصفة الإيمان، لذلك كلن لهم ما ذكر من وافر الجزاء.

وقوله تعالى: ﴿**وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ**﴾ [2] الآية تعرض صورة الفتية وهم في الكهف، أما اسم الفاعل(باسط) فيدل على أنه يعمل عمل الفعل، وهذا ما يقر به من دلالة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والتغير، لكن الاسم الفاعل يدل على الثبوت والاستمرار،"فلو قيل يبسط لم يؤد الغرض لأنه يؤذن بمزاولة الكلب البسط، وأنه يتجدد له شيء، فباسط أشعر بثبوت الصفة"[3]، وفي الآية الكريمة أيضا دلالة على الثبات واللزوم.

ويدل اسم الفاعل على المبالغة في قوله: ﴿**سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا**﴾[4] هو تعبير يعكس ثقة موسى عليه السلام في نفسه لأن"التعبير بالفعل يشير إلى حصول صبر ظاهري"[5]، والصبر الظاهري يصحبه الاستعان وليس ذلك ما قصده موسى عليه السلام.

كما يعبر به عن الاستقبال في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا**﴾ [6] فالله عز وجل يغير حال الدنيا من حال، فتناسب اسم الفاعل العامل مع الصورة والتعبير أكثر من غيره من الصيغ اللغوية، وقوله أيضا:﴿**وَلَا**

1- الكهف: 2.

2- الكهف: 18.

3- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج2، 1974، ص376.

4-الكهف: 69.

5- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، 372.

6- الكهف: 08

تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ [1]، أي"إني فاعل ذلك الشيء غدا أي فيما يستقبل من الزمان، ولم ير الغد خاصة" فاسم الفاعل هنا يدل على عدم التأكد من حصول الفعل في المستقبل لدى المتكلم ولا يمكن له ذلك، ولهذا فإن الله تعالى ينهى العبد عن مثل هذه الصيغة ليجعل أمده مرتبطا بمشيئة الله.

أما قوله تعالى: ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ**﴾ [2]، باخع مشتق"من بخع يبخع بخعا وبخوعا أصلك من شدة الوجد وأصله الجهد، وقيل: بخع الأرض أي جهدها حتى أخذ ما فيها من أموال الملوك، وقال الكسائي بخع الأرض بالزراعة جعلها ضعيفة بسبب متابعة الحراثة"[3] والبخع"قتل النفس غما"[4].

وقد اختلف في اشتقاقه فقيل من البخاع بالباء الموحدة(بوزن كتاب) وهو عرف مستبطن في القفا فإذا بلغ الذابح النخاع فذلك أعمق الذبح"[5].

3-2-اسم المفعول:

هو اسم مشتق من الفعل أو مصدر المضارع المتصرف المتعدي المبني للمجهول، ولا يصاغ من اللازم إلا مع ظرف أو الجار والمجرور ويدل على وصف من يقع عليه الفعل[6]، وهو يدل على أمرين ما وقع عليه الفعل كمكتوب ومستغفر، فهذه الكلمات دلت على ما يتصف بالفعل على سبيل المفعولية من سياقها، كما دلت

1- الكهف:23.

2- الكهف:06

3- البحر المحيط، ج6، ص91

4- تفسير مفردات القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، ط2، 1984.

5- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص254.

6- ينظر علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص294.

على حدث مؤقت وقع وانتهى، أو مستمر الوقوع وسينتهي، يدل على حدث مؤقت وقع وانتهى[1].

وقد تستخدم صيغة اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل من حيث دلالته على الحدوث والثبوت، فهو يدل على الحدوث إذا قيس بالفعل وعلى الثبوت إذا قيس بالصفة المشبهة، ويصاغ اسم المفعول من الثلاثي المجرد على وزن مفعول مثل مدروس، كما يصاغ من غير الثلاثي على وزن الفعل المضارع المبني للمجهول مع إبدال حرف مضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبلها الآخر[2].

وقد وردت صيغة اسم المفعول في السورة مثلا مرات من الثلاثي المزيد بحرف اثنان، ومن الثلاثي المزيد بحرفين أربعة.

مثل قوله تعالى: ﴿**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**﴾ [3] وفيها إشارة صريحة إلى أن وظيفة الرسل هي التبليغ بالبشارة أو الإنذار لا غير وفي ذلك تعريض بمن سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن خبر الفتية والروح والرجل الطواف لأنهم جهلوا أو تجاهلوا الغاية التي بعث من أجلها [4].

3-3-الصفة المشبهة:

هي اسم مشتق من الفعل الثلاثي اللازم، للدلالة على معنى اسم الفاعل على وجه الثبوت[5] ولعل سبب نعتها بالمشبهة اختصارا من التشبيه باسم الفاعل، وبالتوالي الاستعمال وكثرته حذفت نهاية المصطلح، والفرق بينهما وبين اسم الفاعل أنها تدل على صفة ثابتة لصاحبها، وتدل على زمان معين، لأنها ملازمة للثبوت، وهذا مما لا يحتاج إلى زمن عكس الصفات العارضة ولكن إذا أريد

1- ينظر تصريف الأسماء والأفعال، فخر الدين قباوة، ص215.
2- ينظر علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص294.
3- الكهف: 56.
4- ينظر التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، 242، 243.
5- ينظر تصريف الأسماء والأفعال فخر الدين قباوة، ص167-168.

بالصفة الحدوث والتجدد[1]، لا الثبوت والاستقرار قرنت بزمان، وهذا مما يساعد على بناء الدلالة.

وللصفة المشبهة أوزان عدة ذكرها سيبويه والأستراباذي منها: فعْلٌ، فَعُلَ، وافْعَلُ، فعلان، فُعَلٌ، فعيل، فَعْلٌ، وفيْعَلٌ، وفَعيلٌ[2].

وهذه الصيغ المتعددة تجعلها صالحة للبس من حيث المبنى مع اسم لفاعل، وصيغة المبالغة[3] ويجدر الإشارة إلى أن فَعلَ وفَعُلَ هما الأكثر ورودا.

وبعد تقصينا لهذه الصيغة في السورة وجدناها وردت خمس وعشرين مرة، واشتقت من الثلاثي المجدد ثمانية وعشرين مرة، والثلاثي المزيد بحرف ستة، ومن لثلاثي المزيد بحرف مرة واحدة، وتنوعت صيغها وتعددت، فمن صيغة(أفعل) قوله تعالى: ﴿**لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ [4](أحسن) قوله: ﴿**أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا**﴾[5]حسنا.، ومن صيغة فعل قوله:﴿ **تَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُود**﴾[6]المفرد يقظ والصفة الثانية: رقود= فعول.

وجاءت الصفة المشبهة من صيغة"فعيل" قوله: ﴿**فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ**﴾ [7]، وأصبح هشيما معناه أصبح في القرآن الكريم على وجهين: الصباح وصار"[8]فإذا كانت الآية السالفة ﴿ **فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ** ﴾تشيد إلى معنى

1- ينظر علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص299.
2- ينظر الكتاب، سيبويه، ج2، ص:100، وشرح الشافية، الأستراباذي، ج1، ص143.
3- ينظر العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص:200.
4- الكهف: 07.
5- الكهف:02
6- الكهف:18
7- الكهف:45
8- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها، أبو عبد الله الحسين بن محمد، الدامغي، تح: فاطمة يوسف الخيمي ، مكتبة الفرادي، دمشق، ط1، 1998، ص119.

الصباح، ها هي مستعملة في هذه الآية بمعنى صار و"الاستعمال الشائع في القرآن الكريم"[1].

وهشيم اسم على وزن فعيل يراد به معنى مفعول أي مهشوما"محطما، وتذروه الرياح من فعل ذرى يذري ذرية وقد ورد في الثرآن الكريم على سبعة أوجه: الولد- الآباء- الخلق- النفس- النملة- خلة- الترك"[2].

كما جاء دائما على صيغة فعيل في قوله: ﴿ **قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا**﴾[3]، الصفة زكية على وزن فعيلة، ومذكرها زكي على وزن فعيل وهذا الوزن كثير الورود في القرآن، الكريم، وجلها تدخل ضمن أسماء الله الحسنى وصفاته نحو:قريب، جليل، حليم، عظيم، ...ومعناها هي الطاهرة لذنوب وهي صفة مشبهة دالة على الثبوت، وقرأها بعضهم زاكية، لكن الألوسي يعد الأولى أبلغ، لدلالتها على الثبوت مع كون فعيل المحول إلى فاعل يدل على المبالغة، وذكر أن الفرق بين زكية وزاكية، بأن الزاكية بالألف هي التي لم تذنب قط، وزكية بدون ألف هي التي أذنبت ثم غفرت، وهو من فعل زكا يزكو[4].

ومثله أيضا قوله تعالى: ﴿ **قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ**﴾ [5] فقليل صفة مشبهة على وزن فعيل،"وقد سند اسم التفضيل إلى الله تعالى يفيد أن علم الله بعدتهم هو العلم الكامل وأن علم غيره ظن"[6]، و"قال ابن العباس رضي الله عنه: حين وتعت

1- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مج15، ص331.
2- الوجوه والنظائر، الدامغي، ص:335.
3- الكهف:22.
4- يتظر روح المعاني، الألوسيي، ج15، 426.
5- الكهف 22.
6- التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، ج15، ص291.

وتعت الواو انقطعت العدة أي: لم ينف بعدها عدة عاد يلتفت إليها، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات"[1].

وعد عيد القادر عبد الجليل، فعيل، من الأوزان السماعية للصلة المشبهة وأنها تصاغ غالبا من الفعل الثلاثي اللازم على وزن فعُل ومثل لها بكريم من كرُم، وشريف من شرف، وجميل من جمُل[2]. وكذلك أورد الشيخ الغيلاني في باب الصلة المشبهة قوله:"يأتي فعيل غالبا من فعُل يفعل المضموم العين كالكريم، وعظيم، حقير، سميع، حليم، رئيس..."[3].

3-4-اسم التفضيل:

هو اسم يصاغ لدلالة على شيئين اشتركا في صفة واحدة وزاد أحدهما فيها عن الآخر في تلك الصفة، وهو مشتق من فعل أي حدث لموصوف قام به الفاعل أو وقع عليه بزيادة على غيره في أصل ذلك[4]، ولم يقدم السيبويه دقيقا له بل اكتفى اكتفى بإعطاء وزنه، مع التمثيل لمسائله وأحكامه، فقال:"هذا باب ما جرى من الأسماء التي تكون صفة مجرى الأسماء التي لا تكون صفة، وذلك أفعل منه...وأفعل شيء نحو: خير شيء وأفضل شيء، وأفعل ما يكون وأفعل منك"[5] ونستنتج مما سبق أنه مشتق من المشتقات يأتي لتفضيل الموصوف على مشاركين في صفة معينة، وله صيغة واحدة وهي أفعل، ووظيفته الدلالية مستوحاة من مبناه الصرفي، والملاحظ في هذه الصيغة أنها تشابه صيغة التعجب: ما أفعله- أفعل به، وهذا راجع إلى اتفاقهما في اللفظ وتقاربهما في المعنى. فمن جهة اللفظ يكون الاتفاق من حيث بناء صيغة أفعل من فعل ثلاثي، ولا يجوز من غيره ولا للتفضيل

1- الكشاف، الزمخشري، ج2، 713.
2- علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص306.
3- جامع الدروس العربية، الغيلاني، ج1، ص186.
4- ينظر تصريف الأسماء والأفعال، فخر الدين قباوة، ص157.
5- الكتاب، سيبويه، ج2، ص24.

أو التعجب. وأما التقارب من جهة المعنى أنهما يؤديان معنى التفضيل، فقولنا ما أفصح هذا الرجل، فإننا نبين فصاحته الكلامية عن غيره من الناس[1].

وقد كثر ذكر اسم التفضيل في سورة الكهف، إذ ورد سبعة وعشرين مرة، ويعود ذلك لدواع تنبيهنا من خلال الأمثلة من السورة المكية، أي في مرحلة الدعوة الأولى، لذا كان أسلوب القرآن الكريم في الإقناع و التأثير يستخدم ضمن الأساليب(التفضيل) وهو عقد مقارنة بين طرفين يختار العقل السليم الخير والأفضل في قوله تعالى:﴿**فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا**﴾[2] فعلم الله لا يوازيه علم ولا يقاربه، ونلاحظ تكرار هذه الصيغة في مواقف متعددة، مثل ذلك قوله أيضا: ﴿ **قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾ [3] اسند"اسم التفضيل إلى الله تعالى ويفيد بأن علم الله بعدتهم هو العلم الكامل وأن علم غيره ظن"[4]، وفي قوله أيضا: ﴿**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [5] وهذا التكرار يرتبط ارتباطا عميقا ووثيقا وعميقا على الفكرة العامة في السورة المتمركزة حول العلم والتعليم، إذ بدأت الكتاب على عبده تعليما له وتشريفا لمقامه أمام من يدعون إلها مع الله وينسبون له ظلما الولد.

ولقد كشف اسم التفضيل جانبا من نفسية الرجل صاحب الجنتين في قوله تعالى:﴿ **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾[6] يلاحظ في الآية الكريمة تكرار صيغة اسم التفضيل(أكثر، أعز) مع تنوع

1- ينظر النحو الوافي، عباس حسن، ج3، ص344.
2- الكهف: 21
3- الكهف:22
4- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج1، ص291.
5- الكهف 26.
6- الكهف:34.

في التمييز مالا ونفرا، فهي من جانب نفس متعلقة بمتاع الدنيا ويريد أن يكثر من التمتع بها فأطال الكلام عنها.

3-5-اسما الزمان والمكان:

يمثل اسما الزمان والمكان تنوعا صرفيا خامسا، تنهض الدلالة فيه على واقع صرفي، ويمثل كل واحد منهما جانبا من المشتقات التي تفيد الدلالة على وقوع الفعل في الزمان أو المكان، وهذه الصفة الصرفية لا تناظر مما يصطلح عليه في التركيب النظمي(الظرف) أو اسم الزمان والمكان[1]، وهما اسمان يصاغان من المصدر الأصلي للفعل بقصد الدلالة على أمرين معا، هما المعنى المجدد الذي يدل عليه ذلك المصدر، مزيدا عليه الدلالة على الزمان وقوعه أو مكان وقوعه[2] مثل اتجه مغرب الشمس ومطلع القمر ومنصرف الشغيلة، وقابلته مغرب الشمس ومطلع القمر ومنصرف الشغيلة، ففي المثال الأول تدل كلمة مغرب، مطلع، منصرف على زمن وقوع الفعل، وتدل في المثال الثاني على مكان وقوع الفعل، فرغم تغير الدلالة لم تتغير الصياغة، لهذا لابد من قرينة في السياق تدل على المقصود[3].

ويصاغ اسم الزمان أو المكان من الفعل الثلاثي المضارع المفتوح أو المضموم على زنة مَفْعَلٌ مثل: كتبَ- يكتبُ- مكتبٌ[4].

ويصاغ على وزن مفعل إذا كان مثال واويا مثل:موعد، في قوله تعالى:﴿**بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا**﴾ [5]، يكون من غير ثلاثي على وزن اسم مفعول، وذلك بإبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر.

1- علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص313.
2- النحو الوافي، عباس الحسن، ج3، ص318.
3- ينظر تصريف الأسماء والأفعال، ص229.
4- علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص313.
5- الكهف:48.

171بلغ عدد أسماء المكان اثنا عشر اسما (من الثلاثي المجرد ثمانية، ومن الثلاثي المزيد بحرف: واحد، ومن الثلاثي المزيد بحرفين: ثلاثة)، ودلت جميعها على أمكنة وقوع أفعالها(كما هو في الأصل)، مثل قوله تعالى﴿ **لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾[1] ومجمع البحرين هو المكان الذي يجتمع فيه البحران ويصيران بحرا واحدا[2]، وهو اسم مكان،...وقيل مصدر[3] "وقرئ(مجمع) بكسر الميم وهي في الشذوذ من نَفعل، مشرف- مطلع"[4]وكلمة البحر وردت في القرآن على ستة أوجه: اليم- موسى والخضر- الماء العذب والملح- بحر تحت العرش- لبحر بعينه- سبعة أبحر- البحير، والمراد بها في هذا السياق موسى والخضر[5].

وقوله تعالى: ﴿ **وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا** ﴾[6]، فقد أضف معنى التهكم في لفظ المرتفق، وقد"قرأ أبو جعفر والأعرج وشيبة وحميد وابن سعدان ونافع وابن عامر وأبو بكر في رواية الأعشى، والبرجي والجعفي عنه، وأبو عمروا في رواية هارون بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ ابن أبي إسحاق وطلحة والأعمش وباقي السبعة بكسر الميم وفتح الفاء رفقا لأن جميعا في الأمر الذي يرتفق به وفي الجارحة حكاه الزجاج وثعلب. ونقل مكي عن الفداء أنه قال: لا أعرف في الأمر وفي اليد وفي كل شيء إلاّ كسر الميم، وأنكر الكسائي أن يكون المرفق من الجارحة إلاّ بفتح الميم وكسر الفاء، وخالفه أو الحاتم وقال: المرفق بفتح الميم الموضع كالمسجد وقال أبو زيد: وهو مصدر كالرفق جاء على مفعل"[7].

1- الكهف:60.

2-.البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج6، ص176.

3- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، دار الفكر، ج15، ط3، 1979، ص173.

4- الكشاف، الزمخشري، مج2، ص731.

5- والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، أبو الداغمي، ص91.

6- الكهف: 16.

7- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج6، ص130.

وقوله تعالى أيضا:﴿ **حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا**﴾[1] وهو مصدر ميمي، وقد شرح بعض أئمة التصريف أن المطلع جاء في المكان والزمان فتحا وكسرا[2].

وقوله: ﴿ **وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا**﴾[3] والموبق مكان الوبوق أي الهلاك، وأريد وأريد به هنا جهنم[4].

وقوله تعالى: ﴿ **بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾[5]والمرتفق محل الارتفاق الارتفاق اسم مكان مشتق من اسم جامد إذا اشتق من المرفق وهو مجمع العضد والذراع[6].

والمرتفق هو المنزل والمقر والمجلس، يقول صاحب البحر المحيط: "...المتكأ على المرفق لأصل النار ولا اتكاء، وقال ابن الأنباري: ساءت مطلبا للرفق، لأن من طلب رفقا من جهنم عدمه، وقال ابن عطية: قريبا من قول الأنباري: والأظهر عندي أن يكون المرتفق بمعنى الشيء الذي يطلب رفقه بارتكاء وغيره، وقال عبد الله الرازي: والمعنى بئس الرفقاء هؤلاء، أو بئس موضع الترافق النار"[7].

وفي قوله تعالى: ﴿ **قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا**﴾[8] فالمسجد اسم مكان.

1- الكهف:90.
2- روح المعاني، الألوسي، ج16، ص35.
3- الكهف:52.
4- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص345.
5- الكهف:29.
6- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص309.
7- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج6، ص116.
8 - الكهف:21.

وذكر اسم المكان في قوله تعالى: ﴿ **وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا**﴾[1] والملتحد"اسم مكان ميمي يجيء على زنة اسم مفعول، من فعله، والملتحد اسم مكان الالتحاد: الميل إلى جانب، وجاء بصيغة الافتعال لأن أصله تكلف الميل ويفهم من صيغة التكلف أنه مفر من مكروه يتكلف الخائف أنه يأوى إليه، لذلك كان الملتحد بمعنى الملجأ، والمعنى: لن تجد شيئا يخبيك من عقابه"[2].

وذكر اسم المكان في قوله تعالى أيضا:{بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا}[3] والموئل على وزن مفعل من الفعل وأل بمعنى لجأ، فهو اسم مكان بمعنى الملجأ[4].

أما أسماء الزمان فلم يتجاوز تواترها أربع مرات، فقد وردت كلمة موعد في الآيات التالية:

قال الله تعالى: ﴿ **بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا**﴾[5]،فكلمة موعد اسم زمان وما تفرد به، وقوله أيضا: ﴿ **بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا**﴾[6] وقوله: ﴿ **وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا**﴾[7] وقد عبرت جميعها عن يوم القيامة بوصفه الزمان المنتظر لحلول العذاب، العذاب، يقول صاحب البحر المحيط:"وضربتا لإهلاكهم وقتا معلوما وهو الموعد،

1- الكهف:27.
2- التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص304.
3- الكهف: 58.
4- ينظر التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص357.
5-الكهف: 48.
6- الكهف:58.
7- الكهف:59.

واحتمل أن تكون زمانا"[1] وأيضا المهلك اسم زمان من الفعل أهلك على وزن مَفْعَل[2].

ليعتاد البشر صحة الاختيار بين من كانوا عليه من عبادة الأوثان وما تدعوهم إليه العقيدة الجديدة فالقرآن ينوع في الأساليب ليؤثر على العقل والعاطفة معا، وما ورد منه في قوله تعالى:﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[3]، صيغة اسم التفضيل(أحسن) على وزن أفعلُ، وقوله أيضا:﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا**﴾[4] الشاهد في الآية هو أحصى لكن يقول أبو حيان:"جوز الحوفي وأبو البقاء أن يكون- أحصى- فعلا ماضيا، وما مصدرية و(أمدا) مفعول به، وأن يكون أفعل للتفضيل و(أمدا) تمييز، واختار الزجاج والتبريزي أن يكون أفعل للتفضيل، مصوغ من الرباعي على خلاق القياس، انصرف إلى ما في معنى الإحصاء ومن الضبط والإصابة،...ومع كونه ليس قياسا فهو كثير في الكلام الفصيح وفي القرآن، والمعنى، لنعلم أي الفريقين أتقن إحصاء"[5].

وذكر في تفسير التحرير أن أحصى يحتمل أن يكون فعلا ماضيا، والوجه أن(أحصى) اسم تفضيل، والتفضيل متصرف إلى ما في معنى الإحصاء، من الضبط والإحصاء، والمعنى لنعلم أي الحزبين أتقن إحصاء"[6].

1- البحر المحيط، أبو حيان، ج6، ص 133.
2- ينظر التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص358.
3- الكهف:07.
4- الكهف: 12.
5- البحر المحيط، أبو حيان، ج6، ص135.
6- التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج15، ص269.

خاتمة:

إنّ تعدّد الظواهر اللّغويّة المتعلّقة بالبنية في السّورة الكهف، يمكن للباحث أن يستشرف على كلّ ظاهرة فيها ويقيم لها مبحثًا مستقلاً، وعلى ضوء هذه الدّراسة يمكن لنا أن ندرك الهدف الذي كان من أجله هذا العمل وهو بيان خصائص البنية اللّغويّة لسورة الكهف، وقد أفضت الدّراسة إلى جملة من النتائج أعرضها فيما يلي:

1- إنّ الأصوات الصائتة (الحركات) من أكثر الأصوات استخداما في السّورة الكريمة، ويأتي بعدها الأصوات المائعة لسهولتها ووضوحها السّمعي.

2- يقوم البناء الصوتي لسورة الكهف على التكامل باعتباره الأصل المحقق للتواصل، وجمالية التعبير والظهور، وتحقيق الانسجام الصوتي ووضوح المعنى.

3- إن الانسجام الصوتي قد تجسد انطلاقا من الإيقاع الصوتي للسورة، حيث أن براعة اتّساق الفواصل والتجنيس، والتقديم والتأخير، كان عاملا أساسيا في الربط بين آيات السورة، ملائما في الوقت ذاته المقام والسياق.

4- التصنيف الذي وضعه اللّغويون العرب القدامى للأصوات العربيّة غير متّفق على تفسيره بلغة العصر من قبل اللّغويين المعاصرين، مع تسجيل تضارب في المصطلحات الصّوتيّة بين القدامى والمحدثين.

5- أكثر الأصوات المستخدمة في السّورة هي مجهورة، ذات خصائص صوتيّة شديدة العلوّ والارتفاع، تضفي على البناء إيقاعًا صوتيًّا متميّزًا وهي في علاقاتها

مع غيرها من الحروف المهموسة في سياق الخطاب القرآني تضفي على هذه البنية تنوّعًا صوتيًّا يتراوح بين العلوّ والانخفاض، وبين الارتفاع والخفوت.

6- ليس قرب مخارج الأصوات في السّورة أو بعدها هو السبب الثقيل أثناء تآلف الأصوات، وإنّما يوجد عوامل أخرى له، كما أنّ للصوائت دخل في بناء الكلمة وتتفاوت مراتبها خفّة وثقلاً، فالفتحة أخفّ الحركات، تليها الكسرة فالضمّة.

7- يغلب على جملة الأمر النصح والإرشاد، أمّا الأمر بالصيغة المرتبطة بدلالات الالتماس والإنكار. والجملة الاستفهاميّة متميّزة بسعة التّكرار، وقوّة التّأثير والإيحاء، أمّا دلالاتها في السّورة فقد حوّلت الاستفهام من وجهته الأصليّة إلى إقامة الحوار القصصي.

8- وفي جانب دراسة المفردات (المستوى الصرفي) فقد شكّلت لبنة هامّة من خلال توظيفها المتميّز سواءً أكانت اسما أو فعلا لتضفي على النّص القرآني أثرا جماليا بدلالتها المعجميّة أو أوزانها الصرفيّة أو إيقاعات أصوات المتناسقة.

9- تعدّ المفردة إحدى أهمّ جزئيات النّظم بموافقتها للسّياق الكلّي الناشئ عن العلاقات النّحويّة، ومن ثمّة فإنّ البحث يؤول إلى وعي شمولي يوحّد بين المستويات في اتّصالها بالخطاب القرآني والذي جعل منه مناطاً آخر للإعجاز.

10- ومما لاحظنا في استقرائنا للأفعال والأوزان الواردة في السورة الكريمة، أما الأفعال الثلاثية أكثر استعمالا من غيرها، وذلك لخفتها وأن الأفعال الصحيحة أكثر تداولا من الأفعال المعتلة، كما تخلو أفعال السورة من الفعل

الرباعي مجردا أو مزيدا. وكثرة استعمال الأفعال الماضية، فهي أعلى نسبة مقارنة مع فعل الأمر والمضارع، لتوافقها مع البنية القصصية للسورة الكريمة ومن هنا كان الماضي الأكثر تواترا، ثم المضارع الذي يتناسب مع الحركة والتجدد وهما عنصران فاعلان في بنية القصة القرآنية.

11- إنّ المفردة خطوة تمهيديّة للتركيب النّاقل للمعنى حسب الأشكال التعبيريّة المتعددة التي يردّ عليها.

12- من الظواهر الصرفيّة التي ظهرت في السورة أن تؤدي الصيغة الواحدة معاني متعدّدة، كصيغة فعيل نحو: (الرَّقيم) إذ تدلّ على الثبوت لأنّها على وزن فعيل، وتدلّ على الحدوث لأنّها بمعنى (مفعول) ولعلّ هذا هو السبب في إيثار هذه الصيغة دون غيرها.

13- احتلّت مادّة الفعل (قال) ومشتقاتها المقام الأوّل من هذه الأفعال، لأنّ السورة تحتوي على مجموعة من القصص القرآني المزدحم بالقواعد التربويّة، وخاصة في قصّة أصحاب الكهف، وقصة سيّدنا موس (عليه السّلام) مع العبد الصالح، وقصّة ذي القرنين، ومادّة القول وردت بكثرة، ممّا يؤكّد أهميّة الحوار في السرد القصصي في القرآن لإبراز جوانب الصراع فيه.

14- في دراسة المشتقات لاحظنا تفاوت في الأسماء المشتقة، حيث نجد ترتيبها كالآتي: اسم الفاعل، الصفة المشبهة، اسم المكان، اسم التفضيل، اسم المفعول، اسم الزمان، بالإضافة إلى أنّ الاشتقاق لهذه الأسماء كان من الفعل الثلاثي المجرد أكثر من غيره.

15- تناول النحاة القدامى ظاهرة المماثلة بشكل عام وواسع، وجوّزوا في الإطلاق مصطلحات صوتيّة للمعنى الواحد أحيانًا، إيمانًا بوجود فروق بين المسمّيات، فما سمّوه إدغامًا يعدّ في عرف المحدثين مماثلة تامّة، وما سمّوه مضارعة يعدّ في عرفهم مماثلة ناقصة، أمّا سكوتهم عن مصطلح المماثلة وهو مصطلح حديث يستجمع أطراف الظاهرة تامّة كانت أم ناقصة فيبرزه قول من قال: "لا مشكلة في الإصلاح إذا عرفت الحقائق، فيكون ذلك ردًّا وجيها ينصف القدامى، وينفي عنهم صفات عدم التوسّع والتفصيل والتّدقيق.

16- أمّا نتائج الفصل التركيبي فتدّل ظاهرة الحذف أحد أساليب الإيجاز وإن كانت ظاهرة لغوية لها تعلّق أساسي بالبنيّة فإلى جانب قيمته الاقتصاديّة في التّعبير، والتخفيف من طول تركيب السلسلة اللّغويّة، فإنّ أيّ نمط من أنماط الحذف في السورة سِيق لمزيد من البيان، بل ولتقريب الصورة من الأذهان، وأتى على أنماط مختلفة بدءًا بحذف المفردة مهما كان موقعها النّحوي، فرأينا حذف الصفة والموصوف، والمبتدأ، والخبر، والفعل والمفعول، وصولا إلى حذف جملة بأكملها، كحذف جملة جواب الشّرط.

17- إنّ أسلوب الخبر في الخطاب القرآني لا يعني ما هو متعارف عليه من أن يقال لقائله إنّه صادق أو كاذب، بل نعني فيه إثبات ما هو ثابت في الخطاب ونفي ما هو منفي بذلك ممّا ليس هو بطلب، فالقرآن كلمة صدق.

18- وردت الجملة الاسميّة المنفية أقلّ من سابقتها، واستخدام فيها (لا) و(ما) عاملتين ومهملتين.

19- فاق استعمال الجملة الفعليّة المثبتة كلّ أنماط الجمل الأخرى لكونها الأصل في غيرها، وجيء فيها بالفعل ماضيًا ومضارعًا، ودالّة على تجدّد الأمر الذي تقرّره.

20- جاء تركيب الجملة الاسميّة المثبتة بصورة متنوّعة، ظهر فيها المبتدأ والخبر بأوضاعهما المتعدّدة من حيث التّعريف والتّنكير، والتّقديم، والتّأخير، ومنها المجرّد من النواسخ، ومنها ما هي منسوخة بـ: (إنّ) وأخواتها أو(كان) وأخواتها جيء بها لتوكيد الخبر وتقويته.

ولاشكّ أنّ البحث في لغة القرآن الكريم ممتع على صعوبته، وهذا لأنّ الدّارس فيه لا يجزم استفادة منه، فحيثما يولّي الباحث وجهته لأخ له من عظيم النّتائج ما يبهره، وفتح له من أبواب العلم ما لم يكتشفه سلف، فمازال للباحثين جوانب كثيرة يمكنهم دراستها ومعرفة أسرارها من هذه اللّغة المباركة، وفي هذا الكتاب المقدّس.

والله من وراء القصد، عليه توكّلت، وهو حسبي ونعم الوكيل والحمد لله ربّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

1. أبحاث في أصوات العربية، لحسام ألنعيمي ، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد 1998.
2. أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ، فتحي عبد الفتاح الدجاني ، وكالة المطبوعات ، كويت .
3. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، لعبد الغني الدمياطي ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 ، 1998م/1419هـ
4. الإتقان في علوم القرءان ، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، 1974
5. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدّين السيوطي، المكتبة الثقافيّة، بيروت، 1973.
6. أثر الانسجام الصّوتي في البنية اللّغويّة في القرآن الكريم، فدوى محمد حسان، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.
7. -أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج لمسعود بوبو، منشورات وزارة الثقافة – دمشق،1982.
8. أحكام قراءة القران الكريم، محمود خليل الحصري، تحقيق محمّد ملحة وبلال منيار، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، ط3، 1997.
9. أساس البلاغة، الزمخشري، دار صادر، بيروت، لبنان، ط01، 1992.
10. أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، تحقيق حسان الطيان و يحي مير علم،مراجعة شاكر الفحام و أحمد راتب النفاخ، ط1، 1983.

11. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د.ط)، (د.ت).
12. أسس علم اللغة، لماريوباي ، ترجمة أحمد مختار عمر، ط3، 1987م
13. أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة احمد مختار عمر ، عالم الكتب، القاهرة.
14. الأشباه والنظائر ، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت (دت،دط).
15. الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدّين السيوطي، تح عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1985.
16. أصوات اللغة العربية، عبد الغفار حامد هلال ، مكتبة وهبة ، القاهرة ط3، 1416هـ / 1996م
17. أصوات اللغة، عبد الرحمان أيوب، دار التأليف، ط1.
18. الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1971.
19. الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط6، 1984.
20. الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر- الأردن، ط1، 1998 م / 1418هـ
21. الأصوات لكمال بشر ، دار المعارف-مصر ، 1975م
22. الأصول : دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، تمام حسان دار الثقافة- المغرب ، ط1، 1401هـ/1981م

23. الأصول في النحو لابن السراج تحقيق عبد الحسن الفتلي مؤسسة الرسالة – بيروت 1405هـ/1985م.

24. الأضداد، محمد الأنباري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1987.

25. أضواء على الدّراسات اللّغويّة المعاصرة، نايف خرما، عالم المعرفة، الكويت، ط2، 1979

26. إعجاز القرآن للباقلاني تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف ط5- القاهرة

27. إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مصطفى الصادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط02، 1999.

28. الألسنية العربية لريمون طحان ، المكتبة الجامعية، دار الكتاب اللبنانية- بيروت.

29. الأنثروبولوجيا البنيوية، لكلود ليفي ستراوس، ترجمة مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، د.ط، 1979.

30. البحث اللّغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، دار الكتب، القاهرة، ط4، 1982.

31. البحث اللغوي عند الهنود ، لأحمد مختار عمر ، دار الثقافة بيروت 1972.

32. بحوث ومقالات في اللغة ، لرمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، 1408هـ/1988م.

33. البرهان في علوم القرآن، الزركشي ، تح محمد ابو الفضل ابن ابراهيم ، دار التراث ، القاهرة د.ت

34. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح جمال الحمدي الذهبي، عبد الله الكردي، دار المعرفة، بيروت، ط2.

35. بغية الوعاة في طبقة اللغويين والنحاة ، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية-بيروت.

36. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، لونجمان للنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1996.

37. البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رابح دوب، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 1997، ص47.

38. البنوية وما بعدها من ليفي ستراوس إلى دريدا، جون ستروك، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، 1996.

39. البنية اللغوية لبردة البويصري لرابح بوحوش ، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر.

40. البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكو، عبد الوهاب جعفر، دار المعارف، القاهرة، 1989.

41. البنيوية، جان بياجيه، ترجمة عارف منينة، وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط01، 1985.

42. بيان في غريب إعراب القرآن، ابن بركات الأنباري، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم دار الأحياء الكتب العربية ط1 .1957.

43. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ج1، ط5، 1985.

44. التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، تح: محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط3، 1987.

45. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، دت، ج15.

46. تصريف الأسماء والأفعال ، فخر الدين قباوة، حلب، المؤسسة العلمية، ط2،1981.

47. التطبيق الصرفي ، على جابر المنصوري وعلاء هاشم ، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1، 2002.

48. التطوّر اللّغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1983.

49. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، لرمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي- القاهرة ط3،1410هـ/1990م.

50. التطوّر اللّغوي، عبد الصابور شاهين، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1985.

51. التطور النحوي للغة العربية ، لبرجستراسر، ترجمة: رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي-القاهرة، 1406هـ/1982م.

52. التعبير الزمني عند النحاة العرب ، عبد الله بوخلخال ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

53. تفسير ابن كثير ، عماد الدين أبو الفدآ ابن كثير ، دار الأندلس ، لبنان.

54. تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية بيروت ، ط2،2007.

55. تفسير الرازي أو مفاتيح الغيب للرازي ، تح : هني الحاج وعماد زكي المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د ت.

56. تفسير الطبري ، المسمى جامع البيان ، لأبي جعفر بن جرير الطبري ، تحقيق احمد محمد شاكر ط1، مؤسسة الرسالة .

57. تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله الأنصاري القرطبي، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج01، ط02، (د.ت).

58. تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر ، دار الكتب العلمية بيروت

59. التنافر الصوتي والظاهر السياقية، لعبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة الإشعاع-مصر، ط1، 1419هـ/1999م.

60. التنافر الصوتي والظواهر السّياقيّة، عبد الواحد حسن الشيخ، مكتبة ومطبعة الإشعاع، 1994.

61. التنوّعات اللّغوية، عبد القادر عبد الجليل دار الصفاء، الأردن، ط1، 1997.

62. تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط01، 2001.

63. توجيه النحوي للقراءات لسورة البقرة ، طاهر قطبي ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر .

64. التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تح أوتويرتزل، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت – لبنان، 1984.

65. جمالية المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، إعداد: أحمد ياسون، دار المكتبة، دمشق، ط1، 1994.

66. الجمل في النحو , للزجاجي , تحقيق : علي توفيق , مؤسسة الرسالة – بيروت ,ط5 1417 هـ/1996م.

67. جمهرة اللغة، ابن دريد، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، مادة (خطب)، ج02، بيروت، ط01، 1987.

68. الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني . تحقيق: محمد علي النجار , دار الكتاب العربي – بيروت ,(د.ط.د.ت).

69. الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، سليمان عشراتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998م.

70. الخطاب والنص: المفهوم–العلاقة–السلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 2008.

71. الدراسات الصّوتيّة واللّهجيّة عند ابن سينا، حسام سعيد النعيمي، دار الرّشيد للنشر، الجمهورية العراقية، 1980.

72. الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني , لحسام سعيد النعيمي , (د.ط.د.ت).

73. الدراسات المعملية في وظائف الأعضاء العامة، صبحي عمران شلش، مؤسسة المجلس الأعلى العربي للعلوم والتكنولوجيا، الجزائر، ط2، 1992.

74. دراسات في اللسانيات العربية بنية الجملة العربية ، عبد الحميد السيد ، دار الحامل للنشر والتوزيع .

75. دراسات في جزء عم، محمود أحمد نحلة، دار العلوم العربية، لبنان، ط1، 1989.

76. دراسات في فقه اللغة, صبحي الصالح. دار العلم للملاين، بيروت، ط5 ,1973م.

77. دراسات في فقه اللغة، محمد الانطاكي، دار الشروق العربية، بيروت، ط4 (د.ت).

78. دراسة الصوت اللغوي، لأحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1405 هـ/1985م.

79. دروس التصريف، عبد الحميد محي الدين، بيروت، المكتبة العصرية، 1990.

80. دروس في علم الأصوات العربية، لجان كانتينو، نقلة إلى العربية : صالح القرمادي، نشريات مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس، 1966م.

81. الدقائق المحكمة في المقدمة الجزرية في علم التجويد، لزكريا محمد النصارى الشافعي: تحقيق : نسيب الشناوي – دمشق ,1980, (د.ت).

82. دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة انجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1963 م.

83. الدلالة الصّوتيّة والصّرفيّة في لهجة الإقليم الشمالي، عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط1، 1997.

84. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق محمد النجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط03، 1999.

85. رسائل إخوان الصّفا وخلان الوفاء، دار بيروت للطباعة، بيروت، 1983.

86. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1982.

87. سرّ صناعة الإعراب، ابن جنيّ، تح: حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق، ج1، ط1، 1985.

88. شذى العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

89. شرح التسهيل، جمال الدين بن مالك، تح: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1990.

90. شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت).

91. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمّد بن الحسن الأستراباذي، تحقيق محمّد نور الحسن، ومحمّد الزفزاف ومحمّد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1994.

92. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، 1988.

93. الصاحبي في فقه اللّغة، ابن فارس أبو الحسين أحمد (ت395هـ)، تح أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

94. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط04، 1987، مادة بنى.

95. صفوة التفاسير، محمّد علي الصابوني، دار الفكر، بيروت، ج2.

96. الصوتيات لبارتيل مالمبرج , ترجمة : محمد حلمي هليل . عين الدراسات و البحوث الإنسانية القاهرة , 1994م.

97. ظاهرة الإبدال عند اللّغويين والنحاة العرب، عبد الله بوخلخال، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، 2005.

98. العربيّة معناها ومبناها، تمّام حسّان، دار الثقافة، المغرب.

99. العربية، دراسات في اللغة و اللهجات و الأساليب، ليوهان فوك ز ترجمة : رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي – مصر 1400 هـ/1980م.

100. علم الأصوات العام، أصوات اللّغة العربيّة، بسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت.

101. علم الأصوات، حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004.

102. علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، عز الدين المناصرة، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط01، 2007.

103. -علم الصرف الصوتي , عبد القادر عبد الجليل , شركة الشرق الأوسط للطباعة – الأردن,ط1, 1998م.

104. علم اللغة – مقدّمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997.

105. علم اللغة العام . توفيق محمد الشاهين . مكتبة وهبة. القاهرة, 1980م.

106. علم اللغة العام في القرن العشرين, لجروج مونان , ترجمة : نجيب غزاوي , سلسلة الكتب العلمية – سوريا , 1982م .

107. علم اللّغة العام، الأصوات، كمال بشر، دار المعارف، مصر، 1980.

108. علم اللغة بين التراث المناهج الحديثة , لمحمود فهمي حجازي , دار الغريب للطباعة – القاهرة (د.ت).

109. علم اللغة بين التراث و المعاصرة ,عاطف مذكور , دار الثقافة للنشر , 1987م.

110. علم اللّغة في القرن العشرين، جورج مونان، ترجمة نجيب غزاوي، سلسلة الكتب العلميّة، سورية، 1982.

111. علم اللّغة، عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، 2000.

112. علم وظائف الأصوات اللغوية (الفنولوجيا) , لعصام نور الدين , دار الفكر – بيروت , ط1' 1996م .

113. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق المهدي مخزومي، وإبراهيم السّامرّائي، دار الرّشيد للنشر، العراق، 1980، ومطابع الرّسالة، الكويت.

114. غاية النهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزري، تحقيق برجستراسر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2006.

115. الفاصلة في القرآن ، محمد حسنواوي ، دار عمار ، المكتب الإسلامي ، الأردن

116. فقه اللغات السامية، كارل لروكلمان، تعريب: رمضان عبد التواب , دار النشر, 1977م.

117. فقه اللغة المقارن، إبراهيم السامرائي، دار العلم للملاين، بيروت، 1968م.

118. فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.

119. فقه اللغة و سر العربية، للثعالبي : تحقيق : أمين نسيب، دار الجيل، بيروت، 1418 هـ/1998م.

120. فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ملتزم الطبع و النشر، ط6، 1968م.

121. الفهرست، محمد بن إسحاق النديم: تحقيق : مصطفي الشويمي، دار التونسية للنشر-تونس، 1405 هـ/1985م.

122. في التطوّر اللّغوي، عبد الصابور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.

123. في اللهجات العربية , إبراهيم انس , مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة , ط9, 1995م.

124. في النحو العربي قواعد وتطبيق ، مهدي مخزومي ، مطبعة مصطفى البايلي ، مصر ط1.

125. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط7، ج17، 1971.

126. في علم اللّغة العام، عبد الصابور شاهين، مطبوعات جامعة حلب، سورية، 1982.

127. القاموس المحيط، الفيروز أبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيرون، لبنان، 2005، مادة (بني).

128. قضايا أساسيّة في علم اللّسانيات الحديث، مازن الوعر، دار طلاس للدراسات، والترجمة والنشر، ط1، 1988.

129. الكتاب، أبو بشر عمر بن عثمان قنبر سيبويه، تح عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1996.

130. الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بنن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411 ه/1991م.

131. الكلام إنتاجه وتحليله، عبد الرّحمن أيّوب، مطبوعات الجامعة، الكويت، ط1، 1984.

132. الكلمات المفاتيح، ريمون وليمز، ترجمة نعيمان عثمان، المركز الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2007.

133. اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري، تح غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق، ط1، 1995.

134. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، تح عبد الله علي الكبير، ومحمّد أحمد حسب الله، وهاشم محمّد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، دت.

135. اللّسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، سمير شريف استيتية، عمان، الأردن، 2008.

136. اللغة العربية معناها و مبناها , تمام حسان , دار الثقافة – المغرب .

137. لغة القران الكريم , عبد الجليل عبد الرحيم , مكتبة الرسالة الحديثة – الاردن , ط1, 1401 ه/1981م.

138. اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، دار الثقافة، دار البيضاء، 1980.

139. اللغة لفندريس , تعريب : عبد الحميد ألدواخلي , محمد القصاص . مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة , 1950م.

140. اللغة والتواصل، عبد الجليل مرتاض، دار هومة، الجزائر.

141. اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، عبد ألراجحي، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، القاهرة 1420 هـ/1999م.

142. اللهجات العربية نشأة و تطورا، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، ط2، القاهرة 1414 هـ/1993م.

143. ما ذكره الكوفيون من الإدغام، لأبي سعيد السيرافي، تح: صبحي التميمي، دار شهاب للطباعة والنشر، الجزائر.

144. مباحث في اللّسانيات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1999.

145. مبادئ اللّسانيات، أحمد محمّد قدور، دار الفكر المعاصر، بيروت ط2، 1999.

146. مبادئ في اللسانيات، خوله طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000م.

147. محاضرات في الألسنة العامة,فردينان دوسوسير, ترجمة: يوسف غازي , مجيد النصر, المؤسسة الجزائرية للطباعة – الجزائر . 1986م.

148. المحيط في أصوات العربيّة ونحوها وصرفها، الأنطاكي محمّد، دار الشرق العربي، ط3، لبنان، دت.

149. مختار الصحاح، محمد بن أبي عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان، بيروت، 1986.

150. المدارس الصّوتيّة عند العرب –النشأة والتطوّر، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط1، 2006.

151. المدخل إلى علم الأصوات ، دراسة مقارنة ، صلاح الدين صالح حسنين، دار الإتحاد العربي للطباعة، ط1 ، 1981م

152. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1982.

153. المدخل في علم الأصوات المقارن، صلاح حسنين، مكتبة الآداب، 2006/2005.

154. المدرسة النحوية في مصر و الشام، عبد العال سالم مكرم، دار الشرق، ط1، 1980.

155. المركب الاسمي الإسنادي و أنماطه من خلال القرآن الكريم، د.أبو السعود حسنين الشاذلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1990.

156. المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي ، شرح وتعليق : محمد جاد المولى بك ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العربية صيدا – بيروت 1986م.

157. المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، جلال الدّين السيوطي، تح فؤاد علي منصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1973.

158. مشكلة البنية، إبراهيم زكريا، دار مصر للطباعة، مصر، (د.ط)، (د.ت).

159. المصطلح الصرفي –مميزات التذكير والتأنيث–، عصام نور الدين، دار الكتاب العالمي، دت، دط.

160. معاني الأبنية في العربية ، فضل صالح السمرائي ، ط.1981.1

161. معاني القرآن ، للأخفش ، تحقيق : فائز فارس ،ط2، 1401ه/1981م.

162. معاني القرآن للفراء، تح: أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار، مطبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة، ج1، 1955.

163. معجم التعريفات درويش الجندي، مطبعة نهضة مصر، دت.

164. معجم القراءات القرآنية ، عبد العال سالم مكرم، وأحمد مختار عمر، ط1 ، مطبوعات جامعة الكويت ، 1402ه/1982م.

165. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط04، 1997.

166. معجم مقاييس اللّغة، ابن فارس أبو الحسين أحمد (ت395ه)، دار إحياء التراث العربيّ، ط1، 2011.

167. المعرّب من كلام الأعجمي على حروف المعجم، الجوالقي، تح خليل عمران المنصف، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ط1، 1998.

168. مفتاح العلوم ، للسكاكي ، ضبطه وشرحه : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية- بيروت ، ط2، 1403ه/1983م.

169. المفصل في علم العربية ، لأبي القاسم الزمخشري ، دار الجيل- بيروت ، ط2 ، دت

170. المقتصب، لأبي العباس المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب بيروت، (دط،دت) .

171. المقرب، علي بن مومن المعروف بابن عصفور، تح: أحمد عبد الستار الجوادي وعبد الله الجبوري، ط1، 1972.

172. المقرّرات الصّوتيّة في البرامج الوزاريّة للجامعة الجزائريّة –دراسة تحليليّة تطبيقيّة– مكّي درار، وسعاد بسناسي، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، 2007.

173. الممتع في التّصريف، ابن عصفور، تح فخر الدين قباوة، دار الآفاق، بيروت.

174. من أسرار التعبير في القرآن ، عبد الفتاح لشين ، شركة عكات لنشر والتوزيع ، ط1 ، 1983.

175. من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الانجلوا المصرية ، القاهرة ، ط3، 1966.

176. مناهج البحث، تمام حسّان،دار الثقافة، المغرب، 1974.

177. المنصف: شرح الإمام أبي الفتح بن جي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني، تحقيق: إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، وزارة المعارف العمومية ، ط1، 1373هـ/1954م.

178. موسيقى الشعر ، لإبراهيم أنيس ، ط5 ، 1982م ، د.ط.

179. النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1، 1418هـ/1998م.

180. نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط03، 1985.

181. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب، قسنطينة، الجزائر، ط01، 1302هـ.

182. النكت في إعجاز القرءان، (ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز) ، تحقيق: محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف- مصر ، ط2 ، 1387هـ/1968م.

183. همع الهوامع وشرح جمع الجوامع في اللغة العربية ، للسيوطي ، مكتبة الكليات الازهرية- القاهرة ، ط1 ، 1327م.

184. الوجيز في فقه اللغة ، محمد الانطاكي ، منشورات دار الشرق – بيروت ، ط2 ،

185. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان أبو العباس شمس الدّين، تح إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، 1972.

المخطوطات:

1. البنية التركيبية للخطاب السياسي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ماجستير، مصطفى نور الدين،جامعة وهران، 2014.

2. المصطلحات الصوتية عند النحاة واللغويين العرب ، المهدي بوروبة ، رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير ، 1981م ، جامعة حلب.

3. المصطلحات الصّوتيّة في التراث اللّغوي عند العرب –دراسة تأصيليّة من القرن الأوّل إلى القرن السادس الهجري، عادل إبراهيم عبد الله أبو شعر، رسالة دكتوراه في اللّغة العربيّة، كليّة اللّغة العربيّة، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السعودية، 1425/1424هـ.

المجلاّت والدوريات:

1. البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية، مقال نُشِر على موقع جامعة قسنطينة للباحث يوسف وغليسي.

2. الراء في العربية، دراسة صوتية، إدوارد يوحنا، مجلة اللسان العربي، مج17، ج1.

3. المجلة العربية للعولم الإنسانية تصدر عن مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، المقال لـ: محمد السيد سليمان العيد. العدد 36، المجلد 09، 1989.

4. مجلة اللسان العربي ، مكتب تنسيق التعريب– الرباط، المقال لـ: عبد الرحمن أيوب، الجزء الأول ، المجلد 16 ، 1398هـ/1978م.

5. مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب– الرباط ، المغرب ، المقال لـ:إدوارد يوحنا، الجزء الأول ، المجلد 17 ، 1399هـ/1979م.

6. مجلة كلية الآداب ، جامعة تلمسان ، الجزائر ، المقال : د/ مهدي بوروبة(أسباب نشوء ظواهر التشكيل الصوتي في العربية) العدد 2 ، مجلد1،2001.

7. مجلة مجمع اللغة العربية – دمشق ، الجزء الرابع ، المجلد 39، 1415هـ/1994م، مطبعة الصباح ، المقال لـ: محمد حسن الطيان.

المواقع الالكترونيّة

1. المجاز والنظام اللغوي للقرآن ، مقال نشر في الموقع nbanews/72/085.htm www.anabaa.org/

2. روائع الاعجاز العددي وموسوعة الاعجاز من خلال الموقع

3. الموسوعة الحرة وكيبيديا wikipedia. Org

المراجع بالأجنبية:

1. An outline of english phonetics- daniel jons- cambridge, 1957
2. Dictionnaire de linguistique , duboi et les autres la rousse 94
3. Eléments de linguistique generale – andre martimet , arnand colin-paris
4. Que sais – je ? La phonologie- jean houis duchet-dar el fikr
5. Principes de phonologie – n.s.troubetz koy- editions klinck sieck-paris, 1986 traduit par :j.cantineau.

فهرس الموضوعات:

إهداء

كلمة شكر

مقدمة..... أ

مدخل: مفاهيم عامة في البنية اللغوية والخطاب القرآني

1- البنية اللغوية في الدرس اللساني 2
- البنية مفهومها، نشأتها، وتطورها..... 2
2- الخطاب القرآني وخصائصه..... 14
- الخطاب القرآني 14
- أهمية الخطاب القرآني في الدرس اللساني 17
3- التعريف بالسورة الكريمة..... 21
أ- محتويات السورة..... 23
ب- سبب نزول السورة 24

الفصل الأول: البنية الصوتية لسورة الكهف

توطئة 29

1- تأليف الأصوات في الخطاب القرآني 32
2- الدراسة الإحصائية لأصوات السورة 49
- الأصوات الصامتة 50
1- الجهر والهمس 51
2- الشدة والرخاوة 57

3- الاستفال والاستعلاء 62
4- الانفتاح والإطباق 64
5- المفخمة والمرققة 67
- الصوائت ونسبها 69
3- البناء المقطعي لآيات سورة الكهف 78
1- تعريف المقطع اللغوي..... 79
2- المقاطع ودلالتها في سورة الكهف 81
3- الدراسة الإحصائية لمقاطع السورة 83
4- النبر والتنغيم في السورة 89
5- الفاصلة القرآنية في سورة الكهف ودلالتها 97

الفصل الثاني: البنية الصرفية لسورة الكهف

توطئة 105

1- البنى الفعلية ودلالتها 112
1- 1- الفعل ودلالة الزمن..... 113
1- 2- الفعل ودلالة الصيغة 121
1- 3 – الفعل ودلالة البناء للفاعل أو المفعول..... 134
2- البنى الاسمية ودلالتها في السورة 136
2-1 - الاسم ودلالة العدد 136
2-1- 1- الاسم المفرد..... 136
2-1-2- المثنى..... 140
2-1-3- الاسم والمجموع..... 144
2-2- الاسم ودلالة الجنس المذكر والمؤنث 153
3- البنى الوصفية ودلالتها في السورة 157

1- اسم الفاعل 161
2- اسم المفعول 164
3- الصفة المشبهة 165
4- اسم التفضيل 168
5- إسما الزمان والمكان 170

الفصل الثالث: البنية التركيبية لسورة الكهف

توطئة 176
I. بنية الجملة الخبرية ودلالتها 179
1- الجملة الاسمية 179
أ- الجملة الاسمية المثبتة 180
ب- الجملة الاسمية المنسوخة 181
ج- الجملة الاسمية المنفية 184
2- الجملة الفعلية 186
3- الجملة الخبرية وتوكيد الإسناد 189
II. بنية الجملة الطلبية ودلالتها 197
1- جملة الأمر 199
2- جملة الدعاء 202
3- جملة النداء 203
4- جملة الاستثناء 205
5- جملة النهي 209
III. الظواهر التركيبية في السورة 211
1- الحذف 211
2- التقديم والتأخير 215

3- الالتفات 221
4- الحروف ودلالتها 224

خاتمة 232

قائمة المصادر والمراجع 238

فهرس الموضوعات 259